سيرة ومناقب

عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه)

الخليفة الزاهد

تصنيف

الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي
٥١٠ - ٥٩٧ هجرية

ضبطه وشرحه وعلق عليه
الأستاذ نعيم زرزور

دار الكتب العلمية
بيروت — لبنان

سيرة
عمر بن عبد العزيز

الطبعة الاولى
١٤٠٤ هـ. - ١٩٨٤ م.
بيروت - لبنان

يطلب من : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
هاتف : ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤ - ٨٠٠٨٤٢
ص.ب ٩٤٢٤-١١ - تلكس : NASHER 41245 Le

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر اتمامه

أخبرنا الشيخ الامام ، العالم الأوحد ، الحافظ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي الواعظ ، قراءة عليه قال :

الحمد لله الذي قدم من شاء بفضله ، وأخّر من شاء بعدله . لا يعترض عليه ذو عقل بعقله ، ولا يسأله مخلوق عن علة فعله . أحمده على حَزَن الأمر وسهله [1] ، وأُصلّي على رسوله محمد أشرف من وطىء الحصا بنعله ، وعلى أصحابه وآله وأهله ، وأسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فإني كنت قد أفردت لكل شخص من أعلام كل زمن وأخياره ، كتاباً للإعلام بأخباره . ورأيت أخبار عمر بن عبد العزيز أحق بالذكر ، لأنها تنبه أولي الأمر (على أولي الأمر) [2] ، وتعين الزاهد في الدنيا على حمل أعباء الصبر . فلذلك آثرت جمع آثاره ، واخترت ضم أخباره . ولعلها تجمع لقارئها شمل دينه . ويقوي تكرارها على فكره أزر يقينه[3] . فإن هذا الرجل قدوة لأرباب الولايات والولايات ، ولقد كان في أرض الله من الآيات . والله الموفق لاجتلاب خصال الأبرار ، واجتناب خلال [4] الأشرار . إنه سميع مجيب .

---

(١) حزن الأمر : الحزن : المكان الغليظ .

(٢) هذه الجملة غير موجودة في الأصل المخطوط ومثبتة في المختصر المطبوع في مدينة ليبسيك.

(٣) في النسخة الخطية « ويقوى تذكارها على فلوه » وفي المختصر « تكرارها على سمع فكره ».

(٤) في المختصر « فعال » .

وقد قسمت هذا الكتاب أربعة وأربعين باباً وهذه ترجمتها :

الباب الأول	: في ذكر مولده .
الباب الثاني	: في ذكر نسبه .
الباب الثالث	: في ذكر طلبه العلم وسؤاله العلماء واستشارته إياهم .
الباب الرابع	: في ذكر طرفٍ مما روى من الحديث .
الباب الخامس	: في ذكر غزارة علمه وفصاحته وثناء العلماء عليه
الباب السادس	: في ذكر ما يروى من شهادة رسول الله ﷺ بأنه [1] خير أهل زمانه .
الباب السابع	: في ذكر ولايته قبل الخلافة .
الباب الثامن	: في ذكر إقدامه على قول الحق عند الخلفاء قبله .
الباب التاسع	: في ذكر بشارة الخضر له بأنه [2] سيَلي الخلافة
الباب العاشر	: في ذكر الهواتف بخلافته .
الباب الحادي عشر	: فيما يروى[3] أنه مذكور في الكُتُب الأوَل[4]
الباب الثاني عشر	: في ذكر خلافته .
الباب الثالث عشر	: في ذكر أنه من الخلفاء الراشدين المهديين .
الباب الرابع عشر	: في ذكر أخلاقه وآدابه .
الباب الخامس عشر	: في ذكر علو همته .
الباب السادس عشر	: في ذكر اعتقاده ومذهبه .

---

(١) خ « أنه » .
(٢) خ « أنه » .
(٣) في المختصر « روي » .
(٤) في المختصر « الأولة » .

نفعنا الله بمحبته ، ووفقنا لمثل طاعته . إنه كريم مجيب .

الباب الاول

في ذكـــــــــر مولده

حدثنا الحارث بن أبي أسامة ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : ولد عمر بن عبد العزيز سنة ثلاث وستين . وهي السنة التي ماتت فيها ميمونة زوج النبي ﷺ .

الباب الثاني

في ذكـــــــــر نسبه

حدثنا الحارث بن أبي أسامة ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : قال ابن شوذب : لما أراد عبد العزيز بن مروان أن يتزوج أم عمر بن عبد العزيز ، قال لقيّمه : إجمع لي أربع مائة دينار من طيب مالي فإني أريد أن أتزوج إلى أهل بيت لهم صلاح ، فتزوج أم عمر بن عبد العزيز .

قال ابن سعد . وهو : عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس . أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب . ويكنى أبا حفص .

حدثنا عبد الله بن سعد الزهري عن عمه يعقوب بن إبراهيم ، قال : أم عمر بن عبد العزيز أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

خبر جده عمر لأمه :

قال : حدثنا عبد الله بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن جده أسلم ، قال : بينا أنا مع عمر بن الخطاب ، وهو يعس بالمدينة ، إذ أعياء ، فاتكأ على جانب جدار في جوف الليل ، فإذا امرأة تقول لابنتها : ياابنتاه قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء . فقالت لها : يا أمّتاه ، أوما علمت بما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم ؟ فقالت : وما كان من عزمته يابنية ؟ قالت : إنه أمر مناديه [1] فنادى أن لا يشاب اللبن بالماء . فقالت لها : يابنتاه قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء ، فإنك بموضع لا يراك عمر ولا منادي عمر [2] . فقالت الصبية لأمها : يا أمتاه ، والله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلا . وعمر يسمع كل ذلك . فقال : يا أسلم [3] علّم الباب واعرف الموضع . ثم مضى في عسسه فلما أصبح قال : يا أسلم امضِ إلى ذلك الموضع فانظر من القائلة ، ومن المقول لها ، وهل لهم من بعل . فأتيت الموضع فنظرت ، فإذا الجارية أيّم لا بعل لها ، وإذا تيك أمها ، وإذا ليس لهما رجل . فأتيت عمر بن الخطاب فأخبرته . فدعا عمر ولده فجمعهم ، فقال : هل فيكم من يحتاج إلى امرأة أزوجه [4] ؟ ولو كان بأبيكم حركة [5] إلى النساء ما [6] سبقه أحد منكم إلى هذه الجارية . فقال عبد الله : لي زوجة ، وقال عبد الرحمن : لي زوجة . وقال عاصم : يا أبتاه لا زوجة لي فزوجني . فبعث إلى الجارية فزوجها من عاصم ، فولدت لعاصم بنتاً ، وولدت البنت بنتاً ، وولدت الابنة عمر بن عبد العزيز رحمه الله .

---

(١) في المختصر « منادياً » .

(٢) قوله « ولا منادي عمر » ناقص من المختصر .

(٣) في المختصر « ياسلم » هنا وفي السطر التالي .

(٤) في المختصر « أو زوجة » .

(٥) في المختصر « حاجة حركة » .

(٦) في المختصر « كما » .

قلت : هكذا وقع في رواية الآجرّي : فلا أدري ممن الغلط، وإنما الصواب : فولدت لعاصم بنتاً ، وولدت البنت عمر بن عبد العزيز . كذلك نسبه العلماء كما ذكرنا عن محمد بن سعد وغيره (١) .

البشائر بصلاح عمر وعدله :

حدثنا مبارك بن فضالة عن عبد الله بن عمر (أنه كان) كثيراً (ما) يقول : (٢) : ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر في وجهه علامة يملأ الأرض عدلاً .

وقد ذكره محمد بن سعد في الطبقات عن نافع عن ابن عمر . وعن نافع عن عمر بن الخطاب أنه كان يقول : ليت شعري من ذو الشين من ولدي الذي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً .

وذكر عن يزيد بن هرون أن دابة من دواب أبيه عبد العزيز ضربته فشجته ، فجعل أبوه يمسح الدم ويقول : سعدت إن كنت أشج بني أمية (٣) .

قال : حدثنا أبو عوانة عن أبي يحيى إمام الموصل ، قال : أرسل

---

(١) هذه الملاحظة محذوفة من المختصر ومثبت فيه بدل قوله « وولدت البنت بنتاً » قوله : « قلت : هي أم عاصم » .

(٢) في الأصل « عن عبد الله بن عمر كثيراً يقول » .

(٣) روى ابن عبد ربه في العقد ، عن بشر بن عبد الله بن عمر ، أن رجلا من خراسان قدم على عمر بن عبد العزيز حين استخلف ، فقال : يا أمير المؤمنين ، رأيت في منامي يقول : « إذا ولي الأشج من بني أمية يملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً » . فولي الوليد فسألت عنه ، فقيل لي : ليس بأشج ، ثم ولي سليمان ، فسألت عنه فقيل : ليس بأشج ، ووليت أنت فكنت الأشج . فقال عمر : تقرأ كتاب الله ؟ قال : نعم ، قال : فبالذي أنعم به عليك ، أحق ما أخبرتني ؟ قال : نعم . فأمره أن يقيم في دار الضيافة ، فمكث نحواً من شهرين ، ثم أرسل اليه عمر ، فقال : هل تدري لم احتبسناك ؟ قال : لا . قال : أرسلت إلى بلدك لنسأل عنك ، فإذا صديقك وعدوك عليك سواء ، فانصرف راشداً .

إليّ عبد العزيز ابن مروان ، فقال : انظر هل ترى في ولدي خليفة ؟ قال : نعم هذا لعمر . فلما استخلف بعث اليه ، فقال : أما تقول فينا مهدي ؟ فهل تراني ذلك المهدي ؟ قال : لا ، ولكنك رجل صالح . قال : فالحمد لله الذي جعلني رجلاً صالحاً .

قال : حدثنا سليمان بن أبي شيخ ، قال : دخل رجل على عمر بن عبد العزيز فأنشده :

إن أولى بالحق في كل حق [1] ثم أولى بأن يكـون حقيقـا
بالتقى والنهـى وأخلاقـه اللا تي تأبـى بغـيره أن تليقـا
من أبوه عبد العزيز بن مـروا ن ومن كان جـده الفاروقـا

(١) في المختصر « من كل حق » .

الباب الثالث

في ذكر طلبه للعلم وسؤاله العلماء واستشارته إياهم

سماع عمر من عبيد الله :

قال ابن بكير ، وحدثني يعقوب ، قال : سمعت أبي يقول : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول : لما رويت عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة أكثر مما [1] رويت عن جميع الناس .

قال ابن بكير ، وحدثني يعقوب عن حمزة بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال : كان عمر بن عبد العزيز يقول : لو كان عبيد الله حياً [2] ما صدرت إلاّ عن رأيه ، ولوددت أن لي ، بيوم واحد ، من عبيد الله كذا وكذا .

نشأة عمر بن عبد العزيز :

قال يعقوب بن سفيان ، وحدثنا سعيد بن عفير ، قال : حدثني يعقوب ، عن أبيه ، أن عبد العزيز بن مروان بعث ابنه عمر إلى المدينة يتأدب بها ، وكتب إلى صالح بن كيسان يتعاهده . وكان عمر يختلف إلى عبيد الله بن عبد الله يسمع منه العلم . وكان صالح بن كيسان يلزمه الصلاة ، فأبطأ يوماً عن الصلاة فقال : ما حبسك ؟ قال : كانت مرحلتي تسكن

(١) في المختصر « أكثر ما رويت جميع الناس » .
(٢) في المختصر « لو كان جاء عبيد الله بما صدرت » .

شعري ، فقال : بلغ بك حبك تسكين شعرك أن تؤثره على الصلاة ؟. وكتب إلى عبد العزيز بذلك ، فبعث إليه عبد العزيز رسولا فلم يكلمه حتى حلق شعره .

قال : حدثنا أبو عكرمة عن العتبي عن أبيه ، قال : قال عمر بن عبد العزيز : كنت أصحب من الناس سراتهم ، وأطلب من العلم شريفه. فلما وليت أمر الناس احتجت إلى أن أعلم سفساف العلم ، فتعلموا من العلم جيده ورديه وسفسافه .

قال : حدثنا ابن أبي الزناد عن أبيه ، قال : ربما كنت أرى عمر بن عبد العزيز في إمارته يأتي [1] عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، فربما حجبه ، وربما أذن له .

قال : حدثنا ضمام عن أبي فسل أن عمر بن عبد العزيز بكى وهو غلام صغير قد جمع القرآن ، فأرسلت اليه أمه فقالت : ما يبكيك ؟ قال : ذكرت الموت . قال : فبكت أمه من ذلك .

قال : حدثنا شعيب بن صفوان ، عن محمد بن مروان ، عن من سمع مزاحماً يقول : قال لي عمر بن عبد العزيز : لقد رأيتني وأنا بالمدينة غلام مع الغلمان . ثم تاقت نفسي إلى العلم ، إلى العربية فالشعر ، فأصبت منه حاجتي .

قال : حدثنا شعبة عن محمد بن عبد الرحمن قال : قال عمر بن عبد العزيز : ما بقي أعلم بحديث عائشة منها . يعني عمرة . قال : وكان عمر يسألها .

---

(١) في المختصر « بأبي » .

نحول جسم عمر بعد الخلافة :

قال : حدثنا أبو المقدام هشام بن زياد قال : حدثنا محمد بن كعب القرظي قال : عهدتُ عمر بن عبد العزيز ، وهو أمير علينا بالمدينة للوليد ابن عبد الملك ، وهو شاب غليظ ممتلىء الجسم ، فلما استخلف أتيته بخناصرة ، فدخلت عليه وقد قاسى ما قاسى ، وإذا هو قد تغيرت حاله عما كان ، فجعلت أنظر اليه نظراً لا أكاد أصرف بصري عنه . فقال : إنك لتنظر إليّ نظراً ما كنت تنظره إليّ من قبل . يا ابن كعب ، قلت : تعجبني . قال : وما عجبك [1] ؟ قلت : لما حال من لونك ، ونفي من شعرك ، ونحل من جسمك . قال : فكيف لو رأيتني ، ياابن كعب ، في قبري بعد ثالثة ، حين تقع حدقتي على وجنتي ، ويسيل منخري ، وفمي صديداً ودوداً ، كنت لي أشد نكرة ؟ ثم قال : أعد عليّ حديثاً حدثتنيه عن ابن عباس ، قلت : نعم ،حدثنا ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « إن لكل شيء شرفاً ، وإن أشرف [2] المجالس مااستقبل به القبلة ، وإنما تجالسون بالأمانة ، ولا تصلوا [3] خلف النائم والمحدث ، واقتلوا الحية والعقرب وإن كنتم في صلاتكم ، ولا تستروا الجدر بالثياب ، ومن نظر في كتاب أخيه بغير إذنه فكأنما ينظر في النار [4] ، ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله ، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله عز وجل أوثق منه بما في يده [5] » .

---

(١) في المختصر « وما تعجبك » .
(٢) في المختصر « شرف المجالس » .
(٣) في المختصر « ولا تصلون » .
(٤) وفي الجامع الصغير حديث « من اطلع في كتاب أخيه بغير أمره فكأنما اطلع في النار » . (طب) عن ابن عباس .
(٥) وقد ورد هذا الحديث في آخر الباب الرابع ص ٣٠ و ٣١ بلفظ آخر .

طلبه النصح من العلماء :

قال : حدثنا الفضل بن الربيع قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة دعا سالم بن عبد الله ، ومحمد بن كعب القرظي ، ورجاء بن حيوة [1] فقال : « إني قد ابتليت بهذا الأمر فأشيروا عليّ » .

فقال له سالم : إن أردت النجاة من عذاب الله فصم عن الدنيا ، وليكن إفطارك منها الموت .

وقال له محمد بن كعب : إن أردت النجاة من عذاب الله ، فليكن كبير المسلمين عندك أباً ، وأوسطهم عندك أخاً ، وأصغرهم عندك ولداً . فوقّر أباك ، وأكرم أخاك ، وتحنن على ولدك .

وقال له رجاء بن حيوة : إن أردت النجاة غداً من عذاب الله عز وجل ، فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك ، وأكره لهم ما تكره لنفسك ، ثم مت إذا شئت .

قال : حدثنا علي بن الحسن ، قال : أخبرني أبو ضمرة ، قال : حدثني صالح بن حسان ، قال : أرسل عمر بن عبد العزيز إلى محمد بن كعب القرظى قال : « صف لي العدل » .

فقال : سألت عن أمر حسن . كن لصغير المسلمين أباً ، ولكبيرهم ابناً ، وللمثل منهم أخاً . وعاقب الناس بقدر ذنوبهم على قدر أجسامهم ، ولا تضربن لغضبك سوطاً واحداً فتتعدى ، فتكون عند الله عز وجل من العادين .

قال : حدثنا عبد الرحمن بن صالح عن رجل من بني حنيفة قال :

---

(١) بسكون الياء وفتح الواو .

قال محمد بن كعب القرظي لعمر بن عبد العزيز : لا تصحب من الأصحاب من خطرك عنده على قدر قضاء حاجته ، فإذا انقطعت حاجته انقطعت أسباب مودته . اصحب من الأصحاب : ذا العلى في الخير ، والأناة في الحق ، يعينك على نفسك ، ويكفيك مؤنته .

قال ابن اسحاق : وحدثنا اسماعيل ، عن جرير ، عن مغيرة قال: قال عمر : لو أدركني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة إذ وقعت فيما وقعت فيه ، لهان عليّ ما أنا فيه .

الباب الرابع [1]

في ذكر طرف مما أسند من الحديث عن رسول الله ﷺ

روايته عن أنس :

أسند عمر بن عبد العزيز ، رضي الله عنه ، الحديث عن جماعة من الصحابة ، وعن جماعة من كبار التابعين ، إلاّ أنه كان مشغولاً عن الرواية ، فلذلك قل حديثه . ونحن نذكر (طائفة) من حديثه يستدل بها على من سمع منه وروى عنه .

فمن جملة من أسند عنه من الصحابة أنس بن مالك . رآه عمر وروى عنه . وصلى أنس بن مالك خلفه . ومما أسند عن أنس ما أخبرنا به أبو الحسن قال : حدثنا — أو قال : حدثني — الحارث بن محمد العنزي عن اسماعيل بن أبي حكيم ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن أنس بن مالك ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن عليكم عدواً من غيركم تدعونه فلا فلا يستجيب لكم » .

قال الدارقطني ، وحدثني الحارث ، عن اسماعيل بن حكيم ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن أنس بن مالك ، قال : كان رسول الله ﷺ من أوجز [2] الناس صلاة في تمام .

---

(١) هذا الباب ناقص من نسخة المختصر المطبوع في ليبسيك .

(٢) سقطت من الأصل لفظة « أوجز » . وقد ورد من هذا المعنى حديث معمر ، عن حميد ، —

روايته عن ابن عمر :

ومما أسند عن ابن عمر رضي الله عنهما . قال : أخبرني سعيد بن يعيش عن جده ، قال له عمرو بن سالم ، عن أبيه ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تبارك وتعالى يحب الشاب الذي يفني شبابه في عبادة الله ، ويحب الإمام المقسط ، وأجره أجر من يقوم ستين عاماً يصوم نهاره ويقوم ليله .

الدارقطني : قال عبد الله بن عمر . وخالفه غيره ، فقال ابن عمر وهو الصواب .

قال : حدثنا محمد بن الفضل بن عطية ، عن سالم الأفطس ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن عبد الله بن عمر ، عن النبي ﷺ ، قال : « إن الله يحب الشاب الذي يفني شبابه في طاعة الله . »

روايته عن ابن جعفر :

ومما أسند عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، رضي الله عنه . قال : حدثنا يونس بن أبي اسحق ، عن عبد العزيز [1] ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر ، عن أسماء بنت عميس ، قالت : علمني رسول الله ﷺ دعوة الكرب ، قال : « إذا نزل بكِ كربٌ فقولي : الله الله ربي لا أشرك به شيئاً . »

وقد رواه الفضل بن دكين فأدخل بين عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، عن هلال ، مولى عمر ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، قال : علمتني أمي ، أسماء بنت عميس ،

— عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتم الناس صلاة وأوجزه . (رواه أحمد في مسنده ج ٣ ص ١٠٠) .

(١) هو عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز .

شيئاً أمرها به رسول الله ﷺ أن تقول عند الكرب : « الله الله ربي لا أشرك به شيئاً » . قال القرشي : لا شريك له .

روايته عن ابن أبي سلمة :

ومما أسند عن عمرو بن أبي سلمة المخزومي . قال : حدثنا إبراهيم بن أبي يحيى ، عن إسماعيل بن أبي حكم ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن عمرو بن أبي سلمة أنه رأى النبي ﷺ ، يصلي في ثوب واحد متشحاً به وقد خالف بين طرفيه .

هذا غريب من حديث عمر بن عبد العزيز ، تفرّد به الحسن ، عن عبد الكريم .

روايته عن السائب :

ومما روي عن السائب . والسائب هو ابن أخت نمر ، مسح رسول الله ﷺ رأسه ، ودعا له ، وحج حجة الوداع معه . قال : حدثنا عبد الرحمن بن عوف ، قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يسأل السائب بن أخت النمر : ما سمعت في سكنى مكة ؟ قال : حدثني العلاء بن الحضرمي أن رسول الله ﷺ قال : « المهاجر ثلاثة أيام بعد الصدر » .

حدثنا القاسم بن مالك المزني عن الجعيد ، قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول للسائب بن يزيد : هل رأيتَ أحداً من أصحاب رسول الله يأتزر الرداء ويرتدي الرداء ثم يخرج ؟ قال : نعم . قال : لو صنع ذلك أحدٌ اليوم لقيل : مجنون .

روايته عن ابن سلام :

ومما روي عن يوسف بن عبد الله بن سلام . قال : حدثنا محمد بن

إسحاق ، عن يعقوب بن [1] عن عمر بن عبد العزيز ، عن يوسف بن عبد الله ابن سلام ، عن أبيه قال : كان النبي ﷺ قلّ ما يحدث ، إلاّ يلمع ببصره إلى السماء .

ارساله الحديث :

وقد ارسل الحديث عن جماعة من القدماء . منهم : **عبادة بن الصامت** . قال : حدثنا إبراهيم بن يحيى عن عبد العزيز ابن عمر بن عبد العزيز ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ، ﷺ ، كان إذا دخل رمضان قال : « اللهم سلمني لرمضان ، وسلم لي رمضان ، وتسلمه مني مقبلاً . »

ومنهم : **تميم الداري** . قال : أخبرني سعيد بن يعيش ، عن جده ، عن عمر بن سالم الأفطس ، عن أبيه ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن تميم الداري ، قال : سمعت رسول الله ، ﷺ ، يقول : « من لقي الله عز وجل بخمس لم يحجب عن الجنة : النصح لله عز وجل ، والنصح لكتاب الله ، والنصح لرسول الله ، ﷺ ، والنصح لأئمة المسلمين ، والنصح لعامة المسلمين . »

ومنهم **المغيرة بن شعبة** . قال : حدثنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر ، قال : حدثنا عمر بن عبد العزيز ، عن المغيرة بن شعبة ، أن النبي ﷺ — ورواه عبد الرحمن بن عوف — قال : « إنه لم يمت نبي حتى يصلي وراء رجل صالح من أمته . »

وأرسل الحديث **عن عائشة** ، رضي الله عنها ، قال : حدثنا أسامة بن زيد ، عن زياد بن عبد العزيز ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن عائشة

---

(١) بياض في الأصل .

رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ، ﷺ ، يصلي في الحجرة ، يفرق بين الشفع والوتر ، أسمع تسليمه وأنا في البيت .

وعن أم هانيء . قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن محمد بن قيس ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن أم هاني . قالت : صلى رسول الله ﷺ في بيتي يوم الفتح ثمان ركعات .

وعن خولة بنت الحكم . حدثنا سفيان بن عيينة ، عن ابراهيم بن ميسرة ، عن ابن أبي سويد ، عن عمر بن عبد العزيز قال : سمعت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم أن رسول الله ﷺ خرج ، وهو محتضن احد ابني ابنته حسناً أو حسيناً عليهما السلام ، وهو يقول : « إنكم لتبخلون وتجبنون وتجهلون وإنكم لمن ريحان الله عز وجل » .

فصل

قصته على مولى علي

وقد ذكر عمر بن عبد العزيز أنه سمع عدة من أصحاب رسول الله ﷺ . قال : حدثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب قال : حدثني عمر بن مورق قال : كنت بالشام ، وعمر بن عبد العزيز يعطي الناس ، قال : فتقدمت إليه ، فقال لي : ممن أنت ؟ قلت : من قريش . قال : من أي قريش ؟ قلت : من بني هاشم . قال : من أي بني هاشم ؟ فسكتّ ، فقال : من أي بني هاشم ؟ فقلت : مولى علي بن أبي طالب . قال : فوضع يده على صدره وقال لي : أيا مولى علي بن أبي طالب ، حدثني عدة أنهم سمعوا النبي ﷺ يقول : « من كنت مولاه فعلي مولاه » . ثم قال : يا مزاحم ، كم تعطي أمثاله ؟ قال : مائة درهم أو مائتي درهم . فقال : أعطه خمسين ديناراً لولايته لعلي بن أبي طالب عليه السلام .

وقد روى هذه القصة أبو نعيم فقال عن يزيد بن عمر بن مورق · قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثني عيسى بن عبدالله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب قال : حدثني يزيد بن عمر بن مورق بهذا الحديث . إلاّ أنه قال : مر عليّ وزاد في هذا عشرة دنانير ، فقال : يعطى ستين ديناراً . ثم قال : إلحق ببلدك فسيأتيك مثل ما يأتي نظراءك . وقد رواه الدارقطني فقال فيه : زريق مولى علي عليه السلام .

قال : حدثنا مخلد بن أيوب النصيبي ، قال : حدثنا مخلد بن الحسن عن هشام قال : وفد زريق مولى علي بن أبي طالب ، عليه السلام ، على عمر بن عبد العزيز ، وكان قد حفظ القرآن والفرائض ، فقال : يا أمير المؤمنين إني رجل من أهل المدينة . وقد حفظت القرآن والفرائض وليس لي ديوان . قال عمر : ولِمَ يرحمك الله من أي الناس أنت ؟ قال : رجل من موالي بني هاشم . فقال : مولى من ؟ فقال له : رجل من المسلمين. فقال له عمر : إليك أسألك — وصاح به — أتكتمني من أنت ؟ فقال سراً أنا مولى علي بن أبي طالب عليه السلام — وكانت بنو أمية لا يذكر علي بين أيديهم — فبكى عمر حتى جرت دموعه إلى الأرض ، ثم قال : وأنا مولى علي ، أتكاتمني ولاء علي ؟ حدثني سعيد بن المسيب ، عن سعد ابن أبي وقاص ، أن النبي ﷺ قال : « من كنت مولاه فعلي مولاه » .

فصل

روايته عن جماعة من كبار التابعين

وقد روى عمر بن عبد العزيز عن جماعة من كبار التابعين .

منهم : **سعيد بن المسيب** ، **وعبد الله بن إبراهيم بن قارظ** : فمن حديثه عنهما ما أخبرناه علي بن أبي عمر قال : حدثني الليث ، عن

عقيل ، عن ابن شهاب قال : أخبرني عمر بن عبد العزيز ، عن عبد الله ابن ابراهيم بن قارظ ، وعن سعيد ابن المسيب أنهما حدثاه أن أبا هريرة قال : سمعت رسول الله ، ﷺ ، يقول : « **إذا قلت لصاحبك أنصت ، والامام يخطب يوم الجمعة ، فقد لغوت** » [1] .

قال حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن عبدالله ابن ابراهيم بن قارظ ، عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **توضؤا مما مست النار** » .

الأعيان الباقية عند المفلس :

وروي **عن أبي بكر بن عبد الرحمن** ؛ قال : حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري أن أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أخبره أنه : سمع عمر ابن عبد العزيز أبا بكر بن عبد الرحمن يحدث أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « **من أفلس بمال قوم ، فوجد رجل متاعه بعينه ، فهو أحق به** » . هذا حديث صحيح متفق عليه .

أخبرنا ابن أبي عمر ، قال : حدثنا ابن أبوب قال : حدثنا عبدالله ابن أحمد قال : حدثنا الدارقطني عن أبي بكر بن محمد ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ؛ عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **مَن وجد مالَه بعينه عند رجل قد أفلس فهو أحق به** » .

قال : حدثنا أحمد بن علي بن ثابت ، قال : سمعت محمد بن حزم يقول : سمعت أبا بكر بن الحارث يقول : — وهو ابن عبد الرحمن بن الحارث — قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « **من أدرك مالَه بعينه عند رجل أو إنسان قد أفلس فهو أحق به من غيره** » .

---

(1) لغوت : من اللغو . السقط في الكلام .

قال حدثنا سفيان عن يحيى بن سعيد ، عن أبي بكر الأنصاري ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ أنه قال : « من وجد ماله عند رجل مفلس فهو أحق به » .

وعن النبي ﷺ أنه سجد في : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴾ [1] ، و : ﴿ اقرأ ﴾ [2] .

حديث خديجة بشأن جبريل :

قال : حدثنا اسماعيل بن حكيم ، قال : حدثني عمر بن عبد العزيز ، قال : حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ، قال : حدثتني أم سلمة ، قالت : سمعت خديجة رضي الله عنها ، تقول لرسول الله ﷺ : يارسول الله ، أتستطيع إذا جاءك هذا الذي يأتيك أن تخبرني به ؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم . قالت خديجة : فجاءه جبريل عليه السلام يوماً وأنا عنده ، فقال رسول الله ﷺ : ياخديجة ، هذا أخي الذي يأتيني قد جاء ، فقلت له : قم فاجلس على فخذي هذا . فقام فجلس على فخذي الأيمن . فقلت له : هل تراه ؟ قال : نعم . فقلت له : قم ، فتحرك ، فاجلس على فخذي الأيسر . فقام فجلس على فخذي الأيسر . فقلت : هل تراه ؟ قال : نعم . قالت خديجة : فتحسرت فطرحت عني خماري ، ثم قلت : هل تراه ؟ قال : لا . فقلت والله هذا ملك كريم ، لا والله ماهذا شيطان ، قالت خديجة : فقلت لورقة بن نوفل . ذلك بما أخبرني به محمد ﷺ . فقال ورقة : أحقّ يا خديجة حديثك هذا ؟ قلت : نعم . قال : فإنه نبي حقاً .

روايته عن سالم بن عبد الله بن عمر :

قال : حدثنا مبشر بن اسماعيل ، عن نوفل بن أبي الفرات الحلبي .

---

(١) سورة الانشقاق ، الآية : ١ . (٢) سورة اقرأ ، الآية : ١ .

عن عمر ، عن سالم ، عن أبيه ، قال : قال النبي ﷺ : « اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين إليك : عمر أو أبي جهل » .

قال : حدثنا مبشر بن اسماعيل الحلبي ، عن نوفل بن أبي الفرات : قال : ذكر عند عمر بن عبد العزيز رفع اليدين في الصلاة ، فقال : أترون سالماً لم يحفظ عن أبيه ؟ أترون أباه لم يحفظ عن النبي ﷺ ؟

روايته عن سلمة بن عبد الرحمن :

وروى عن أبي سلمة بن عبد الرحمن . قال : حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن قيس ، قال : حدثنا عمر بن عبد العزيز : أنَسْجدُ في : ﴿ إذَا السَّماء انْشَقّتْ ﴾ [1] . فقلت لا . فقال عمر بن عبد العزيز : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن ،عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ كان يسجد في : ﴿ إذا السماء انْشَقّتْ ﴾ .

قال : حدثنا ابراهيم بن عمرو بن بكر السكسكي ، قال : حدثنا أبي ، عن أبي سنان الشيباني ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف ، عن ربيعة بن كعب . أن النبي ﷺ قال : « أفضل طعام الدنيا والآخرة اللحم » . تفرد به محمد بن داود الرملي .

قال : حدثني أبو علقمة السعدي ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة وابن عباس ، عن رسول الله ﷺ قال : « من قرأ : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ ﴾ [2] . إحدى عشرة مرة ابتغاء وجه الله نزع الفقر من بين عينيه وجعل غناه في قلبه ، وحشى قلبه الحكمة ».

روايته عن عروة :

وروي عن عروة بن الزبير . قال : حدثنا مروان بن سالم الجري ، عن عبد العزيز مولى عمر بن عبد العزيز ، عن هلال مولى لهم ، عن عمر

---

(١) سورة الإنشقاق ، الآية : ١ . (٢) سورة الإخلاص ، الآية : ١ .

ابن عبد العزيز ، قال : حدثني عروة بن الزبير ، عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن ينام وهو جُنُب توضأ وضوءه للصلاة.

قال : حدثنا ابن علاثة قال : حدثنا ابراهيم بن أبي عبلة قال : سمعت عمر بن عبد العزيز قال : حدثني عروة بن الزبير ، عن عائشة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من ساعة تمر بابن آدم لم يكن ذاكراً الله فيها بخير إلا حسر عليها يوم القيامة » . تفرد به ابن علاثة .

قال : حدثني شيبة الحضري قال : كنا عند عمر بن عبد العزيز ، فحدثنا عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاث أحلف عليهن : لا يجعل الله عز وجل من لـــه سهم في الاسلام كمن لا سهم له . وأسهم الاسلام ثلاثة : الصلاة والصوم والزكاة . ولا يتولى الله عبداً في الدنيا فيوليه غيره يوم القيامة . ولا يحب رجل قوماً إلاّ جعله الله معهم . والرابعة لو حلفت عليها لرجوت أن لا آثم لا يستر الله على عبد في الدنيا إلاّ ستره يوم القيامة » .

روايته عن عبيد الله بن عتبة ، وخارجة بن زيد بن ثابت :

وروى عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة . قال : حدثنا مبشر بن اسماعيل، عن نوفل بن أبي الفرات . عن عمر بن عبد العزيز ، عن عبيدالله بن عبد الله بن عتبة . عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان أجود من الريح المرسلة إذا نزل عليه جبريل عليه السلام يدارسه القرآن .

وروى عن خارجة بن زيد بن ثابت . قال : حدثني عبد الخالق ، مولى حازم . عن عبد الوهاب بن بحت قال : حضرت عمر بن عبد العزيز وأتى موالٍ لسليمان في جراح كانت بينهم ، وعنده سليمان بن حبيب المحاربي فقال عمر : قم فاقض بينهم : واعلم أن رسول الله ﷺ لم يقض في شجة دون الموضحة ، كما حدثني خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبيه . عن رسول الله ﷺ .

قال : حدثنا مبشر بن اسماعيل،عن نوفل بن أبي الفرات ، عن عمر ، عن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبيه أن النبي ﷺ قرأ : ﴿ فيَوْمَئِذ لاَ يُعَذِّبُ عَذَابَه أحد * ولاَ يُوثِقُ وَثَاقَهُ أحَدٌ ﴾ [1] .

روايته عن عامر بن سعد بن أبي وقاص :

وروى عن عامر بن سعد بن أبي وقاص . قال : حدثنا محمد بن المنذري ، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص ، عن أسامة بن زيد ، عن رسول الله ﷺ قال : ذكر الطاعون عنده فقال : « إنــه رجس ، أو رجز ، عذبت به أمة من الأمم ، وقد بقيت منه بقايا ، فإذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع وأنتم بأرض فلا تهربوا منها » . قال محمد بن المنذر فحدثث بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز فقال : هكذا حدثني عامر بن سعد بن أبي وقاص .

قال : حدثني محمد بن أبي يحيى ، عن عبدالله بن عبد الرحمن بن معمر ، وهو أبو طوالة ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه أن النبي ﷺ قال : « من أكل سبع تمرات عجوة فيما بين لابتي المدينة حين يصبح لم يضره شيء حتى يمسي » .

روايته عن أبي بردة :

وقد روى عن أبي بردة ، عن أبي موسى الأشعري . قال : حدثنا أبو الدهماء ، عن ثابت البنـــاني ، عن عمر ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم القيامة ، جمع الله الخلائق في صعيد واحد ، ثم ترفع لكل قوم آلهتهم التي كانوا يعبدون . فيوردونهم النار ، ويبقى الموحدون . فيقال لهم : ما تنتظرون ؟ فيقولون : ننتظر رباً كنا نعبده بالغيب . فيقال لهم : أوتعرفونه ؟ فيقولون : إن

(١) سورة الفجر ، الآيتان : ٢٥ – ٢٦ .

شاء عرفنا نفسه . فيتجلى لهم فيخرون سُجّداً . فيقال لهم : يا أهل التوحيد ، ارفعوا رؤوسكم ، فقد أوجب الله لكم الجنة . وجعل مكان كل رجل منكم يهودياً ونصرانياً في النار » .

قال : حدثنا علي بن زيد ، عن عمارة القرشي ، عن أبي بردة قال : رفدنا إلى الوليد بن عبد الملك ، وكان الذي يقبل في حوائجي عمر بن عبد العزيز ، قال : فلما قضيت حوائجي أتيته فودعته ، وسلمت عليه ، ثم نهضت فذكرت حديثاً حدثني به أبي ، سمعه من رسول الله ﷺ ، فأحببت أن أحدثه ، فرجعت اليه ، فلما رآني قال : لقد رد الشيخَ حاجةٌ فلما قربت منه قال : أليس قد قضيت حاجتك ؟ قال : قلت : بلى ، ولكن حديث سمعته من أبي ، سمعه من رسول الله ﷺ ، فأحببت أن أحدثك به لما أوليتني ، قال : فقال : وما هو ؟ قال : حدثني أبي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا كان يوم القيامة ، مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون في الدنيا ، ويبقى أهل التوحيد . فيقال لهم : ما تنتظرون وقد ذهب الناس ؟ فيقولون : إن لنا ربّاً كنا نعبده في الدنيا لم نره ، قال: وتعرفونه إذا رأيتموه ؟ فيقولون : نعم . فيقال لهم : وكيف تعرفونه ولم تروه ؟ قالوا : إنه لا شبه له . فيكشف لهم الحجاب ، فينظرون إلى الله تبارك وتعالى ، فيخرون له سُجّداً . ويبقى أقوام في ظهورهم مثل صياصي البقر ، فيريدون السجود فلا يستطيعون ، فذلك قول الله علا وجل : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إلى السّجود فلا يستطيعون﴾ [1] فيقول الله عز وجل : عبادي ، ارفعوا رؤوسكم ، فقد جعلت بدل كل رجل منكم رجلاً من اليهود والنصارى في النار » . فقال عمر بن عبد العزيز : الله الذي لا إله إلا هو ، يحدثك أبوك هذا الحديث سمعه من من رسول الله ﷺ ؟ فحلفت له ثلاثة أيمان على ذلك فقال عمر : ما سمعت في أهل التوحيد حديثاً هو أحب إليّ من هذا الحديث .

---

(١) سورة القلم ، الأيه : ٤٢ .

روايته عن الربيع بن سبرة :

وروى عن الربيع بن سبرة الجهني . قال : حدثنا عبد الرحمن بن معزا ، عن محمد بن اسحاق ، عن الزهري ، عن عمر ، عن الربيع بن سبرة الجهني ، عن أبيه قال : نهى النبي ﷺ عن متعة النساء يوم الفتح .

روايته عن عراك بن مالك :

وروى عن عراك بن مالك . قال : حدثنا حماد بن سلمة . عن خالد الحذّاء ، ، عن خالد بن الصلت قال : كنا عند عمر بن عبد العزيز ، فذكروا الرجل يجلس على الخلاء فيستقبل القبلة ، وكرهوا ذلك . فحدث عن عراك بن مالك ، عن عائشة أن ذلك ذكر عند النبي ﷺ فقال : « أوقد فعلوها حولوا مقعدي إلى القبلة » .

قال : حدثني زياد بن أبي زياد مولى عياش ، عن عراك بن مالك قال : سمعته يحدث عمر بن عبد العزيز ، عن عائشة بنت أبي بكر قالت : جاءتني سكينة تحمل ابنتين لها ، فأطعمتها ثلاث تمرات ، فأعطت بنتيها كل واحدة منهما تمرة ، ورفعت تمرة إلى فيها لتأكلها، فاستطعمتهاها ابنتاها ، فشقت التمرة التي أرادت أن تأكلها بينهما . فأعجبني شأنها . فذكرتها والذي صنعت لرسول الله ﷺ ، فقال : « إن الله ، عز وجل ، قد أوجب لها بهما الجنة ، وأعتقها من النار بهما » .

روايته عن أبيه :

وقد روى عن أبيه . قال : حدثنا المغيرة بن أبي السعدي قال . حدثنا الحسن ابن أبي الحسن ، عن عمر بن عبد العزيز ، عن أبيه ، عن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا خشي أحدكم نسيان القرآن فليقل : اللهم ارحمني بترك المعاصي أبداً ما أبقيتني ، وارحمني بترك ما لا يعنيني ، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني ،

وألزم قلبي حفظ كتابك كما علمتني ، ونوِّر به بصري ، واشرح به صدري ، واجعلني أتلوه كما يرضيك عني ، وافتح به قلبي ، وأطلق به لساني » .

روايته عن الزهري :

وروى عن الزهري . قال : حدثنا علي بن عياش ، عن أبي مطيع الاطرابلسي ، عن عباد بن كثير ، عن عمر ، عن الزهري ، عن أنس ابن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لكل دين خلقاً ، وإن خلق الاسلام الحياء » .

روايته عن محمد بن كعب :

وروى عن محمد بن كعب . قال : حدثنا جعفر بن سليمان قال : حدثنا هشام بن أبي هشام ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز بعث إلي وأنا بالمدينة ، فقدمت عليه ، فلما دخلت ، جعلت أنظر اليه نظراً لا أصرف بصري عنه تعجباً ، فقال : يا كعب ، إنك لتنظر إليّ نظراً ما كنت تنظره ؟ قال : قلت : تعجباً ! قال : ما أعجبك ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، أعجبني ما حال من لونك، ونحل من جسمك ، ونفي من شعرك . قال : فكيف لو رأيتني بعد ثلاث وقد دليت في حفرتي ، وسالت حدقتي على وجنتي ، وسال منخري صديداً ودوداً ، كنت لي أشد نكرة ؟ .

حدثنا حديثاً نحفظه عن ابن عباس . قال : قلت : أخبرنا ابن عباس ، عن رسول الله ، ﷺ ، أن من أشرف المجالس ما استقبل القبلة ، ولا تصلوا خلف نائم ، ولا محدث ، ولا تستروا الجدر بالثياب ، واقتلوا الحية والعقرب ، وإن كنتم في صلاتكم . ومن نظر في كتاب أخيه بغير إذنه فكأنما ينظر في النار .

وقال : من سره أن يكون أقوى الناس ، فليتوكل على الله ، عز وجل ، ومن سره أن يكون أكرم الناس ، فليتق الله ، ومن سره أن يكون أغنى الناس ، فليكتف برزق الله [1] .

صفات شرار الناس :

ثم قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أنبئكم بشراركم » ؟ قلنا : بلى يارسول الله . قال : « الذي يقول وحده ، ويمنع رفده ، ويجلد عبده ».

ثم قال : ألا أنبئكم بشر من هذا ؟ قلنا : بلى يارسول الله . قال : « الذي يبغض الناس ويبغضونه » .

ثم قال : ألا أنبئكم بشر من هذا ؟ أو قال : من ذلك ؟ قلنا : بلى يارسول الله . قال : « الذين لا يقيلون عثرة ، ولا يغفرون ذنباً ، ولا يقبلون معذرة » .

ثم قال : « ألا أنبئكم بشر من هذا » ؟ قلنا : بلى يارسول الله . قال : « من خيف شره ولم يُرجَ خيره . إن عيسى ابن مريم قال في بني إسرائيل فقال : يا بني إسرائيل ، لا تكلموا بالحكمة عند الجهال ، فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ، ولا تظالموا بينكم . ولا تعاقبوا ظالماً بظلمه فيبطل فضلكم . إنما الأمور ثلاثة : أمر تبين لك رشده فاتبعه ، وأمر تبين لك غيه فاجتنبه ، وأمر اختُلِفَ فيه فَرُدَّه إلى الله تعالى وجل»[1] .

سماعه من أبي سلام :

وقد سمع من أبي سلام — واسمه ممطور الحبشي — وهو يروي عن ثوبان وأبي أمامة . قال : حدثنا اسماعيل بن عياش ، عن العباس بن

(١) سبق إيراد هذا في ص ١٥ مع تغيير في اللفظ .

(٢) أورد هذا ابن عبد ربه في العقد (ج ٢ ص ٢٦٢) بعد خبر رد عمر بن عبد العزيز (فدك) إلى ما كانت عليه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

سالم اللخمي قال : بعث عمر بن عبد العزيز إلى أبي سلاّم الحبشي يحمل على البريد . فلما قدم عليه قال : لقد شق عليّ . قال عمر : ما أردنا ذلك . ولكنه بلغني عنك حديث ثوبان في الحوض ، فأحببت أن أشافهك به . فقال : سمعت ثوبان يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن حوضي من عدن إلى عمان البلقاء . ماؤه أشد بياضاً من اللبن . وأحلى من العسل . وأكوابه عدد نجوم السماء . من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً : أول الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين » . قال عمر بن الخطاب هم الشعث رؤوساً . الدنس ثياباً . الذين لا ينكحون المتعات . ولا تفتح لهم أبواب السدد . فقال عمر بن عبد العزيز : لقد فتحت لي السدد . ونكحت المتعات . لا جرم . لا أدهن رأسي حتى يشعث . ولا أغسل ثوبي الذي على بدني حتى يتسخ .

روايته عن ابي حازم وغيره :

وقد روى عن أبي حازم ، وخلق يطول ذكرهم ، اقتصرنا على من ذكرنا لأنهم المقدمون من الكل . والله الموفق بفضله .

الباب الخامس

في ذكر غزارة علمه وفصاحته وثناء الناس عليه

صلاته أشبه بصلاة رسول الله ﷺ :

قال : حدثنا فليح ، عن محمد بن مساحق ، عن عامر بن عبد الله – يعني ابن الزبير – عن أنس ، قال : ما رأيت إماماً أشبه بصلاة رسول الله ﷺ من إمامكم هذا – لعمر بن عبد العزيز وهو بالمدينة يومئذ وكان عمر لا يطيل القراءة .

قال : حدثنا العطاف بن خالد المخزومي ، قال : حدثنا زيد بن أسلم قال : صلينا مع عمر بن عبد العزيز الظهر ، ثم انصرفنا إلى أنس ابن مالك وكان شاكياً . فلما جلسنا قال : أصلّيتم ؟ قلنا : نعم . قال : ياجارية هلمي وضوءاً ، ما صليت خلف إمام بعد رسول الله ﷺ ، أشبه بصلاة رسول الله من إمامكم – يعني عمر بن عبد العزيز – قال زيد : وكان عمر يتم الركوع والسجود ، ويخفف القيام والقعود .

قال الدارقطني : وحدثنا محمد بن القاسم بن زكريا قال : حدثنا أبو كريب قال : حدثنا رشد بن سعد ، عن عبد الرحمن بن عمر ، مولى عفرة ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن أنس بن مالك قال : ما رأيت أحداً أشبه بصلاة النبي ﷺ من هذا الغلام – يعني عمر بن عبد العزيز – .

قال : حدثنا عبد الله بن إبراهيم بن عمر بن كيسان ، عن أبيه ، قال : سمعت وهب بن قابوس ، عن سعيد بن جبير ، قال : سمعت أنساً يقول : ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله ، ﷺ ، من هذا الغلام — يعني عمر بن عبد العزيز — فحررنا عشر تسبيحات في ركوعه وعشراً في سجوده .

علمه وفصاحته :

قال : حدثنا أبو بكر بن أبي الأسود قال : حدثنا جعفر بن سليمان، عن هشام قال : لما جاء نعي عمر بن عبد العزيز قال الحسن : مات خير الناس .

قال : حدثنا ميسر بن اسماعيل ، عن جعفر بن برقان ، عن ميمون ابن مهران قال : أتينا عمر بن عبد العزيز ، فظننا أنه يحتاج الينا ، فإذا نحن عنده تلاميذه — أو قال تلامذة — .

قال : حدثنا جعفر بن برقان ، قال : حدثني ميمون بن مهران ، قال : حدثنا عمر بن عبد العزيز معلم العلماء .

قال : حدثنا سفيان ، عن عمر بن عبد العزيز : كانت العلماء مع عمر بن عبد العزيز تلامذة .

قال : حدثنا سفيان ، عن جعفر — أو قال حدثنا عن جعفر بن برقان— عن ميمون بن مهران قال : ما كان العلماء عند عمر بن عبد العزيز إلاّ تلامذة .

قال : حدثنا عبد الرحمن — يعني ابن مهدي — عن محمد بن أبي الوضاح . عن خصيف قال : ما رأيت رجلاً خيراً من عمر بن عبد العزيز.

قال : حدثنا أبو هاشم القرشي قال : قال عبد الملك بن مروان لعمر بن

عبد العزيز : قد زوجك أمير المؤمنين فاطمة بنت عبد الملك ، فقال : وصلك الله يا أمير المؤمنين ، فقد أجزلت العطية ، وكفيت المسألة . فأعجب به عبد الملك ، فقال بعض أولاد عبد الملك : هذا كلام تعلمه فأدّاه [1] . فدخل على عبد الملك يوماً فقال : يا عمر كيف نفقتك ؟ فقال : الحسنة بين السيئتين [2] يا أمير المؤمنين ، قال : فما هما ؟ قال : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتّروا . وكان بين ذلك قواما ﴾ . فقال عبد الملك : من علمه هذا ؟ .

كلامه لما خطبت اليه أخته :

قال : حدثني محمد بن عبيد الله القرشي ، عن أبي المقدام قال : كانت قريش تستحسن من الخاطب الإطالة ، ومن المخطوب إليه التقصير . فشهدت محمد بن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان خطب إلى عمر بن عبد العزيز أخته ، أم عمر بنت عبد العزيز . فتكلم محمد بن الوليد بكلام جاز الحفظ فقال عمر :

الحمد لله ذي الكبرياء . وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء . أما بعد.. فإن الرغبة (منك دعيت الينا . والرغبة) [3] فيك أجابت (منا) [4] . وقد أحسن بك ظناً [5] من أودعك كريمته واختارك ولم يختر عليك .

قال : حدثني محمد بن كعب القرظي قال : اجتمع نفر من علماء أهل الشام وعلماء أهل الحجاز ، فكلمنا عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز فقلنا : نحب أن تسأل [6] عمر ونحن نسمع عن قول الله تعالى : ﴿ وأنّى

---

(١) في المختصر « فآداه » .
(٢) في المختصر « السئتين » .
(٣) و (٤) مفقودة من الأصل المخطوط ومثبتة في المختصر المطبوع .
(٥) المختصر « الظن » .
(٦) في المختصر « نسأل » .

لَهُمُ التَّنَاوشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [1]. قال : فسأله ونحن نسمع ، فقال عمر : سألت عن التناوش وهي التوبة طلبوها حين لم يقدروا عليها .

قال : حدثنا ابن وهب قال : حدثني الليث أن إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز حدثه أنه سمع أباه يقول لابن شهاب : ما أعلمك تعرض عليّ شيئاً إلاّ شيئاً قد مر [2] على مسامعي إلاّ أنك آوعى له مني .

قال : حدثنا حماد بن زيد ، عن معمر ، عن الزهري قال : سمرت[3] مع عمر بن عبد العزيز ليلة . فحدثته فقال : كل ما حدثت به فقد سمعته ، ولكنك حفظت ونسيت [4] .

زيارة مكحول لقبر عمر :

قال هشام بن الغاز : نزلنا منزلا مرجعنا [5] من دابق ، فلما ارتحلنا مضى مكحول ولم يعلمنا أين ذهب . فسرنا كثيراً حتى رأيناه ، فقلنا : أين ذهبت ؟ قال : أتيت قبر عمر بن عبد العزيز ، وهو على خمسة أميال من المنزل . فدعوت له ثم قال : لو حلفت ما اشتثنيت ، ما كان في زمانه أخوف لله ـ عز وجل ـ من عمر [6] ؛ ولو حلفت ما استثنيت ما كان في زمانه أزهد في الدنيا من عمر .

قال : حدثنا سفيان قال : مات عمر بن عبد العزيز ، حين مات ، وما يزداد عاماً بعد عام إلاّ فضلاً .

---

(١) سورة سبأ ، الآية : ٥٢ .
(٢) في المختصر قدم .
(٣) في المختصر « شهدت » .
(٤) في المختصر « ونسيت » .
(٥) محذوفه من المختصر .
(٦) في المختصر تقديم وتأخير في هذه الجملة والتي بعدها .

قال : حدثنا سعيد بن عامر ، عن أحمد بن الأشعث ، عن سعيد بن أبي عروبة قال ، قال له رجل : رأيت فلاناً لم يقبل الحجر ، فقال : قد رأيت من هو خير منه يقبله ، فقيل له : من يا أبا النضر خير منه ، قيل : الحسن ؟ قال : خير منه [1] رأيت عمر بن عبد العزيز يقبل الحجر.

(١) في المختصر « قال خير من الحسن » .

الباب السادس

في ذكر ما يروى من شهادة رسول الله ﷺ له بأنه خير أهل زمانه

حكاية الهاتف من الجن :

قال : حدثنا محمد بن (١) — أو قال : حدثنا محمد بن فضيل — عن أبيه ، عن العباس بن راشد ، قال : نزل بنا عمر بن عبد العزيز (منزلا) (٢) ، فلما رحل ، قال لي مولاي ، أخرج معه فشيعه . قال : فخرجت معه ، فمررنا بواد فإذا نحن بحية ميتة على الطريق ، قال : فنزل عمر فنحاها وواراها ، ثم ركب وسرنا ، فإذا نحن بهاتف يهتف ، وهو يقول : يا خرقاء! يا خرقاء! قال : فالتفتنا (٣) يميناً وشمالا فلم نر أحداً ، فقال عمر : أسألك بالله أيها الهاتف إن كنت ممن يظهر ألاّ ظهرت وألاّ أخبرتنا ما الخرقاء ؟ فقال : الحية التي دفنتم بمكان كذا وكذا ، فإني سمعت رسول الله ﷺ ، يقول لها يوماً : يا خرقاء ! تموتين بفلاة من الأرض (٤) ، يدفنك خير مؤمن أهل الأرض يومئذ ، فقال له عمر : من أنت ، يرحمك الله ؟ قال : أنا من التسعة الذين بايعوا رسول الله ﷺ في هذا الوادي . فقال له : الله ! لأنت سمعت هذا من رسول الله ؟ قال: الله ! إني سمعت هذا من رسول الله . فدمعت عينا عمر وانصرفنا .

---

(١) بياض .

(٢) من المختصر .

(٣) في المختصر « فالتقينا » .

(٤) في المختصر « بأرض فلاة من الأرض » .

قال : وحدثنا العباس بن راشد قال : زار عمر بن عبد العزيز مولاي ، فلما أراد الرجوع قال لي : شيّعه . فلما برز فإذا نحن بحية سوداء ميتة . فنزل عمر ، فدفنها . فإذا هاتف يهتف : ياخرقاء ! ياخرقاء ! إني سمعت رسول الله ﷺ يقول لهذه الحية : لتموتن بفلاة من الأرض ، وليدفننك خير أهل الأرض يومئذ . فقال عمر : نشدتك بالله إن كنت ممن يظهر ألاّ ظهرت لي . فقال : أنا من التسعة الذين بايعوا رسول الله ﷺ في هذا الوادي ، وإني سمعته يقول لهذه الحية : لتموتن بفلاة من الأرض ، وليدفننك خير أهل الأرض يومئذ . قال : فبكى عمر حتى كاد يسقط عن راحلته . وقال : ياراشد أنشدك الله أن لا تخبر بهذا أحداً حتى يواريني التراب .

وقد روي من غير طريق راشد . قال : حدثني يوسف بن الحكم قال : حدثني فياض بن محمد الرقي ، أن عمر بن عبد العزيز . بينا هو يسير على بغلة له ومعه ناس من أصحابه ، إذا هو بجان ميت على قارعة الطريق ، فنزل عمر ، فأمر به فعدل به عن الطريق ، ثم حفر له فدفنه ، وواراه . ثم مضى . فإذا هو بصوت عال يسمعونه ولا يرون أحداً وهو يقول : لتهنك البشارة من الله يا أمير المؤمنين . أنا وصاحبي هذا ، الذي دفنته آنفاً ، من النفر من الجن الذين قال الله عز وجل : ﴿ وإذْ صَرَفْنا إليكَ نَفَراً منَ الجنِّ يَسْتَمِعونَ القُرْآن ﴾ [1] . وإنا لما أسلمنا وآمنا بالله ورسوله ، قال رسول الله لصاحبي هذا : أما أنك ستموت في أرض غربة ، يدفنك فيها يومئذ خير أهل الأرض .

---

(١) سورة الأحقاف ، الآية : ٢٩ .

الجزء الثاني :

الباب السابع

في ذكر ولايته قبل الخلافة

قال حدثنا محمد بن سعد قال : قال أبو الزناد : ولي عمر بن عبد العزيز المدينة في ربيع الأول سنة سبع وثمانين ، وهو ابن خمس وعشرين سنة ، ولاه إياها الوليد بن عبد الملك . فولى عمر على قضائها أبا بكر محمد بن عمرو بن حزم . ودعا عمر عشرة نفر من فقهاء البلدة [1] منهم : عروة . والقاسم . وسالم . فقال : إني دعوتكم لأمر تؤجرون فيه . وتكونون فيه أعواناً على الحق ، إن رأيتم أحداً يتعدى ، أو بلغكم عن عامل لي ظلامة ، فأحرّج بالله على أحد بلغه ذلك إلا أبلغني . فجزوه خيراً وافترقوا .

قال ابن سعد : وقال أبو إسرائيل : حدثني علي بن بذيمة قال : رأيته في المدينة وهو أحسن الناس لباساً [2] ، ومن أطيب الناس ريحاً ، ومن أخيل الناس في مشيته . ثم رأيته بعد ذلك يمشي مشية الرهبان [3] .

---

(١) في المختصر « البلد بمعنى المدينة » .

(٢) في المختصر « لباس » .

(٣) وزاد أبو يوسف فيما رواه في (كتاب الخراج) قال : فمن حدثك أن المشيه سجية بعد عمر بن عبد العزيز ، فلا تصدقه .

شروط عمر لقبوله ولاية المدينة :

قال : حدثنا عبد الرحمن بن حسن ، قال : أخبرني أبي ، قال : بلغني أن الوليد بن عبد الملك استعمل عمر (ابن عبد العزيز على الحجاز ، المدينة ومكة والطائف)[1] فأبطأ عن الخروج ، فقال الوليد لحاجبه : ويلك ، مابال عمر لا يخرج إلى عمله[2] ؟ قال : زعم أن له اليك ثلاث حوائج . قال : فعجله علي . فجاء به الوليد ، فقال له عمر : إنك استعملت من كان قبلي ، فأنا أحب أن لا تأخذني بعمل أهل العدوان والظلم والجور. فقال له الوليد : اعمل بالحق ، وإن لم ترفع إلينا إلا درهماً واحداً . فقال : والحج — قد بلغت[3] ما ترى من السن والحال .

وأشك في العطاء أن يكون سأله إياه أن يخرجه للناس .

قال : حدثنا مغيرة بن زياد ، عن أبي عمر مولى أسماء بنت أبي بكر ، قال : خرجت من جدة بهدايا لعمر بن عبد العزيز ، وهو على المدينة ، فأتيته في مجلسه الذي يصلي فيه الفجر ، والمصحف في حجره ، ودموعه تسيل على لحيته .

قال : حدثنا ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، قال : كان عمر بن عبد العزيز ، وهو أمير على المدينة ، إذا أراد أن يجود بالشيء قال : ابتغوا أهل بيت بهم حاجة[4] .

ندم عمر على ضرب خبيب :

قال العلماء بالسير : كان خبيب بن عبد الله بن الزبير قد حدّث

---

(١) هذه الزيادة من المختصر .

(٢) قوله : « إلى عمله » محذوف من المختصر .

(٣) قوله : « قد بلغت » محذوف من المختصر .

(٤) في المختصر : « ابتغوا من له أهل بهم حاجة » .

عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا بلغ بنو أبي العاص [1] ثلاثين رجلا اتخذوا عباد الله خولا ، ومال الله دولا » . فبعث الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز ، وهو واليه على المدينة ، أن يضربه فضربه فمات . فكان عمر إذا قيل له : أبشر [2] قال : كيف بخبيب على الطريق .

قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : كان خبيب بن عبد الله بن الزبير أسن ولد عبدالله .

قال : وحدثني عمي مصعب بن الزبير ، قال : كان خبيب قد لقي العلماء ، وقرأ الكتب [3] ، وكان من النساك . وأدركت [4] أصحابنا وغيرهم يذكرون أنه كان تعلم علماً كثيراً لا يعرفون وجهه ، ولا مذهبه فيه ، يشبه ما يدعي الناس من علم النجوم .

أطوار خبيب وكيفية ضربه :

قال عمي مصعب : وحدثت عن مولى لخالته [5] أم هاشم بنت منظور يقال له : يعلى بن عقبة ، قال : كنت أمشي معه (يعني مع خبيب)[6] وهو يحدث نفسه إذا وقف [7] ، ثم قال : سأل قليلاً ، فأعطي كثيراً. وسأل كثيراً ، فأعطى قليلاً . فطعنه ، فقتله . ثم قال : أقبل عليّ فقال: قتل عمرو بن سعد الساعة . ثم مضى . فوجد ذلك اليوم الذي قتل فيه عمرو بن سعد .

---

(١) في المختصر : « بنو العاص » .
(٢) في المختصر : « الشيء » .
(٣) في المختصر : « ولا يكتب » .
(٤) في المختصر : « وأجد أن » .
(٥) في المختصر : « عن قولي لخالته » .
(٦) من المختصر .
(٧) قوله : « إذا وقف » محذوف من المختصر .

وله أشباه هذا يذكرونها والله أعلم ما هي [1] . وكان مع ذلك طويل الصلاة قليل الكلام .

وكان الوليد بن عبد الملك قد كتب إلى عمر بن عبد العزيز ، إذ كان والياً له على المدينة يأمره بجلده مائة سوط وبحبسه . فجلده عمر مائة سوط ، وبرّد له ماء في جرة ثم صبه في غداة باردة ، فكز [2] فمات فيها. وكان عمر قد أخرجه من السجن حين اشتد وجعه ، وندم على ما به صنع ، فنقل إلى آل الزبير .

موت خبيب وحزن عمر عليه :

قال عمي مصعب بن عبدالله : أخبرني مصعب بن عثمان أنهم نقلوه إلى دار عمر بن مصعب بن الزبير ، ببقيع الزبير ، واجتمعوا عنده حتى مات ، فبينما هم جلوس ، إذ جاءهم الماجشون يستأذن عليهم ، وخبيب مسجى بثوبه . وكان الماجشون يكون مع عمر بن عبد العزيز في ولايته على المدينة . فقال عبد الله بن عروة : ائذنوا له . فلما دخل قال : كأن صاحبك في مرية [3] من موته ، اكشفوا له عنه [4] . فكشفوا عنه ؛ فلما رآه الماجشون انصرف . قال الماجشون : فانتهيت إلى دار مروان ، فقرعت الباب ودخلت ، فوجدت عمر كالمرأة الماخض قائماً وقاعداً ؛ فقال لي : ما وراءك ؟ فقلت : مات الرجل . فسقط إلى الأرض فزعاً ، ثم رفع رأسه يسترجع ، فلم يزل يعرف فيه حتى مات واستعفى من المدينة، وامتنع من الولاية . وكان يقال له : إنك [5] قد صنعت كذا فأبشر . فيقول : كيف بخبيب ؟ .

---

(١) في المختصر : « فإنما حلم ما هي » .

(٢) كز الرجل فهو مكزوز . أصابه داء الكزاز ، وهو يبس وانقباض من البرد . وفي المختصر : « فكره » .

(٣) في المختصر : « مدية » .

(٤) قوله : اكشفوا له عنه » محذوف من المختصر .

(٥) في المختصر : « أنه انك » .

وحدثني عمي مصعب بن عبدالله قال : حدثني هارون بن أبي عبيد، عن عبدالله بن مصعب أبي قال : سمعت أصحابنا يقولون : قسم فينا عمر بن عبد العزيز قسماً في خلافته خصنا به ، فقال الناس : دية خبيب .

قال : حدثني عثمان بن طلحة ، عن أفلح بن حميد ، أن عبدالله بن مروان لما توفي ، أسف عليه عمر بن عبد العزيز أسفاً منعه من العيش ، وقد كان ناعماً ، فاستشعر مسحاً سبعين ليلة ، فقال له القاسم بن محمد : أعلمت أن من مضى من سلفنا كانوا يحبون استقبال المصائب بالتجمل ؟ ومواجهة النعم بالتذلل ؟ فراح من عشية يومه[1] في مقتطعات من حبرة أهل اليمن [1] — أو قال اليمن — شراؤها ثمان مائة دينار ، وفارق ما كان يصنع .

(١) في المختصر : « عيشة » .
(٢) في المختصر : « في مقطعات من خيرة من أهل اليمن » .

الباب الثامن

في ذكر إقدامه على قول الحق عند الخلفاء قبله

كتاب عمر إلى عبد الملك :

قال : حدثنا عبد الوهاب بن بخت المكي ، قال : حدثني عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان :

« أما بعد .. فإنك راع ، وكل راع مسؤول عن رعيته » . حدثنيه أنس بن مالك أنه سمع رسول الله ، ﷺ ، يقول : كل راع مسؤول عن رعيته . ﴿ اللهُ لا إله إلاّ هوَ ليَجمعنّكم إلى يومِ لا ريبَ فيه ومنْ أصدقُ منَ الله حَديثاً ﴾ [1] .

فغضب عبد الملك حين بدأ باسمه فقيل : إنه كان يفعل ذلك من قبلك ، فسكن غضب عبد الملك .

براءة عمر من الكذب :

قال : حدثنا محمد بن أبي عمر المكي ، وسفيان بن وكيع ، قالا : حدثنا ابن عيينة عن رجل قال : وقال سفيان عن الماجشون : قال : كلم عمر بن عبد العزيز الوليدَ في شيء فقال له : كذبت . فقال عمر : ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه .

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٨٧ .

قال : حدثنا يعقوب بن سفيان ، قال : حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال : أخبرني أشهب عن مالك قال اقتتل غلمان لسليمان بن عبد الملك ، وغلمان لعمر بن عبد العزيز ، قال : فضرب (غلمان عمر) غلمان سليمان ، وقيل له : هذا ما صنعت سر به وفعلت به . فدخل عليه عمر فقال له سليمان ؛ ما هذا ؟ ضرب غلمانك غلماني . فقال عمر : ما علمت هذا قبل مقالتك الآن . فقال له : كذبت . فقال له عمر : تقول لي كذبت؟ وما كذبت منذ شددت عليّ ازاري ، وإن في الأرض عن مجلسك هذا لسعة . ثم خرج من عنده وتجهز يريد الخروج إلى مصر . فسأل عنه سليمان حين استبطأه فقالوا : إنه يريد الخروج إلى مصر ، وقد تجهز . فأرسل اليه سليمان أن ارجع فادخل عليّ . وقال للرسول : إذا جاءني فلا يعاتبني فإن في المعاتبة حقداً [1] . فجاءه عمر فقال له سليمان : ما أهمني أمر قط إلاّ خطرت فيه على بالي .

قال : حدثنا سعيد بن أسد قال : حدثنا ضمرة ، عن ابن شوذب قال : قال عمر بن عبد العزيز : الوليد بن عبد الملك بالشام ، والحجاج بالعراق ومحمد بن يوسف باليمن، وعثمان بن حيان بالحجاز ، وقرة بن شريك بمصر ، امتلأت الأرض والله جوراً .

تأنيب عمر لولي عهد سليمان :

قال : حدثني الليث بن سعد ، عن عبد العزيز بن أبي سلمة ، وأخبرنا علي بن ابراهيم ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، قال : حدثني عبد العزيز ابن أبي سلمة ، عن طلحة بن عبد الملك الايلي ، قال : دخل عمر بن عبد العزيز على سليمان بن عبد الملك ، وعنده أيوب ابنه ، وهو يومئذ ولي عهده ، وقد عقد له من بعده ، فجاء انسان يطلب ميراثاً من بعض

---

(١) في المختصر : « فان ......المعاتبة » .

نساء الخلفاء ، فقال سليمان : ما إخال النساء يرثن في العقار [1] شيئاً . فقال عمر بن عبد العزيز : سبحان الله ، وأين كتاب الله . فقال : يا غلام اذهب فأتني بسجل عبد الملك بن مروان الذي كتب في ذلك.فقال له عمر : لكأنك أرسلت إلى المصحف . قال أيوب : والله ليوشكن الرجل يتكلم بمثل هذا عند أمير المؤمنين ثم لا يشعر حتى يفارقه رأسه. فقال له عمر : إذا أفضى [2] الأمر اليك وإلى مثلك ، فما يدخل على أولئك أشد مما خشيت أن يصيبهم من هذا . فقال سليمان لأيوب : مه ، لأبي حفص تقول هذا ؟ فقال عمر : والله ، لئن جهل علينا ، يا أمير المؤمنين ، ما حلمنا عنه .

قال : حدثني محمد بن بكير ، قال : حدثنا ابن وهب . قال : حدثني مالك : أن عمر بن عبد العزيز كان عند سليمان بن عبد الملك . وهو بمنزله ، وكان سليمان يقول : ما هو إلا أن يغيب عني هذا الرجل ، فما أجد أحداً يفقه عني — فقال له عمر بن عبد العزيز يوماً : حق هذه المرأة ألا تدفعه إليها . قال : وأي امرأة ؟ قال : فاطمة بنت عبد الملك . فقال سليمان : أوَمَا علمت وصية أمير المؤمنين عبد الملك ؟ قم يا فلان فأتني بكتاب أمير المؤمنين — وكان كتب أنه ليس للبنات شيء — فقال له عمر : إلى المصحف أرسلته ؟ فقال ابن سليمان عنده : ما يزال مني رجال يعيبون كتب الخلفاء ، مُرْهم حتى تضرب وجوههم . فقال له عمر : إذا كان هذا الأمر إليك وإلى ضربائك ، كان ما يدخل على العامة من ضرر ذلك أشد مما يدخل على ذلك الرجل من ضرب وجهه . فغضب عند ذلك سليمان ، فسب ابنه ذلك ، وقال : أتستقبل أبا حفص بهذا ؟ فقال عمر : إن كان عجّل علينا فقد استوفينا .

---

(١) في المختصر : « العقاد » .
(٢) في المختصر : « أمعر » .

تهكم عمر على سليمان :

قال : حدثنا أبو إسحاق الطالقانى ، عن الفضل بن موسى ، عن داود بن عبد الرحمن ، عن خالد بن عبد الرحمن قال : كنا في عسكر سليمان بن عبد الملك ، فسمع غناء في الليل ، فأرسل إليهم بكرة فجيء بهم ، فقال : إن الفرس ليصهل فتستودق له البغلة [1] ، وإن الفحل ليخطر فتضبع [2] له الناقة ، وإن التيس لينب فتستجوم له العنزة [3] ، وإن الرجل ليغني فتشتاق إليه المرأة . ثم قال : أخصوهم .قال عمر بن عبد العزيز : هذا مثلة ولا تحل . فخلى سبيلهم .

إغراق عمر في الأخذ بمبدأ المساواة :

قال : حدثنا ابراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى ، قال : حدثنا أبي ، عن جدي قال : كان عمر بن عبد العزيز ينهي سليمان بن عبد الملك عن قتل الحرورية ، ويقول : ضمنهم الحبوس حتى يحدثوا توبة . فأتي سليمان بحروري مستقتل ، فقال سليمان : عليّ بعمر بن عبد العزيز. فلما أتاه عمر ، عاود سليمان الحروري ، فقال : ماذا تقول ؟ فقال : ماذا أقول يافاسق بن الفاسق ؟ فقال سليمان لعمر : ما ترى عليه يا أبا حفص ؟ فسكت . فقال : عزمت عليك لتخبرني ماذا ترى عليه ؟ قال: أرى عليه أن تشتمه كما شتمك ، وتشتم أباه كما شتم أباك . فقال سليمان: ليس إلا ؟ (قال : ليس إلا . فلم يرجع سليمان إلى قوله)[4] ، فأمر به فضربت عنقه .

---

(١) في المختصر : « الرمكية » .

(٢) في المختصر : « لتضبع » .

(٣) في المختصر : « فستتحرم له العتر » .

(٤) هذه الزيادة من رواية ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج٤ ص ٢٥٥ .

حسن نظر عمر في تولية عماله :

قال : حدثنا ابراهيم بن هشام بن يحيى ، قال : حدثني أبي ، عن جدي ، قال : كان عمر بن عبد العزيز ينهي سليمان عن قتل الحرورية. ويقول : ضمنهم الحبس حتى يحدثوا توبة . فأتي سليمان بحروري مستقتل فقال له سليمان . إيه ؟ فقال ايه ؟ نزع الله لحييك يافاسق بن الفاسق . قال سليمان : عليّ بعمر بن عبد العزيز ، فلما أتاه عمر ، عاود سليمان الحروري ، فقال له : ما تقول ؟ قال : وماذا أقول يافاسق بن الفاسق ؟ قال سليمان لعمر : يا أبا حفص ماذا ترى عليه ؟ قال : فسكت عمر . فقال : عزمت عليك لتخبرني ماذا ترى عليه ؟ قال : أرى عليه أن تشتمه كما شتمك . قال سليمان : ليس إلاّ ؟ (قال : ليس إلاّ . فلم يرجع سليمان إلى قوله) [1] ، فأمر به فضربت عنقه . وقام سليمان وخرج ، وتبعه خالد بن الريان صاحب حرس سليمان ، فقال : ياأبا حفص ، تقول لأمير المؤمنين ما أرى عليه إلا أن تشتمه كما شتمك ؟ والله لقد كنت متوقعاً أن يأمرني بضرب عنقك . قال: لو أمرك لفعلت ؟ قال إني والله لو أمرني لفعلت . فلما أفضت الخلافة إلى عمر ، جاء خالد بن الريان وقام مقام صاحب الحرس — وكان قبل ذلك على حرس الوليد وعبد الملك — فنظر اليه عمر فقال : ياخالد ضع هذا السيف عنك ، اللهم إني قد وضعت لك خالد بن الريان ، اللهم لا ترفعه أبداً . ثم نظر عمر في وجوه الحرس ، فدعا عمرو بن مهاجر الأنصاري ، فقال : والله إنك لتعلم يا عمرو أنه ما بيني وبينك قرابة إلا قرابة الاسلام ، ولكني قد سمعتك تكثر تلاوة القرآن ، ورأيتك تصلي في موضع تظن أن لا يراك أحد ، فرأيتك حسن الصلاة . خذ هذا السيف قد وليتك حرسي .

قال : حدثني يعقوب ، وحدثني حرملة قال : حدثنا ابن وهب قال : حدثني الليث . أن خالد بن الريان عزله عمر — وكان سيافاً يقوم على

(١) هذه الزيادة من رواية ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٢٥٥ .

رؤوس الخلفاء — وقال : إني لأذكر بأوه [1] وهيئته ، اللهم إني أضعه لك فلا ترفعه أبداً .

قال فحدثني نوفل بن الفرات قال : ما رأيت شريفاً خمد ذكره حتى لا يذكر ، حتى أن كل الناس ليقولون : ما فعل خالد ؟ أحي هو أم قد مات ؟ .

قال وحدثني الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب أن عمر بن عبد العزيز أخبره أن الوليد بن عبد الملك أرسل اليه بالظهيرة [2] ، في ساعة لم يكن يرسل اليه في مثلها ، فوجده في قيطون صغير له بابان : باب يُدخل عليه منه ، وباب خلفه ينحرف منه إلى أهله . قال : فدخلت عليه ، فإذا هو قاطب بين عينيه ، فأشار إليّ أن اجلس . فجلست بين يديه مجلس الخصم [3] ، وليس عنده إلاّ ابن الريان قائماً بسيفه . فقال : ما تقول فيمن يسب الخلفاء أترى أن يقتل ؟ قال : فسكت . قال : فانتهرني وقال : مالكَ لا تتكلم ؟ فسكت . فعاد لمثلها . فقلت : أقتل يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا ولكنه يسب [4] الخلفاء . قال : فقلت : فإني أرى أن ينكل فيما انتهك حرمة الخلفاء . قال : فرفع رأسه إلى ابن الريان، وما أظن إلاّ أنه يقول : اضربوا رقبته . فقال : إنه فيهم لتائه . ثم حول وركه ، فدخل إلى أهله فقال لي ابن الريان : انقلب فانقلبت ، وما تهب من ورائي ريح إلاّ وأظنه رسولا يردني إليه .

وعظ عمر لسليمان بن عبد الملك في عقبة عسفان :

قال : حدثني إبراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى [5] قال : حدثني

(١) بأوه من البأو : الكبر والفخر .
(٢) في المختصر « بالظهرة » .
(٣) في المختصر : « فجلست بين يديه فجلس الخصم » .
(٤) في المختصر : « فسب » .
(٥) في المختصر : « عن يحيى بن يحيى » .

أبي ، عن جدي قال : حج سليمان بن عبد الملك ، ومعه عمر بن عبد العزيز ، فلما أشرف على عقبة عسفان ، نظر سليمان إلى عسكره فأعجبه ما رأى من حجره وأبنيته فقال : كيف ترى ما هاهنا يا عمر ؟ قال : أرى دنيا يأكل بعضها بعضاً ، أنت المسؤول عنها ، والمأخوذ بما فيها . فطار غراب من حجرة سليمان ينعب ، في منقاره كسرة ، فقال سليمان: ما ترى هذا الغراب يقول ؟ قال : أظنه يقول : من أين دخلت هذه الكسرة ؟ وكيف خرجت ؟ قال : إنك لتجيء بالعجب يا عمر .

قال : حدثني ضمرة ، عن ابن شوذب ، قال : راود [1] الوليد بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز على أن يخلع سليمان فقال : يا أمير المؤمنين ، إنا بايعنا لكما في عقدة واحدة ، فكيف نخلعه ونتركك ؟

ماقاله عمر لسليمان لما أفزعه الرعد :

قال : حدثنا عبد الله بن شوذب قال : حج سليمان ومعه عمر بن عبد العزيز ، قال : فخرج سليمان إلى الطائف ، فأصابه رعد وبرق ، ففزع سليمان فقال لعمر : أما ترى ما هذا يا أبا حفص ؟ قال : هذا عند نزول رحمته ، فكيف لو كان عند نزول نقمته ؟

قال : حدثنا يعقوب بن سليمان قالا : حدثنا إبراهيم ابن هشام بن يحيى بن يحيى قال : حدثني أبي ، عن جدي قال : بينما عمر بن عبد العزيز مع سليمان بعرفات ، إذ برقت ورعدت رعداً شديداً فزع منه سليمان ، فنظر إلى عمر وهو يضحك ، فقال : يا عمر أتضحك وأنت تسمع ما تسمع ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! هذه رحمة الله قد أفزعتك ، كيف لو جاءك عذابه ؟ .

قال : حدثنا حاتم بن الليث قال : حدثنا خالد بن خداش قال :

(١) وفي نسخة « أراد » .

حدثنا عفان ابن راشد قال : كان عمر بن عبد العزيز واقفاً مع سليمان بعرفة ، فرعدت رعدة من رعد تهامة ، فوضع سليمان صدره على مقدم الرحل وجزع منها، فقال له عمر : يا أمير المؤمنين ! هذه جاءت برحمته، كيف لو جاءت بسخطه ؟ قال : ثم نظر سليمان إلى الناس ، فقال : ما أكثر الناس ؟ فقال عمر : خصماؤك يا امير المؤمنين . فقال له سليمان : ابتلاك الله بهم

قال : حدثنا عمر بن مدرك قال : سمعت مكي بن ابراهيم يقول : كنا عند عبد العزيز بن ابى رواد ى المسجد ، فارتفعت سحابة ، فجاءت برعد وبرق وصواعق ، ففزع القوم ، فتفرقنا . فلما سكنت عدنا . فقال عبد العزيز : خرج سليمان بن عبد الملك يوماً إلى بعض الوادي ، فأصابهم نحو من هذا ، ففزع (سليمان ونادى : ياعمر ! ياعمر ! وكانوا — يعني بنى أمية — إذا أصابتهم شدة فزعوا [1])[2] إلى عمر بن عبد العزيز . فإذا عمر ينادي ، هاأناذا . قال : ألا ترى ؟ قال : يا أمير المؤمنين إنما هذا صوت نعمة [3] ؛ فكيف لو سمعت صوت عذاب ؟ فقال : خذ هذه المائة ألف درهم وتصدق بها . فقال عمر : أو خير من ذلك باأمير المؤمنين . قال : وما هو ؟ قال : قوم صحبوك في مظالم لهم لم يصلوا اليك . قال : فجلس سليمان فرد المظالم .

---

(١) فى المختصر « فدعوا » و « فوعوا » .
(٢) من المختصر
(٣) فى المختصر : « رحمة » .

الباب التاسع [1]

في ذكر بشارة الخضر له بأنه سيلي الخلافة

قال : حدثنا ضمرة — يعني ابن ربيعة — عن السري بن يحيى ، عن رياح بن عبيدة ، قال : رأيت عمر بن عبد العزيز ، وهو أمير على المدينة ، وشيخ متوكىء على يده ، قال : فقلت في نفسي : إن ذا الشيخ جاف حيث يتوكأ على يد الأمير ، فلما صلى ودخل تبعته ، فقلت : أصلح الله الأمير ، من الشيخ الذي كان متوكئاً على يدك ؟ قال : أفرأيته يارياح ؟ قلت : نعم ، قال : ذلك أخي الخضر ، عليه السلام ، أتاني فأعلمني أني سألي الأمر ، وأني سأعدل فيه .

قال ابن مخلد : وحدثنا علي بن داود القنطري ، وحدثنا اسماعيل بن أحمد قال : حدثنا عبد الله بن جعفر بن درستويه قال : حدثنا يعقوب ابن سفيان قال : حدثنا أبو يوسف قال : حدثنا محمد بن عبد العزيز ، عن رياح بن عبيدة ، قال : رأيت رجلا يماشي عمر بن عبد العزيز معتمداً على يده ، فقلت في نفسي ، إن هذا الرجل جاف . فلما صلى ، قلت : يا أبا حفص ، من الرجل الذي كان معك معتمداً على يدك آنفاً ؟ قال : وقد رأيته يارياح ؟ قلت : نعم . قال : إني لأراك رجلاً صالحاً ، ذلك أخي الخضر ، بشرني أني سألي وأعدل .

قال : حدثنا ضمرة بن ربيعة ، عن السري بن يحيى ، عن رياح

---

(١) هذا الباب ناقص من نسخة المختصر المطبوع في ليبسيك .

ابن عبيدة قال : أتيت عمر بن عبد العزيز ، وهو أمير على المدينة قبل أن يستخلف ، فلم أجده في منزله ، فإذا هو مقبل ورجل قد اتكأ عليه ، قال : فقلت في نفسي : ما أجفى هذا الشيخ – أو هذا الرجل – يتكىء على الأمير ؟ ثم افتقدته ، فقلت : أصلح الله الأمير ، من الذي كان يتوكأ عليك ؟ قال : ورأيته يارياح ؟ قلت : نعم . قال : إني لأراك رجلا صالحاً يارياح ؛ ذاك أخي الخضر ، أتاني فبشرني وقال : إنك ستلي هذا الأمر فتعدل فيه .

قال : حدثنا ضمرة بن ربيعة ، عن السري بن يحيى ، عن رياح بن عبيدة قال : خرج عمر بن عبد العزيز إلى الصلاة وشيخ متوكىء على يده ، فقلت في نفسي : إن هذا الشيخ جاف . فلما صلى ودخل ، لحقته فقلت : أصلح الله الأمير ، مَن الشيخ الذي كان متوكئاً على يدك ؟ فقال : يارياح رأيته ؟ قلت : نعم . قال : ما أحسبك يارياح إلاّ رجلاً صالحاً ، ذاك أخي الخضر ، أتاني فأعلمني أني سألي أمر هذه الأمة ، وأني سأعدل فيها . والله أعلم .

الباب العاشر

في ذكر الهاتف بخلافته [1]

قال : حدثني محمد بن نصر بن الوليد ، عن أبي عبد الرحمن الطائي - عن أبي حمزة الثمالي ، عن رجل ، قال : بينما أنا في جبال مكة إذ وجدت قرطاساً فيه كتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم

براءة لعمر بن عبد العزيز من العذاب الأليم .

وسمعت قائلا يقول : دان الزمان . وذل السلطان . وحسنا الشيطان لعمر بن عبد العزيز .

قال : فوالله ما لبثنا إلاّ أياماً حتى أتتنا خلافته . فلما مات أتيت ذلك الموضع الذي وجدت فيه القرطاس ، فإذا أنا بصوت — أسمعه ولا أرى الوجه — يقول :

عنّا جزاك مليكُ النّاس صالحةً   في جنّة الخلد والفردوس ياعمرُ
أنت الذي لا نرى عدلا نُسَرُّ به   من بعده ماجرَتْ شمسٌ ولاقمرُ

قال : حدثنا عثمان بن عبد الرحمن قال : حدثنا يعقوب بن جعدة - عن حماد العدوى ، قال : سمعت صوتاً عند وفاة سليمان بن عبد الملك :

اليوم حلّت واستقرّت ، قرارُهــا   على عمر المهديّ قام عمودُهــا

(1) هذا الباب محذوف من المختصر .

الباب الحادي عشر

فيما يُروى أنه مذكور في الكتب الأول

عمر بن عبد العزيز في الإسرائيليات :

قال : حدثنا هشام بن حسان ، عن خالد الربعي ، قال : قرأت في التوراة أن السماء والأرض تبكي على عمر بن عبد العزيز أربعين سنة .

قال : حدثنا معتمر بن سليمان ، عن هشام ، عن خالد الربعي ، قال : مكتوب في التوراة أن السماء تبكي على عمر بن عبد العزيز أربعين صباحاً .

قال : حدثنا جعفر ، قال : سمعت مالك بن دينار يقول : قرأت في التوراة عمر بن عبد العزيز صِدِّيق .

قال : حدثنا محمد بن فضالة أن عبد الله بن عمر بن عبدالعزيز وقف براهب بالجزيرة ، في صومعة له ، قد أتى عليه عمرٌ طويل ، وكان ينسب اليه من علم الكتب ، فهبط إليه ، ولم ير هابطاً إلى أحد قبله ، وقال : أتدري لِمَ هبطت إليك ؟ قال : لا . قال : لحقِّ أبيك . إنّا نجده من أئمة العدل ، بموضع رجب من الأشهر الحُرُم .

قال : حدثنا ابن لهيعة قال : وجدنا في بعض الكتب : تقتله خشية الله. يعني عمر بن عبد العزيز .

---

(١) هذا الباب محذوف من المختصر .

الباب الثاني عشر

في ذكر خلافته

حمى دابق التي مات بها سليمان :

قال : حدثنا محمد بن سعيد الدارمي أنه سمع أباه يذكر أن سليمان ابن عبد الملك ، كان ربما نظر في المرآة فيقول : أنا الملك الشاب . قال : فنزل مرج دابق ، فمرض مرضه الذي مات فيه ، وفشت الحمى في أهله وأصحابه ، فدعا جارية بوضوء ، فبينا هي توضئه ، إذ سقط الكوز من يدها ، فقال : ما قصتك ؟ قالت : محمومة . قال : ففلان ؟ قالت : محموم . قال : ففلانة ؟ قالت : محمومة . قال : الحمد لله الذي جعل [1] خليفته في أرضه ليس عنده من يوضئه . ثم التفت إلى خاله الوليد بن القعقاع [2] العبسي فقال :

قرّب وضوءكَ ياوليدُ فإنّما هذي الحياة تعلّةٌ ومتاعُ

فأجابه الوليد :

فاعمل لنفسك في حياتك صالحاً فالدهر فيه: فُرقةٌ وجماعُ

قال : أخبرني محمد أنه سمع عبيد الله بن محمد التيمي (يقول) : كان سليمان بن عبد الملك جالساً ، فنظر في المرآة إلى وجهه — وكان

---

(١) في المختصر : « جعلني » .
(٢) في المختصر « المقعقاع » .

حسن الوجه – فأعجبه ما رأى من جماله . وكانت على رأسه وصيفة له، فقال : أنا الملك الشاب . فقال ابن عائشة فرأى شفتي جاريته تتحركان عند قوله ما قال ، فقال : ما قُلْتِ ؟ قالت : خيراً . قال : فتخبريني – وأعاد عليها – قالت : قلت :

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للانســـــانِ

وزاد غيره في الشعر :

أنت خلوٌ من العيوب ، وممـــا يكره الناس ، غير أنك فانِ

ثم خرج إلى المسجد ، فسمع أقصى من في المسجد صوته . ثم لم يزل يضعف ، فانصرف محموماً حمى موصولة بمنيته .

وكانت وفاته سنة تسع وتسعين . وهو ابن أربعين سنة .

قال : حدثنا عبد الله بن سعد الزهري ، عن عمه يعقوب بن ابراهيم، قال : توفي سليمان بن عبد الملك بدابق ، من أرض قنسرين ، يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين . واستخلف عمر بن عبد العزيز في ذلك اليوم .

كيف عهد سليمان إلى عمر :

قال : حدثنا محمد بن سعد قال : قال رجاء بن حيوة : لما كان يوم الجمعة ، لبس سليمان بن عبد الملك ثياباً خضراً من خزٍّ ، ونظر في المرآة فقال : أنا ، والله ، الملك الشاب . فخرج إلى الصلاة يصلي بالناس الجمعة ، فلم يرجع حتى وعك ، فلما ثقل كتب كتاب عهده إلى ابنه أيوب ، وهو غلام لم يبلغ . فقلت : ما تصنع يا أمير المؤمنين ؟ إنه مما يحفظ به الخليفة في قبره أن يستخلف الرجل الصالح . فقال : كتاب أستخير الله فيه ، وأنظر ولم أعزم عليه . فمكث يوماً أو يومين ثم خرقه .

ثم دعاني فقال : ما ترى في داود بن سليمان ؟ فقلت : هو غائب بقسطنطينية ، وأنت لا تدري أحيٌّ هو أم ميتٌ . قال : يارجاء فمن ترى؟ فقلت : رأيك يا أمير المؤمنين ، وأنا أريد أن أنظر من تذكر . فقال : كيف ترى في عمر بن عبد العزيز ؟ فقلت : أعلمه ، والله ، فاضلاً خياراً مسلماً . (قال) : هو والله على ذلك ، ولئن وليته ولم أولِّ أحداً من ولد عبد الملك لتكونن فتنة ، ولا يتركونه أبداً يلي عليهم إلا أن أجعل أحدهم بعده — ويزيد بن عبد الملك/يومئذ غائب على الموسم — قال : فأجعل يزيد بن عبد الملك/بعده ، فإن كان مما يسكنهم ويرضون به . قلت : رأيك ، فكتب بيده :

عهد سليمان إلى عمر :

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز . إني وليته الخلافة بعدي ، ومن بعده يزيد بن عبد الملك . فاسمعوا له وأطيعوا ، واتقوا الله ولا تختلفوا فيُطْمعَ فيكم » .

حديث عمر وهشام مع رجاء :

وختم الكتاب ، وأرسل إلى كعب بن جابر صاحب شرطته أن مُرْ أهل بيتي أن يجتمعوا بجمعهم . ثم قال سليمان لرجاء : بعد اجتماعهم اذهب بكتابي هذا اليهم ، فأخبرهم أنه كتابي ، ومُرْهم فليبايعوا من وليت ، ففعل رجاء ، فقالوا : سمعنا وأطعنا لمن فيه ، وقالوا : ندخل ونسلم على امير المؤمنين ؟ قال : نعم ، فدخلوا ، فقال لهم سليمان . هذا الكتاب — وهو يشير لهم وهم ينظرون اليه في يد رجاء — هذا عهدي فاسمعوا له وأطيعوا ، وبايعوا لمن سميت في هذا الكتاب ، قال : فبايعوه رجلاً رجلا ، ثم خرج بالكتاب مختوماً في يد رجاء . قال رجاء : فلما تفرقوا جاءني عمر بن عبد العزيز فقال : يا أبا المقدام ، إن سليمان

كانت لي به حرمة ومودة ، وكان بي براً وملطفاً ، فأنا أخشى أن يكون قد أسند إليّ من هذا الأمر شيئاً ، فأنشدك الله ، وحرمتي الا أعلمتني إن كان ذلك ، حتى أستعفيه الآن ، قبل أن تأتي حال لا أقدر فيها على ذلك . فقال رجاء : لا والله ما أنا مخبرك حرفاً واحداً . فذهب غضبان . قال رجاء : ولقيني هشام بن عبد الملك ، فقال : يارجاء إنّ لي حرمة ومودة قديمة ، وعندي شكر ، فأعلمني أهذا الأمر إليّ ، فإن كان إليّ علمت ، وإن كان إلى غيري تكلمت ، فليس مثلي قصّر به ، ولانحيّ عنه هذا الأمر . فلك الله أن لا أذكر اسمك أبداً ، فأعلمني ، فأبيت ، فقلت : والله لا أخبرك حرفاً واحداً ، فانصرف هشام وهو مؤيس ، وهو يضرب باحدى يديه على الأخرى ويقول : فإلى من إذا نحيّت عني ؟ أتخرج من بني عبد الملك ؟ قال رجاء : ودخلت على سليمان وهو يموت ، فجعلت إذا أخذته سكرة من سكرات الموت حرفته إلى القبلة ، فجعل يقول ، وهو يفارق ، لم يأن لذلك بعد يارجاء ، حتى فعلت ذلك مرتين ، فلما كانت الثالثة قال : من الآن يارجاء ، إنْ كنت تريد شيئاً أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فحرفته ومات . فلما غمضته ، سجيته بقطيفة خضراء ، وأغلقت الباب ، وأرسلت إليّ زوجته : كيف أصبح ؟ فقلت : نام وقد تغطى ، فنظر الرسول اليه مغطى ، فرجع فأخبرها فقبلت .

أثر رجاء في استخلاف عمر :

قال رجاء : وأجلست على الباب من أثق به وأوصيته أن لا يريم حتى آتيه ، ولا يُدْخِلَ على الخليفة أحداً ، فخرجت فأرسلت إلى كعب ابن جابر ، فجمع أهل بيت أمير المؤمنين ، فاجتمعوا في مسجد دابق فقلت : بايعوا . قالوا : قد بايعنا مرة ونبايع أخرى ؟ قلت هذا أمير المؤمنين ، بايعوا على ما أمر به ومن سمّى في هذا الكتاب المختوم ، فبايعوا رجلاً رجلاً ، فرأيت أني قد أحكمت الأمر فقلت : قوموا

إلى صاحبكم قد مات . وقرأت عليهم الكتاب ، فلما انتهيت إلى ذكر عمر بن عبد العزيز نادى هشام : لا نبايعه أبداً ، قال : قلت والله أضرب عنقك ، قم فبايع ، فقام يجر رجليه . قال رجاء : وأخذت بضبعي [1] عمر ، فأجلسته على المنبر ، وهو يسترجع لما وقع فيه ، وهشام يسترجع لما أخطأه ، فلما انتهى هشام إلى عمر قال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون حين صار هذا الأمر اليك على ولد عبد الملك . فقال عمر : نعم ، وإنا لله وإنّا اليه راجعون حين صار إليَّ لكراهتي له .

تواضع عمر وسلوكه عقب استخلافه :

وغسل سليمان وكفن ، وصلى عليه عمر بن عبد العزيز ، فلما فرغ من دفنه أتي بمراكب الخلافة : البراذين ، والخيل ، والبغال ، ولكل دابة سائس . فقال ما هذا ؟ قالوا : مراكب الخلافة . فقال عمر : دابتي أوفق لي . فركب بغلته وصرفت تلك ، ثم أقبل فقيل : تنزل منزل الخلافة؟ فقال : فيه عيال أبي أيوب ، وفي فسطاطي كفاية حتى يتحولوا ، فأقام في منزله حتى فرغوه بعد ، فلما كان مساء ذلك اليوم ، قال : يارجاء ادع لي كاتباً ، فدعوته — وقد رأيت منه ما يسرني ، صنع في المراكب ما صنع ، وفي منزل سليمان — فلما جلس الكاتب أملى عليه كتاباً واحداً ، من فيه إلى يد الكاتب بغير نسخة ، فأملى أحسن املاء ، وأبلغه وأوجزه ، ثم أمر بذلك الكتاب ، فنسخ إلى كل بلد . وبلغ عبد العزيز (بن) الوليد ، وكان غائباً ، موت سليمان ، ولم يعلم بمبايعة عمر ، فبايع لنفسه . ثم أقبل بريد دمشق ، فبلغه أن عمر بن عبد العزيز بايعوا له بعهد سليمان ، فدخل عليه وقال : لم يبلغني أن الخليفة عهد إلى أحد ففرقت [2] على الأموال أن تنتهب ، فبايعت لنفسي . فقال عمر له : والله لو بويعت وقمت بالأمر ، ما نازعتك ذلك ، ولقعدت في بيتي ، وبايع عمر .

---

(١) الضبع : وسط العضد بلحمه ، يكون للانسان وغيره : الابط .

(٢) فرقت ، من الفرق : الخوف والجزع .

عود إلى أخبار استخلاف عمر :

قال : وقد روى ابن سعد من طريق آخر عن رجاء بن حيوة أنه قال : لما ثقل سليمان ، رآني [1] عمر في الدار أخرج وأدخل ، فقال : يا رجاء أذكرك [2] الله والاسلام أن تذكرني لأمير المؤمنين ، أو تشير بي عليه . إنْ استشارك ، فوالله ما أقوى على هذا الأمر ، فانتهرته ، وقلت : إنّك لحريص على الخلافة ، أتطمع أن أشير عليه بك ؟ فاستحيى ، ودخلت ، فقال سليمان : من ترى لهذا الأمر ؟ فقلت : اتق الله ، فإنّك قادم عليه وسائلك عن هذا الأمر وما صنعت فيه ؟ قال : فمن ترى ؟ قلت : عمر بن عبد العزيز .

قال : حدثنا ابراهيم بن محمد الشافعي قال : سمعت جدي محمد بن علي بن شافع يقول : إني لأرجو أن يُدخل الله سليمان بن عبد الملك الجنة باستعماله عمر بن عبد العزيز .

قال : حدثني من شهد دابقاً ، وكانت دابق يجتمع فيها حين يغزو الناس ، فكان سليمان ثمة حيث يجتمع الناس ، فمات سليمان بدابق ولم يكن له ابن وإنما هم الاخوة ، ورجاء صاحب أمره ومشورته ، فخرج إلى الناس فأعلمهم بموته ، وصعد المنبر ، فقال : إنّ أمير المؤمنين كتب كتاباً ، وعهد عهداً ، فسامعون أنتم مطيعون ؟ قال الناس : نعم . قال هشام : نسمع ونطيع ، إنْ كان رجلاً من بني عبد الملك . قال : فجذبه الناس حتى سقط إلى الأرض ، فقال الناس : سمعنا وأطعنا ، فقال رجاء: قم ياعمر — وهو يومئذ عند المنبر — فقال عمر : والله ، إنّ هذا الأمر ما سألته قط في سر ولا علانية .

قال : وروى أبو بكر بن أبي خيثمة ، من حديث الوليد بن مسلم ،

---

(١) في المختصر « رأى » .
(٢) في المختصر : « اذكر » .

عن عبد الرحمن بن حسان ، أن رجاء بن حيوة قال : لما مات سليمان بن عبد الملك ، فتحت كتابه ، بعد أن أخذت البيعة لمن فيه ، فإذا فيه العهد لعمر بن عبد العزيز ، فقالوا : أين عمر بن عبد العزيز ؟ فطلبوه ؟ فإذا هو في مؤخر المسجد ، فأتوه ، فسلموا عليه بالخلافة ، فعقر [1] به ، فلم يستطع النهوض حتّى أخذوا بضبعه ، فدنوا به إلى المنبر ، فلم يقدر على الصعود حتّى أصعدوه ، فأجلسوه ، فجلس طويلاً لا يتكلم . ثم بايعوه ، فجاء إلى منزله ، فجعل يكتب بيده إلى العمال في الأمصار .
قال : حدثنا عبد الله بن يونس ، عن سيار بن الحكم ، قال : لما دخل سليمان بن عبد الملك قبره ، أدخله عمر بن عبد العزيز وابنه سليمان ، فاضطرب على أيديهما ، فقال ابنه عاش ، والله ، أبي ، فقال : لا والله، ولكن عوجل أبوك .

قال : حدثني محمد بن أبي عثمان ، قال : حدثني محمد بن الضحاك ابن عثمان ، عن أبيه ، قال : لما انصرف عمر بن عبد العزيز عن قبر سليمان بن عبد الملك صفت له مراكب سليمان فقال :

لولا التُّقى ، ثم النهى ، خشية الردى   لعاصيت في حب الصبى كل زاجر
قضى ماقضى ، فيما مضى ثم لاترى   له صبوة أخرى الليالي الغوابر

ثم قال : إن شاء الله ، لا قوة إلا بالله ، قدموا إليّ بغلتي .

اهتمام عمر بما لأفراد الأمة على الخليفة من حقوق :

قال : حدثني أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، قال : حدثنا سفيان ابن عيينة ، قال : كان أول ما رؤي منه — يعني عمر بن عبد العزيز — قُدِّم اليه برذون [2] سليمان فأبى ، فركب بغلته ورجع — يعني حين فرغ من دفن سليمان — فقال : ليس أحد من أمة محمد ﷺ ، إلاّ له عندي شرقها وغربها .

---

(١) عقر به : طال حبسه .
(٢) البرذون : الدابة المعروفة .

قال : حدثني عبد الله بن وهب ، قال : كان سفيان بن عيينة قال: لما رجع عمر بن عبد العزيز من دفن سليمان ، كان أول شيء راعهم منه ، حين قدموا اليه مركبه ، فقال : أخروه . فقربوا اليه بغلته ، فركبها . فلما أن رجع إلى منزله دخل ، فقال له مولاه : يا أمير المؤمنين ، كأنك مهتم ؟ فقال : لمثل الأمر الذي نزل بي اهتممت ، إنه ليس من أمة محمد، في مشرق ولا مغرب ، أحد إلاّ له قبلي حق يحق عليّ أداؤه اليه ، غير كاتب إليّ فيه ، ولا طالبه مني .

خطبته عقب استخلافه :

قال : حدثني ابن المنذر بن جارود ، قال : فلما استخلف عمر بن عبد العزيز صعد المنبر ، فقال : أيها الناس ، إني والله ما استؤمرت في هذا الأمر ، وأنتم بالخيار . ثم نزل .

قال : حدثني سهل بن يحيى بن محمد المروزي، قال: أخبرني أبي عن عبد العزيز (ابن عمر بن عبد العزيز) ، قال : لما دفن عمر بن عبد العزيز سليمان بن عبد الملك ، وخرج من قبره ، سمع للارض هدة، أو رجة ، فقال : ما هذه ؟ فقيل : هذه مراكب الخلافة يا أمير المؤمنين . قربت اليك لتركبها . فقال : مالي ولها ، نحّوها عني ، قربوا إليّ بغلتي . فقربت اليه بغلته ، فركبها . فجاءه صاحب الشرطة يسير بين يديه بالحربة، فقال : تنحّ عنّي ، مالي ولك ، إنما أنا رجل من المسلمين . فسار وسار معه الناس حتى دخل المسجد ، فصعد المنبر واجتمع اليه الناس فقال :

أيها الناس ، إني قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأي كان مني فيه ، ولا طلبة له ، ولا مشورة من المسلمين . وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي فاختاروا لأنفسكم .

فصاح الناس صيحة واحدة : قد اخترناك يا أمير المؤمنين ، ورضينا بك . قل أمرنا باليُمن والبركة . فلما رأى الأصوات قد هدأت ، ورضي

به الناس جميعاً ، حمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على النبي ﷺ ، وقال :

أوصيكم بتقوى الله ، فإن تقوى الله خلف من كل شيء ، وليس من تقوى الله عز وجل خلف . واعملوا لآخرتكم ، فإنه من عمل لآخرته كفاه الله تبارك وتعالى أمر دنياه . وأصلحوا سرائركم يصلح الله لكريم علانيتكم . وأكثروا ذكر الموت ، وأحسنوا الاستعداد قبل أن ينزل بكم ، فإنه هادم اللذات . وإن من لا يذكر من آبائه — فيما بينه وبين آدم عليه السلام — أباً حياً ، لمعرق له في الموت . وإن هذه الأمة [1] لم تختلف في ربها عز وجل ، ولا في نبيها ﷺ ، ولا في كتابها ، وإنما أختلفوا في الدينار والدرهم . وإني والله لا أعطي أحداً باطلاً ، ولا أمنع أحداً حقاً .

ثم رفع صوته حتى أسمع الناس فقال :

يا أيها الناس ، من أطاع الله وجبت طاعته ، ومن عصى الله فلا طاعة له . أطيعوني ما أطعت الله ، فإذا عصيت الله ، فلا طاعة لي عليكم .

ابن عمر يعظ عمر :

ثم نزل فدخل فأمر بالستور فهتكت ، والثياب التي كانت تبسط للخلفاء[2] ، فحملت،وأمر ببيعها وإدخال أثمانها في بيت مال المسلمين ، ثم ذهب يتبوأ مقيلاً . فأتاه ابنه عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ماذا تريد أن تصنع ؟ قال : أي بني ، أقيل . قال : تقيل ولا ترد المظالم ؟ فقال : أي بني ، إني قد سهرت البارحة في أمر عمك سليمان ، فإذا صليت الظهر رددت المظالم . قال : يا أمير المؤمنين من لك أن تعيش إلى الظهر ؟ قال : أدن مني أي بني . فدنا منه ، فالتزمه وقبّل بين عينيه ، وقال : الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يعينني على ديني . فخرج

(١) قوله : « الامة » محذوف من المختصر .

(٢) في المختصر « للخلافة » .

ولم يَقبلْ ، وأمر مناديه أن ينادي : ألا من كانت له مظلمة فليرفعها . فجعل لا يدع شيئاً مما كان في يد سليمان وفي يد أهل بيته من المظالم إلاّ ردها مظلمة مظلمة .

إجلال الخوارج لعمر :

فلما بلغت الخوارج سيرة عمر ، وما ردّ من المظالم ، اجتمعوا وقالوا: ما ينبغي لنا أن نقاتل هذا الرجل .

قال : حدثنا محمد بن سعد قال : قال عمر بن عبد العزيز : لو كان كل بدعة يميتها الله على يدي ، وكل سنّة ينعشها الله على يدي ببضعة من لحمي ، حتى يأتي آخر ذلك على نفسي ، كان في الله يسيراً .

قال : حدثنا ابن وهب قال : حدثني مالك أن عمر بن عبد العزيز قام في الناس — وهو خليفة — على المنبر يوم الجمعة فقال :

أيها الناس إني أنساكم هاهنا ، وأذكركم في بلادكم ، فمن أصابته مظلمة من عامله فلا إذن له عليّ ، ومن لا ، فلاَ أرينّه ، وإني والله إن منعت نفسي وأهل بيتي هذا المال وضننت به عنكم ، إني إذن لضنين ، ولولا أن أنعش سنّة ، أو أعمل بحق ، ما أحببت أن أعيش فواقاً .

سرور الناس باستخلاف عمر :

قال : حدثنا سليمان بن داود الخولاني أن رجلاً بايع عمر بن عبد العزيز ، فمد يده اليه ثم قال : بايعني بلا عهد ولا ميثاق ، تطيعني ما أطعت الله ، فإن عصيت الله فلا طاعة لي عليك ، فبايعه .

قال : حدثنا جويرية ، عن اسماعيل بن أبي حكيم ، قال : لما مات سليمان بن عبد الملك ، انطلقت أنا ومزاحم إلى نفقة كانت لعمر في رحله فغيبناها ، ثم أقبلت أريد المسجد ، فلقيني رجل فقال : هذا صاحبك

يخطب الناس ، فقلت : خليفة ؟ قال : فانتهيت اليه وهو على المنبر فكان ما سمعته يقول :

يا أيها الناس إني والله ما سألتها الله في سر ولا علانية قط ، فمن كره منكم فأمره اليه .

فقال رجل من الأنصار [1] : يا أمير المؤمنين ، ذاك والله أسرع فيما يكره ، أبسط يدك فلنبايعك . فكان أول من بايعه الأنصاري هذا . ولا أدري عن اسماعيل ، هو أو غيره ، وأظنه عن اسماعيل . قال : ومشى عمر في جنازة سليمان ، قال : ودخل قبره، فلما فرغ من دفنه وقد جيء بمراكب الخلفاء ، فلم يركب شيئاً منها ، وقال : بغلتي . فركض إنسان إلى العسكر ، وقعد عمر حتى جيء ببغلته ، قال : وقد ضربت أبنية الخلفاء ، قال : فأحسبه أنه لم يستظل في شيء منها حتى جيء ببغلته ، فركبها ثم رجع .

سباق الخيل في دولة بني أمية :

قال : وقد كان سليمان أمر أهل مملكته أن يقودوا الخيل بسبق بينهم ، فقل قرية [2] من المسلمين إلاَّ كان قد أخذهم ليقودوا اليه الخيل [3] ، فمات من قبل أن تُجرى الحلبة . قال : فلما ولي عمر أبى أن يجريها ، فقيل له : يا أمير المؤمنين تكلف الناس مؤونات عظاماً ، وقادوها من بلاد بعيدة ، وفي ذا غيظ للعدو [4] ، فلم يزالوا يكلمونه حتى أجرى الحلبة ، وأعطى الذين سبقوا ، ولم يخيب الذين لم يسبقوا ، أعطاهم دون

(١) هو سعيد بن عبد الملك كما جاء في العقد لابن عبد ربه (ج ٢ ص ٢٦١) وزاد فيه قوله: أتريد أن نختلف ويضرب بعضنا بعضاً . قال رجل : سبحان الله ، وليها أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، ولم يقولوا هذا ، ويقوله عمر؟.

(٢) في المختصر : « ليسبق بينها فقل الجرية » .

(٣) في المختصر : « بقود الخيل » .

(٤) هذه الجملة وكلمة « مؤونات » محذوفتان من المختصر .

ذلك . قال : وقد كان الناس لقوا جهداً شديداً في القسطنطينية من الجوع ، فأقفل الناس ، وبعث اليهم بالطعام .

خطبة عمه :

قال : حدثنا عبد الله بن يونس الثقفي ، عن سيار ، قال : كان أول ما علم من عمر بن عبد العزيز ، أنه لما دفن سليمان بن عبد الملك ، أتى بدابة سليمان التي كان يركب ، فلم يركب دابته التي جاء عليها ، فدخل القصر وقد مهدت له فرش سليمان ، فلم يجلس عليها ، ثم خرج إلى المسجد وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد .. فإنه ليس بعد نبيكم ، ﷺ ، نبي ، ولا بعد الكتاب الذي أنزل عليه كتاب ، إلا ما أحل الله ، عز وجل ، حلال إلى يوم القيامة ، وما حرم الله حرام إلى يوم القيامة . ألا لست بقاضٍ ولكني منفذ ألا وإني لست بمبتدع ، ولكني متبع . ألا أنه ليس لأحد أن يطاع في معصية الله ، عز وجل ، ألا أني لست بخيركم ، ولكني رجل منكم ، غير أن الله جعلني أثقلكم حملا . ثم ذكر حاجته .

حدثنا جويرية بن أسماء ، عن اسماعيل بن أبي حكيم ، قال : أول كلمة سمعتها من عمر بن عبد العزيز يوم استخلف وهو على المنبر يقول :

أيها الناس ، إني والله ما سألتها الله في سر ولا علانية قط ، فمن كره منكم فأمره اليه . فقام رجل من الأنصار فبايعه ، وبايعه الناس .

قال : حدثنا الحارث بن عمير ، عن ابراهيم بن عقبة ، قال : بلغني أن عمر بن عبد العزيز قال : إني والله ما أنا بمبتدع ، ولكني متبع ، وإني والله ، ما أنا بخيركم ، ولكني أثقلكم حملا ، وإنه والله ما من أحد من خلق الله له طاعة في معصية .

قال : حدثنا ابن زيد، عن عامر بن عبيدة، قال : أول ما أنكر من عمر ابن عبد العزيز أنه خرج في جنازة ، فأتي ببُرد كان يلقى للخلفاء يقعدون عليه إذا خرجوا إلى جنازة ، فألقي له فضربه برجله ، ثم قعد على الأرض. فقالوا : ما هذا ؟ فجاء رجل فقام بين يديه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، اشتدت بي الحاجة ، وانتهت بي الفاقة ، والله يسألك عن مقامي هذا بين يديك — وفي يده قضيب قد اتكأ عليه — فقال : أعد ما قلت ، فأعاد عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، اشتدت بي الحاجة ، وانتهت بي الفاقة ، والله سائلك عن مقامي هذا بين يديك . فبكى حتى جرت دموعه على القضيب ، ثم قال له : ما عيالك ؟ قال : خمسة ، أنا وامرأتي وثلاثة أولاد ، قال : فإنّا نفرض لك ولعيالك عشرة دنانير ، ونأمر لك بخمس مائة ، مائتين من مالي ، وثلاث مائة من مال الله ، تبلغ بها حتى يخرج عطاؤك .

زهد عمر في التمتع :

قال : حدثنا أبو الصباح قال : حدثنا سهل بن صدقة ، مولى عمر بن عبد العزيز ، قال : حدثني بعض خاصة عمر بن عبد العزيز أنه حين أفضت اليه الخلافة ، سمعوا في منزله بكاء عالياً ، فسئل عن البكاء ، فقيل : إن عمر بن عبد العزيز قد خير جواريه ، فقال : إنه قد نزل بي أمر قد شغلني عنكن ، فمن أحبّ أن أعتقه أعتقته ، ومن أراد أن أمسكه أمسكته ، ولم يكن مني اليها شيء . فبكين يأساً منه ، رحمه الله .

قال : حدثنا ابراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى ، قال : حدثني أبي ، عن جدي قال : كنت أنا ، وابن أبي زكريا بباب عمر ، فسمعنا بكاء في داره ، فسألنا عنه ، فقالوا : خَيّر أمير المؤمنين امرأته بين أن تقيم في منزلها — وأعلمها أنه قد شغل عن النساء بما في عنقه — وبين أن تلحق بمنزل أبيها ، فبكت ، فبكى جواريها لبكائها .

قال : حدثني سليمان بن حميد المدني ، عن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع القرشي ، أنه دخل على فاطمة بنت عبد الملك فقال لها ، ألا تخبريني عن عمر ؟ فقالت : ما أعلم أنه اغتسل من جنابة ، ولا من احتلام ، منذ استخلفه الله إلى أن قبضه .

حالة جسمه ولباسه وهو خليفة :

قال : حدثنا عبيد الله ، قال : سمعت شيخاً كان في حرس عمر بن عبد العزيز ، قال : رأيت عمر بن عبد العزيز ، حين ولي (فإذا به من حسن اللون ، وجودة الثياب ، والبزة ، ثم دخلت عليه ، بَعْدُ ، وقد ولي) [1] فإذا قد احترق ، واسودّ ، ولصق جلده بعظمه حتى ليس بين الجلد وبين العظم (لحم) ، وإذا عليه قلنسوة بيضاء ، قد اجتمع قطنها ، يعلم أنها قد غسلت ، وعليه سحق انبجانية قد خرج سداها ، وهو على شاذكونة قد لصقت بالأرض ، وتحت الشاذكونة عباءة قطوانية من مشاقة الصوف ، فأعطاني مالاً أتصدق به بالرقة ، قال : ولا تقسمه إلاّ على نهر جار ، فقلت : إنه يأتيني من لا أعرف [2] ، فمن أعطي ؟ قال : أعطِ من مد يده اليك .

(١) من نسخة المختصر .
(٢) في المختصر « يأتيني ولا أعرف » .

الباب الثالث عشر[1]

في ذكر أنه من الخلفاء الراشدين المهديين

حدثنا علي بن الحسين قال : أخبرني حارجه بن مصعب ، عن ابن عوف ، عن مجاهد ، قال : المهادي سبعة : مضى خمسة وبقي اثنان . قال خارجة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم .

قال : حدثني عبد الرزاق بن همام قال : حدثني أبي قال : قال وهب بن منبه : إن كان في هذه الأمة مهدي ، فهو عمر بن عبد العزيز .

قال : حدثنا ضمرة ، عن ابن شوذب قال : قال الحسن : إن كان مهدي ، فعمر بن عبد العزيز وإلاَّ فَلاَ مهدي إلا عيسى بن مريم ، عليه السلام .

قال : حدثنا سهيل بن عباس ، عن ابن اسحاق ، عن ابراهيم بن عقبة ، عن عطاء مولى أم بكر الأسلمية ، عن حبيب بن هند الأسلمي ، قال : قال لي سعيد بن المسيب ، ونحن على عرفة ، إنما الخلفاء ثلاثة ، قلت : من الخلفاء ؟ قال : أبو بكر وعمر وعمر ، يعني عمر (بن عبد العزيز) قلت : هذا أبو بكر وعمر قد عرفناهما ، فمن عمر ؟ قال : إن عشت أدركته ، وإن مت كان بعدك .

(١) هذا الباب محذوف من المختصر .

قال : حدثنا أبو عبيدة السري بن يحيى بن أخي هنادين ، قال : سمعت قبيصة بن عقبة يقول : سمعت سفيان الثوري يقول : الخلفاء خمسة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز ، رضي الله عنهم .

عمر إمام عدل :

قال : وقد رواه قبيصة ، عن عباد ، عن سفيان ، قال : حدثنا قبيصة قال : حدثنا عباد السماك قال : سمعت سفيان يقول : أئمة العدل خمسة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز .

قال : حدثنا عباد السماك قال : سمعت سفيان الثوري يقول : أئمة العدل خمسة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز ، من قال غير هذا فقد اعتدى .

قال : حدثنا قبيصة ، قال : سمعت عباد السماك يقول : سمعت الأئمة خمسة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز .

قال : حدثنا عبد الله بن أحمد بن شبويه قال : سمعت أبي قال : سمعت وكيعاً يقول : سمعت سفيان يقول : لا أوافق رأي أحد أحب إليّ من عمر بن عبد العزيز ، لأنه كان إمام هدى .

قال : حدثنا مزاحم الخاقاني قال : حدثني عمي ، أبو علي عبد الرحمن بن يحيى بن خاقان ، أنه ذكر لأحمد بن حنبل أنه يروي عن سفيان الثوري أنه قال : أئمة الهدى : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز . فقال له أحمد بن حنبل : هذا كذا هو .

عمر مرشد المائة الأولى والشافعي مرشد المائة الثانية :

قال : حدثنا محمد بن الحسن بن الجنيد قال : سمعت عثمان بن علي يقول : سمعت حميد بن زنجويه النسائي يقول : قال أحمد بن حنبل :

يروى في الحديث أن الله يبعث على رأس كل مائة عام من يصحح لهذه الأمة دينها ، فنظرنا في المائة الأولى فإذا هو عمر بن عبد العزيز ، ونظرنا في المائة الثانية فنراه الشافعي .

قال : حدثنا أبو سعيد الفريابي قال : قال أحمد بن حنبل : إن الله تعالى يقيض للناس ، في كل رأس مائة سنة ، من يعلمهم السنن ، وينفي عن رسول الله ﷺ الكذب، فنظرنا ، فإذا في رأس المائة عمر بن عبد العزيز وفي رأس المائتين الشافعي .

بشارة أحمد بن حنبل لمن ينشر محاسن عمر :

قال : حدثني من سمع أحمد بن حنبل يقول : إذا رأيت الرجل يحب عمر بن عبد العزيز ، ويذكر محاسنه وينشرها ، فاعلم أن من وراء ذلك خيراً ، إن شاء الله .

قال : حدثنا خالد بن حسان ، عن جعفر ، يعني ابن برقان ، وقرأت ابن سليمان ، عن ميمون بن مهران قال : إن الله ، عز وجل ، تعاهد الناس بعمر بن عبد العزيز .

عمر أمة وحده :

قال : أخبرني عطاء بن مسلم الخفاف ، عن عمر بن قيس الملائي قال : سئل محمد بن علي بن حسين عن عمر بن عبد العزيز ، فقال : أما علمت أن لكل قوم نجيباً ، وأن نجيب بني أمية عمر بن عبد العزيز ، وأنه يبعث يوم القيامة أمة وحده ؟

قال : حدثنا ضمرة ، عن رجاء ، عن ابن عون قال : كان ابن سيرين ، إذا سئل عن الطلا [1] قال : نهى عنه امام هدى . يعني : عمر بن عبد العزيز .

---

(١) الطلا : الخمر ، وكل ما طبخ من عصير العنب .

قال : حدثني الفريابي ، عن عبّاد بن كثير قال : دخلت على أبي جعفر فقلت : يا أمير المؤمنين ، أما تستحيون أن تجيء بنو أمية بعمر بن عبد العزيز ، ولا تجيئون بمثله ؟

قال : حدثنا ضمرة ، عن علي بن خولة ، عن أبي عنبس قال : كنت واقفاً مع خالد بن يزيد بن معاوية ، في مسجد بيت المقدس ، إذ أقبل فتى شاب ، فسلم على خالد ، فأقبل عليه خالد ، فقال الفتى لخالد : هل علينا من عين ؟ قال : فبادرت أنا فقلت : نعم ، عليك من الله عين بصيرة ، فترقرقت عين الفتى ، ونزع يده من يد خالد ، ثم ولّى ، فقلت لخالد : من هذا ؟ قال : أما تعرف هذا ؟ هذا عمر بن عبد العزيز ، ابن أخي أمير المؤمنين ، ولئن طالت بك وبه حياة لترينه إمام هدى .

قال : حدثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن زفر : يعني العجلي ، عن قيس بن حبتر قال : مثل عمر في بني أمية ، مثل مؤمن آل فرعون .

الباب الرابع عشر

في ذكر أخلاقه وآدابه

قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة قال : كان لعمر بن عبد العزيز سمّار [1] . يستشيرهم فيما يرفع اليه من أمور الناس ، وكان علامة بينه وبينهم ، إذا أحب أن يقوموا قال : إذا شئتم .

قال : حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس ، قال : سمعت بعض شيوخنا يذكر أن عمر بن عبد العزيز أتي بكاتب يخط بين يديه — وكان مسلماً ، وكان أبوه كافراً [2] — فقال عمر للذي جاء به : لو كنت جئت به من أبناء المهاجرين . فقال الكاتب : ما ضر رسول الله ﷺ ، كُفْرَ أبيه . فقال عمر : قد جعلته مثلاً ، لا تخط بين يدي بقلم أبداً .

حسن سياسة عمر للحرورية :

قال : حدثنا أرطأة بن المنذر قال : سمعت أبا عون يقول ، دخل ناس من الحرورية على عمر بن عبد العزيز ، فذاكروه شيئاً ، فأشار اليه [3] بعض جلسائه أن يرعبهم ، ويتغير عليهم ، فلم يزل عمر بن عبد العزيز يرفق بهم حتى أخذ عليهم ، ورضوا منه أن يرزقهم ويكسوهم ما بقي . فخرجوا على ذلك . فلما خرجوا ضرب عمر ركبة رجل يليه من أصحابه ،

---

(١) في المختصر : « سماع » .
(٢) خ نصرانياً .
(٣) في المختصر : « عليه » .

فقال : يافلان ! إذا قدرت على دواء تشفي به صاحبك ، دون الكي ، فلا تكوينّه أبداً .

قال : حدثنا الوليد بن مسلم ، عن مالك بن أنس قال : قال عمر بن عبد العزيز : ما كذبت كذبة منذ شددت عليّ ازاري [1] .

قال : حدثنا سفيان بن يحيى بن سعد ، أن رجلا قال لعمر بن عبد العزيز : إن من قرابتي كذا ، قال : إنّ ذاك . قال : إني أريد أن يكلم لي أمير المؤمنين في كذا كذا ، قال : لعل ذاك . قال : فقضيت حاجة الرجل وما يشعر .

قال : حدثنا أبو بكر بن عباس ، عن عاصم ، قال : كنت عند عمر بن عبد العزيز ، فدخل عليه رجل فرفع صوته ، فقال عمر : مه حسب المرء ما أسمَعَ به جليسه من كلامه .

اجتماع بني مروان لاستعطاف عمر عليهم :

قال : حدثنا عمر بن علي المقري ، عن حجاج بن عنبسة بن سعيد قال : اجتمع بنو مروان فقالوا : لو دخلنا على أمير المؤمنين فعطفناه علينا ، وأذكرناه أرحامنا . قال : فدخلوا ، فتكلم رجل منهم ، فمزح ، فنظر اليه عمر . قال : فوصل له رجل كلامه بالمزاح ، فقال عمر : لهذا اجتمعتم ، لأخس الحديث ولما يورث الضغائن ؟ إذا اجتمعتم ، فأفيضوا في كتاب الله ، فإن تعديتم فعليكم بمعالي الحديث .

أدبه وسمره وما كان يشترط على أصحابه :

قال محمد بن سعيد . قال : حدثنا العلاء بن عمر ، عن سعيد بن عبد العزيز قال : كان عمر بن عبد العزيز إذا خطب على المنبر فخاف

---

(١) راجع ص ٤٧ ،

فيه [1] العجب قطع ، وإذا كتب كتاباً فخاف فيه العجب مزقه ، ويقول: اللهم ، إني أعوذ بك من شر نفسي .

قال : حدثنا ضمرة ، عن رجاء قال : قدم عبدالله بن الحسن — وهو إذ ذاك فتى شاب — على سليمان بن عبد الملك في حوائجه ، فكان يختلف إلى عمر بن عبد العزيز . يستعين به على سليمان في حوائجه ، فقال له عمر : رأيت أن لا تقف ببابي إلاّ في الساعة التي ترى أنه يؤذن لك فيها علي ، فإني أكره أن تقف ببابي فلا يؤذن لك علي [2] . قال : فجاءه ذات يوم فقال : إن أمير المؤمنين قد بلغه أن في العسكر مطعوناً [3] فالحق بأهلك ، فإني أضن بك .

قال : حدثنا ضمرة ، عن العلاء بن هارون ، قال : كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ في منطقه ، لا يتكلم بشيء من الخنا ، فخرج به خراج في إبطه ، فقالوا : أي شيء عسى أن يقول الآن ؟ فقالوا : يا أبا حفص ، أين خرج منك هذا الخراج ؟ قال : في باطن يدي .

قال : حدثني موسى بن رباح قال : بلغني — أو قال : بلغنا — أن عمر جلس إلى ناس ، فنسي السلام ، فذكر أنه لم يسلم ، فقام قائماً ثم سلم عليهم ثم جلس .

قال : حدثني جعفر بن محمد أبي العالية الرباحي قال : سهرت مع عمر بن عبد العزيز ليلة ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما يبقي منك تعب النهار مع سهر الليل ؟ قال : لا تفعل يا أبا العالية ، فإن لقاء الرجال تلقيح لألبابها .

قال : حدثنا عمر بن علي ، عن عبد ربه ، عن ميمون بن مهران ،

---

(١) خ « عليه » .
(٢) جملة « فاني أكره ... » . ناقصة من المختصر .
(٣) أي مصاب بالطاعون .

قال : كنت في سمر عمر بن عبد العزيز ذات ليلة ، فقلت له : ياأمير المؤمنين ما بقاؤك على ما أرى ، أنت بالنهار مشغول في حوائج الناس ، وبالليل أنت معنا هاهنا ثم الله أعلم بما تخلو به ؟ قال : فعدل عن جوابي . ثم قال : اليك عني ياميمون ، فإني وجدت لقاء الرجال تلقيحاً لألبابهم .

قال : حدثنا أبو خليد ، عن الاوزاعي ، قال : قال عمر لجلسائه: من صحبني منكم فليصحبني بخمس خصال : يدلني من العدل إلى ما لاأهتدي له ، ويكون لي على الخير عوناً ، ويبلغني حاجة من لا يستطيع ابلاغها ، ولا يغتاب عندي أحداً ، ويؤدي الأمانة التي حملها مني ومن الناس ، فإذا كان كذلك فحي هلا به ، وإلاّ فهو خرجٌ من صحبتي والدخول عليّ .

قال : حدثنا مالك بن أنس ، قال : سمعت الزهري يقول : كان عمر بن عبد العزيز إذا أراد الحمام أمر أن يخلى له ، فلا يدخله غيره ، أو بعض ولده ، أو بعض خدمه حتى يخرج .

قال : حدثنا وهيب أن عمر بن عبد العزيز كان يقول : أحسن بصاحبك — يعني الظن — ما لم يغلبك .

ماقاله للذي يدعو الله وهو يلعب :

قال : حدثنا المسيب بن واضح ، عن محمد بن الوليد قال : مرّ عمر بن عبد العزيز برجل في يده حصاة يلعب بها ، وهو يقول : اللهم زوجني من الحور [1] العين ، قال : فقام اليه ، فقال : بئس الخاطب أنت ! ألا ألقيت الحصاة ، وأخلصت إلى الله الدعاء ؟ .

ما كان يقرؤه في صلاة الجمعة :

قال : حدثنا الحكم بن عمر الرعيني قال : شهدت عمر بن عبد العزيز

---

(١) في المختصر : « الحوراء » .

يُخرَجُ اليه المنبر فيخطب الناس ، ثم ينزل فتقام الصلاة ، وتُنصب بين يديه حربة تجاهه ثم يصلي . وسمعته يقرأ يوم الجمعة سورة الجمعة و : ﴿ إذا جَاءكَ المُنَافِقونَ ﴾ [1] لا يعدوهما كل جمعة . قال : ورأيت عمر يأتي يوم العيد ماشياً .

(١) سورة المنافقون ، الآية : ١ .

الباب الخامس عشر

في ذكر علو همته

نفس عمر توافة إلى العلى :

قال : حدثني أبو معمر ، عن سفيان قال : قال لي عمر بن عبد العزيز : كانت لي نفس توّاقة فكنت لا أنال شيئاً إلاّ تاقت إلى ما هو أعظم منه. فلما بلغت نفسي الغاية ، تاقت إلى الآخرة .

قال : حدثني جويرية بن أسماء قال : قال عمر : إن نفسي هذه تواقة ، لم تعط من الدنيا شيئاً إلا تاقت إلى ما هو أفضل منه . قال سعيد : الجنة أفضل من الخلافة ؟

قال : حدثني شعيب ، عن أبي صفوان ، عن محمد بن مروان بن أبان بن عثمان ، عن من سمع مزاحماً يقول : قلت لعمر بن عبد العزيز : إني رأيت [1] في أهلك خللاً . فقال : يا مزاحم : أما يكفيهم ، أعطيهم ما يصيبون من المقاسم مع المسلمين من فيئهم مع مال عمر [2] . فقلت له : وأين يقع ذلك منهم ، مع ما يمونون ، ومع ضيافتهم وكسوتهم نساءهم ؟ وأين يقع ذلك ؟ قد والله خشيت أن تصيبهم مخمصة . فقال لي عمر : إن لي نفساً توّاقة . لقد رأيتني وأنا بالمدينة غلام مع الغلمان ، ثم تاقت

---

(١) في المختصر « إني رأيتك في أهلك خللا » .
(٢) في الأصل « مع وبال » وفي المختصر « مع مال عمر » .

نفسي إلى العلم . إلى العربية والشعر . فأصبت منه حاجتي [1] . وما كنت أريد . ثم تاقت نفسي إلى السلطان . فاستُعْملت على المدينة . ثم تاقت نفسي . وأنا في السلطان ، إلى اللبس والعيش والطيب : فما علمت أن أحداً من أهل بيتي . ولا غيرهم ، كان في مثل ما كنت فيه . تاقت نفسي إلى الآخرة والعمل بالعدل . فأنا أرجو ما تاقت نفسي من أمر آخرتي . فلست بالذى أهلك آخرتي بدنياهم .

---

(١) سبق هذا في ص ١٤ .

الباب السادس عشر

في ذكر اعتقاده ومذهبه

قال : حدثني اسماعيل بن يونس قال : نبئت أن عمر بن عبد العزيز قال : من جعل دينه عرضاً للخصومات أكثر التنقل .

قال : حدثني يحيى بن سعيد قال : قال عمر بن عبد العزيز : من جعل دينه عرضاً للخصومات أكثر التنقل .

قال : حدثنا عبد الرحمن — يعني ابن مهدي — عن سفيان ، عن جعفر بن برقان ، أن عمر بن عبد العزيز قال لرجل ، وسأله عن الأهواء . قال : عليك بدين الصبي الذي في الكتّاب والأعرابي ، واله[1] عما سواهما .

قال ابن مهدي : وحدثنا عبد الله بن المبارك ، عن الأوزاعي قال : قال عمر بن عبد العزيز : إذا رأيت قوماً يتناجون في دينهم بشيء دون العامة ، فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة .

رأيه في القدرية :

قال : أخبرني مالك ، عن عمه أبي سهيل ، قال : سألني عمر بن عبد العزيز عن القدرية ، ما ترى فيها ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، استتبهم ، فإن تابوا ، وإلاّ فاعرضهم على السيف . (فقال عمر)[2] : ذلك رأيي فيهم .

---

(١) في المختصر : وابْل .   (٢) من المختصر .

قال : حدثنا اسماعيل بن علية ، عن ابي مخزوم ، عن سيار قال : قال عمر بن عبد العزيز في أصحاب القدر : يستتابون ، فإن تابوا ، وإلاّ نفوا من ديار المسلمين .

قال : حدثنا اسماعيل بن عباس الحمصي ، عن أبي بكر بن عبدالله بن أبي مريم الغساني ، عن حكيم بن عمير قال : قال عمر بن عبد العزيز : ينبغي لأهل القدر أن يتقدم اليهم فيما أحدثوا من القدر ، فإن كفوا ، وإلاّ استلت آلسنتهم من أقفيتهم استلالاً .

كتابه إلى عماله بشأنهم :

قال : حدثنا خلاد بن يحيى ، عن سفيان الثوري قال : بلغني عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى بعض عماله :

« أوصيك بتقوى الله ، والاقتصاد في امره ، واتباع سنة رسوله ، وترك ما أحدث المحدثون بعده مما قد جرت سنته وكفوا مؤونته . واعلم أنه لم يبتدع انسان قط بدعة إلاّ قد مضى قبلها ما هو دليل عليها وعبرة فيها . فعليك بلزوم السنّة ، فإنها لك بإذن الله عصمة . واعلم أن من سنّ سنّة قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل والتعمق والحمق . فإن السابقين الماضين على علم توقفوا . وببصر ناقد كفوا » .

قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن أبي رجاء الهروي ، عن شهاب بن خراش قال : كتب عمر إلى رجل :

« أما بعد فإني أوصيك — وذكر مثله وزاد — وهم كانوا على كشف الأمور أقوى . وما أحدث إلاّ من اتبع غير سبيلهم ، ورغب بنفسه عنهم . لقد قصر دونهم أقوام فجفوا ، وطمع [1] عنهم آخرون فغلوا » .

---

(١) في المختصر « وطمح » .

قال : حدثنا يوسف بن أسباط ، عن سفيان الثوري قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عديّ بن أرطأة ، وكان عامله على البصرة :

« أما بعد فإذا أتاك كتابي هذا ، فاستتب القدرية مما دخلوا فيه . فإن تابوا فخلٍّ سبيلهم ، وإلاّ فانْفِهِم من ديار المسلمين » .

رسالته إلى نفر كتبوا بالتكذيب بالقدر :

قال : وهذه رسالة مروية عن عمر بن عبد العزيز في الأول [1] . وجدت (أكثر) [2] كلماتها لم تضبطها النقلة على الصحة ، فانتقيت منها كلمات صالحة :

أخبرنا سليمان بن نفيع القرشي ، عن خلف أبي الفضل القرشي ، عن كُتّاب عمر بن عبد العزيز إلى نفر كتبوا بالتكذيب بالقدر :

«أما بعد ..

فقد علمتم أن أهل السنة كانوا يقولون : الاعتصام بالسنّة نجاة ، وسينقص العلم نقصاً سريعاً ، ومنه قول عمر بن الخطاب وهو يعظ : إنّه لا عذر لأحد عَبَدَ الله بعد البيِّنة ، بضلالة ركبها حسبها هدى ، ولا في هدىً تركه حسبه ضلالة . فقد تبينت الأمور . وثبتت الحجة ، وانقطع العذر . فمن رغب عن أنباء النبوة وما جاء به الكتاب ، تقطعت من يده أسباب الهدى . ولم يجد له عصمة ينجو بها من الردى . وبلغكم أني أقول : إن الله قد علم ما العباد عاملون . فأنكرتم ذلك ، وقد قال تعالى : ﴿ إنّا كاشفوا العذابِ قليلاً إنّكُمْ عائدونَ ﴾ [3] وقال: ﴿ ولَوْ رُدُّوا لَعَادوا لما نُهُوا عَنْهُ ﴾ [4] . وزعمتم في قول الله :

(١) في المختصر : « في الأصول » .
(٢) من المختصر .
(٣) سورة الدخان ، الآية : ١٥ .
(٤) سورة الأنعام ، الآية : ٢٨ .

﴿ فَمَنْ شاء فَلْيُؤمِنْ ومَنْ شاء فَلْيَكْفُرْ ﴾ [1] . أن المشيئة في أي ذلك أحببتم من ضلال أو هدىً ؟ والله يقول : ﴿ ومَا تَشَاؤونَ إلاّ أنْ يشاء اللهُ ربُّ العالمينَ ﴾ [2] . فبمشيئته لهم . شاؤوا .

وقد حرصت الرسل على هدي الناس جميعاً . فما اهتدى إلاّ من هداه الله . وحرص إبليس على ضلالتهم جميعاً . فما ضل منهم إلاّ من كان في علم الله ضالاً .

وأنكرتم أن يكون سبق لأحد من الله ضلالة أو هدى ، وأنكم الذين هديتم أنفسكم من دون الله . وحجزتموها عن المعصية بغير قوة من الله . ومن زعم ذلك منكم . فقد غلا في القول . لأنه لو كان شيء لم يسبق في علم الله وقدره . لكان الله في ملكه شريك تنفذ مشيئته في الخلق دون الله . والله يقول : ﴿ حَبَّبَ اليْكُمُ الإيمانَ وزَيَّنَهَ في قُلُوبِكم وكرّه إليْكُمُ الكُفْرَ والفُسُوق والعِصْيانَ ﴾ [3] . وسميتم نفاذ الله في الخاق حيفاً . وقد جاء الخبر أن الله . عز وجل . خلق آدم . فنثر ذريته بين يديه . فكتب أهل الجنة وما هم عاملون . وكتب أهل النار وما هم عاملون » .

---

(١) سورة الكهف ، الآية : ٢٩ .
(٢) سورة التكوير ، الآية : ٢٩ .
(٣) سورة الحجرات ، الآية . ٧ .

الباب السابع عشر

في ذكر سيرته وعدله في رعيته

ما كان يتناقله الناس عند استخلافه :

قال : حدثنا مالك بن دينار قال : لما ولي عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله . قالت رعاة الشاء في ذروة الجبال : من هذا الخليفة الصالح الذي قد قام على الناس؟ فقيل لهم : وما علمكم بذلك؟ قالوا : إنّا إذا قام على الناس خليفة صالح ، كفّت الذئاب والأسد عن شأننا .

قال : حدثني حسن القصار قال : كنت أحلب الغنم في خلافة عمر بن عبد العزيز ، فمررت براعٍ . وفي غنمه نحو من ثلاثين ذئباً . فحسبتها كلاباً — ولم أكن رأيت الذئاب قبل ذلك — فقلت: ياراعي! ما ترجو بهذه الكلاب كلها ؟ فقال : يا بني : إنها ليست كلاباً ، إنما هي ذئاب . فقلت : سبحان الله، ذئب في غنم لا يضرها ؟ فقال : يا بني ! إذا صلح الرأس ، فليس على الجسد بأس . وكان ذلك في خلافة عمر بن عبد العزيز .

قال : حدثنا موسى بن أعين قال : كنا نرعى الشاء بكرمان ، في خلافة عمر بن عبد العزيز ، فكانت الشاء والذئب ترعى في مكان ، والله ، واحد . فبينا نحن ذات ليلة ، إذ عرض الذئب لشاة ، فقلت : ما نرى الرجلَ الصالحَ إلاّ قد هلك . قال حماد : فحدثني هذا أو غيره أنهم حسبوا ، فوجدوه قد مات في تلك الليلة .

قال : حدثني بقية بن الوليد . عن عبد الحميد بن زياد . عن ميمون ابن مهران ، قال : ولاّني عمر بن عبد العزيز على الأرض – وذكره – :

استدراجه الناس إلى الخير :

قال : حدثني فرات بن سليمان ، عن ميمون بن مهران ، أن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز قال : يا أبة ! ما يمنعك أن تمضي لما تريد من العدل ؟ فوالله . ما كنت أبآ لي ، لو غلت بي وبك القدور في ذلك . قال : يا بني ! إنما أروّض الناس رياضة الصعب ، إني لأريد أن أحيي الأمور من العدل ، فأؤخر ذلك حتى أخرج معه طمعاً من طمع الدنيا . فينفروا لهذه ويسكنوا لهذه .

قال : حدثنا محمد بن سلمة، عن هشام بن عبد الملك قال : قال عمر بن عبد العزيز : ما طاوعني الناس على ما أردت من الحق ، حتى بسطت لهم من الدنيا شيئاً .

اقتصاده في مال الأمة :

قال : حدثنا عمرو بن ميمون قال : حدثني أبي قال : ما زلت أنا وعمر بن عبد العزيز ننظر في أمور الناس ، حتى قلت : ياأمير المؤمنين ! ما بال هذه الطوامير (١) التي تكتب فيها بالقلم الجليل ، وتمد فيها وهي من بيت مال المسلمين ؟ فكتب إلى العمال أن لا يكتبن في طومار ولا يمد فيه ، قال : فكانت كتبه شبراً أو نحو ذلك .

قال إياس بن معاوية بن قرة : ما شبهت عمر بن عبد العزيز إلا برجل صناع . حسن الصنعة ، ليس له أداة يعمل بها ، يعني لا يجد من يعينه.

قال : حدثنا محمد بن سعد قال : قال إدريس بن قادم . قال عمر

---

(١) طوامير : ج طومار : صحيفة .

لميمون بن مهران : كيف لي بأعوان على هذا الأمر أثق بهم وآمنهم ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! لا تشغل قلبك بهذا ، فإنك سوق ، وإنما يحمل إلى كل سوق ما ينفق فيها ، فإذا عُرِفَ أن النافق عندك الصحيح ، لم يأتوك إلاّ بالصحيح .

قال : حدثنا عبد الله بن يونس ، عن سيار أبي الحكم قال : كان عمر بن عبد العزيز يقول : أيها الناس : الحقوا ببلادكم ، فإني أذكركم هناك ، وأنساكم عندي إلاّ من ظلمه الأمير ، فليس عليه إذن ليأتيني .

قال : حدثني عبد العزيز ، عن عبيد الله بن عمر بن عبد الملك بن عبيد الله بن عاصم ، خال عمر بن عبد العزيز ، أنه قال : قدمنا على عمر ابن عبد العزيز ، حين استخلف ، وجاءه الناس من كل مكان ، قال: فجلس على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أما بعد ، أيها الناس ! فالحقوا ببلادكم ، فإني أنساكم هاهنا ، وأذكركم في بلادكم . وإني قد استعملت عليكم عمالاً ، لا أقول هم خياركم ، فمن ظلمه عامل بمظلمة ، فلا إذن له عليّ إلا ولا أرينه . وأيم الله لأن كنت منعت نفسي وأهل بيتي هذا المال ، ثم ضننت به عليكم إني إذن لضنين ، والله لولا أن أنعش سُنّة ، وأسير بحق ما أحببت أن أعيش فواقاً [1] » .

ما كتب في المحابس :

قال : حدثنا محمد بن سعد قال : قال عبد الله بن أبي هلال : كتب عمر بن عبد العزيز في المحابس : « لا يقيد أحد بقيد يمنع من تمام الصلاة » .

قال : حدثني الأوزاعي قال : نقش رجل على خاتم عمر بن عبد العزيز ، فحبسه خمسة عشر ليلة ، ثم خلى سبيله .

---

(١) سبق هذا في ص ٦٧ .

كتابه إلى أهل الموسم :

قال : حدثنا عمرو بن عثمان قال : حدثنا خالد بن زيد . عن جعونة قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل الموسم :

« أما بعد ؛ فإني أشهد الله ، وأبرأ اليه في الشهر الحرام ، والبلد الحرام ، ويوم الحج الأكبر ، أني بريء من ظلم من ظلمكم . وعدوانَ من اعتدى عليكم ، أن أكون أمرت بذلك ، أو رضيت . أو تعمدته ، إلاّ أن يكون وهماً مني ، وأمراً خفي عليّ لم أتعمده . وأرجو أن يكون ذلك موضوعاً عني ، مغفوراً لي . إذا علم مني الحرص والاجتهاد / ألا وأنه لا إذن على مظلوم دوني ، وأنا معول كل مظلوم. ألا وأي عامل من عمالي رغب عن الحق ، ولم يعمل بالكتاب والسنة فلا طاعة له عليكم ، وقد صيرت أمره اليكم حتى يراجع الحق وهو ذميم. ألا وإنه لا دولة ببرّ أغنيائكم ، ولا أثرة على فقرائكم في شيء من فيئكم. ألا وأيما وارد ورد في أمر يصلح الله به خاصة أو عامة . فله ما بين مائة دينار إلى ثلاث مائة دينار على قدر مانوى[1] من الحسبة . وتجشم من المشقة ، فرحم الله امرءاً لم يتعاظمه سفر يحيي الله به حقاً لمن وراءه ولولا أن أشغلكم عن مناسككم ، لرسمت لكم أموراً من الحق أحياها الله لكم ، وأموراً من الباطل أماتها الله عنكم ، فلا تحمدوا غيره . ولو وكلني إلى نفسي كنت كغيري ، والسلام عليكم » .

قال : حدثنا عبد الله الرقاشي . عن جعفر بن سليمان . عن أسماء ابن عبيد قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى صاحب الحجاز : أن مُرْ قاصّك أن يقص عليّ كل ثلاثة أيام مرة ـ أو قال قاصكم ـ .

قال : حدثنا عبيد الله بن عمر ، عن نافع . عن ابن عمر قال : عرضني رسول الله ﷺ ، في القتال يوم أُحُد ، وأنا ابن أربع عشرة .

---

(١) في المختصر : « نرى » .

فلم يجزني . فلما كان يوم الخندق عرضني . وأنا ابن خمس عشرة ، فأجازني . قال نافع ، فقدمت على عمر بن عبد العزيز ، وهو يومئذ خليفة . فحدثته بهذا الحديث أن هذا الحد بين الكبير والصغير ، فكتب إلى عماله أن يفرضوا لابن خمس عشرة سنة . ويُلحقوا مَنْ دون ذلك في العيال .

عدله بين الخصوم :

قال : حدثنا الحكم بن عمر الرعيني قال : شهدت مسلمة بن عبد الملك يخاصم أهل دير إسحاق عند عمر بن عبد العزيز بالناعورة ، فقال عمر لمسلمة : لا تجلس على الوسائد وخصماؤك بين يدي ، ولكن وكّل بخصومتك من شئت . وإلاّ فجاثي القوم بين يدي . فوكل مولى له بخصومته . فقضى عليه بالناعورة .

قال : حدثنا مالك أن عمر . لما وليَ الخلافة . جاءه الناس ، فلما رأوه لا يعطيهم إلاّ ما يعطي العامة . تفرقوا عنه . ثم قرّب إليه العلماء الذين ارتضاهم .

قال : حدثني مالك أن عمر بن عبد العزيز . حين ولي ، جاءه الناس . فلم يقبل إلاّ رجلاً فيه خير وتقوى ، فكلم في صديق له ، فقال : تركناه كما تركنا الخز والموشّى .

قال : حدثنا موسى بن المغيرة . قال : سمعت رياح بن عبيدة الباهلي قال : كنت عند عمر بن عبد العزيز . فجاء أعرابي فقال : يا أمير المؤمنين ! جاءت بي اليك الحاجة [1] . وانتهت بي الفاقة ، — أو قال الغاية — والله سائلك عني يوم القيامة . فقال : ويحك ، أعد عليّ . فأعاد عليه ، فنكس عمر رأسه . وأرسل دموعه حتى ابتلت الأرض،

(١) راجع ص ٧٠ .

ثم رفع رأسه وقال : ويحك ! كم أنتم ؟ قال : أنا وثمان بنات . ففرض له على ثلاثمائة ، وفرض للبنات — أو قال لبناته — على مائة ، وأعطاه مائة درهم ، وقال هذه المائة أعطيتك من مالي ، ليس من مال المسلمين ، اذهب فاستنفقها حتى تخرج أعطيات المسلمين فتأخذ معهم .

ارساله المرشدين ليفقهوا الناس في البادية :

قال : حدثنا نعيم بن حمّاد ، عن ضمرة بن ربيعة ، عن عبد الحكيم ابن سليمان ، عن ابن أبي غيلان قال : بعث عمرُ بن عبد العزيز يزيدَ بن أبي مالك الدمشقي والحارث بن يمجد الأشعري يفقهان الناس في البدو ؛ وأجرى عليهما رزقاً . فأما يزيد فقبل ، وأما الحارث فأبى أن يقبل ؛ فكتب إلى عمر بن عبد العزيز بذلك ؛ فكتب عمر : إنّا لا نعلم بما صنع يزيد بأساً ، وأكثرَ الله فينا مثل الحارث بن يمجد .

قال : حدثنا سليمان أن عمر بن عبد العزيز كان كثيراً ما يردد هذا القول : « ما يرد عليّ نفسي من نفس أن أنا قتلتها ، فلو كان لي نفسان فأغدر [1] باحداهما وأمسك الأخرى » .

الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل :

قال : حدثنا مسلم بن زياد قال : سألت فاطمة بنت عبد الملك عمرَ بن عبد العزيز أن يجريَ عليها خاصة . فقال لها : لا لك في مالي سعة . قالت : فلمَ أنت كنت تأخذ منهم ؟ قال : كانت المهنأة لي ، والاثم والتبعة عليهم ؛ أما إذا وليت فلا أفعل ذلك فيكون اثمه عليّ .

قال : حدثني فياض بن محمد الرقي ، عن عبيدة بن حسان السنجاري أن رجلا من أهل أذربيجان أتى عمر بن عبد العزيز ، فقام بين يديه ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أذكر بمقامي هذا مقاماً لا يشغل الله عنك فيه

---

(١) كذا في المختصر وفي الأصل « فاعور » .

كثرة من يخاصم من الخلائق ، يوم تلقاه بلا ثقة من العمل ، ولا براءة من الذنب . قال : فبكى بكاء شديداً . ثم قال : ويحك ، اردد عليَّ كلامك هذا . فجعل يردده عليه وعمر يبكي وينتحب . ثم قال : ما حاجتك؟ قال . إن عامل أذربيجان عدا عليَّ فأخذ مني اثنا عشر ألف درهم . فجعلها في بيت مال المسلمين . فقال عمر : اكتبوا له الساعة ، إلى عاملها حتى يرده اليه — أو عليه — .

قال : حدثني رياح بن حيان — وكان على المدينة — قال : ما قدم علينا بريد لعمر بن عبد العزيز بالشام إلاَّ بإحياء سنة . أو قسم مال ، أو أمر فيه خير .

قال : وعن مالك . عن يحيى بن سعيد . وربيعة بن أبي عبد الرحمن ، قالا : كان عمر بن عبد العزيز يقول : ما من طينـــة أهون علي فتا ، إلا من كتاب أيسر عليَّ رداً من كتاب قضيت به . ثم أبصرت أن الحق في غيره ففتتها .

قال : حدثني يعقوب ، أراه عن أبيه ، قال : أذن عمر بن عبد العزيز لزياد بن أبي زياد — والأمويون هناك ينتظرون الدخول عليه — قال هشام : أما رضي ابن عبد العزيز آن يصنع ما يصنع حتى أذن لعبد ابن عباس آن يتخطى رقابنا . فقال الفرزدق في هذا :

يا أيها القارىء المقضي حاجتــــه   هذا زمانك إني قد خلا زمني

وعن يعقوب ، عن أبيه قال . دخل على عمر بن عبد العزيز من أهل الشام شيخ جليل ، فقال يا أمير المؤمنين : إني دخلت مصر مع مروان ، وغزوت دير الجماجم . وغزوة كذا . وغزوة كذا ، فتأمر لي بشيء . فقال : اجلس أيها الشيخ . ويثور غلام من الأنصار فقال : يا أمير المؤمنين أنا فلان بن فلان ، أبي ممن شهد العقبة ، وشهد بدراً وأحداً — حتى ذكر مغازي — فقال عمر : أين الشيخ الذي ذكر ماذكر؟

قال : فجثى الشيخ على ركبتيه — أو قام — فقال : ها هوذا أنا يا أمير المؤمنين ؛ فقال : هذه المكارم لا ما تعده أيها الشيخ منذ اليوم .

تلك المكارم لا قعبان من لبن — شيبا بماء فصارا بعد أبوالا [1] .

خذوا حاجة الفتى .

الأكباد الجائعة أولى بالصدقات من البيت الحرام :

قال : حدثني ميسر بن أبي الفرات ، قال : كتبت الحجبة إلى عمر بن عبد العزيز يأمر للبيت بكسوة ، كما كان يفعل من كان قبله ، فكتب إليهم : إني رأيت أن أجعل ذلك في أكباد جائعة ، فإنه أولى بذلك من البيت .

قال : حدثني الليث بن يحيى بن مسعد ، وغيره ، أن عمر بن عبد العزيز قدم عليه بعض أهل المدينة ، فجعل يسأله عن أهل المدينة ، فقال : ما فعل المساكين الذين كانوا يجلسون في مكان كذا وكذا ؟ قال : قد قاموا منه يا أمير المؤمنين وأغناهم الله . وكان من أولئك المساكين من يبيع الخبط للمسافرين فالتمس ذلك منهم بعد ، فقالوا : قد أغنانا الله عن بيعه بما يعطينا عمر .

قال : حدثني ابن زيد ، عن عمر بن أسيد بن عبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب ، قال : إنما ولي عمر بن عبد العزيز سنتين ونصفاً — ثلاثين شهراً — لا والله مات عمر بن عبد العزيز حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم ، فيقول : اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء ، فما يبرح حتى يرجع بماله ، قد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس .

منذ كم لعنتم فرعون ؟

قال : حدثنا ابراهيم بن هشام بن يحيى الغساني قال : حدثني أبي .

---

(١) شيبا : من الشوب : خلطا .

عن جدي قال : بلغني أن ناساً من الحرورية جمعوا بناحية من الموصل ، فكتبت إلى عمر بن عبدالعزيز أعلمه بذلك، فكتب إليّ يأمرني أن أرسل إلي منهم رجالاً من أهل الجدل . وأعطهم رهناً ، وخذ منهم رهناً ، واحملهم على مراكب البريد إليّ . ففعلت ذلك ، فقدموا عليه ، فلم يدع لهم حجة إلاّ كسرها . فقالوا : لسنا نجيبك حتى تكفّر أهل بيتك ، وتلعنهم وتتبرأ منهم . فقال عمر : إن الله لم يجعلني لعاناً ، ولكن ، إن أبقى أنا وأنتم فسوف أحملكم وإياهم على المحجة البيضاء . فأبوا أن يقبلوا ذلك منه . فقال لهم عمر : إنه لا يسعكم في دينكم إلاّ الصدق . منذ كم دنتم الله بهذا الدين ؟ قالوا منذ كذا وكذا سنة . قال : فهل لعنتم فرعون وتبرأتم منه ؟ قالوا : لا . قال : فكيف وسعكم تركه ؟ ألا يسعني ترك أهل بيتي وقد كان فيهم المحسن والمسيء ، والمصيب والمخطيء ؟ . قالوا : قد بلغنا ما هاهنا . فكتب إليّ عمر : أن خذ من في أيديهم من رهنك ، يعني ودع من في يدك من رهنهم ، وإن كان رأى القوم أن يسيحوا في البلاد ، على غير فساد على أهل الذمة ، ولا تناول أحد من الأمة ، فليذهبوا حيث شاؤوا ، وإن هم تناولوا أحداً من المسلمين وأهل الذمة ، فحاكمهم إلى الله .

كتابه إلى الحرورية :

وكتب اليهم :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ .

من عبد الله : عمر بن عبد العزيز ، أمير المؤمنين ، إلى العصابة الذين خرجوا . (أما بعد ؛ فإني أحمد اليكم الله الذي لا إله إلاّ هو)[1] أما بعد ، فإن الله يقول : ﴿ أُدْعُ إلى سَبِيلِ رَبِّكَ بالحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وجَادِلْهُم بالّتي هيَ أحْسَنُ — إلى قوله — بالمُهْتَدينَ ﴾[2]

(١) من المختصر .

(٢) سورة النحل ، الآية : ١٢٥ .

وإني أذكركم الله أن تفعلوا كفعل كبرائكم : ﴿ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِم بَطَراً ورِئاء النَّاسِ ويَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ واللهُ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيط ﴾ [1] . أفبذنبي تخرجون من دينكم . وتسفكون الدماء ، وتنتهكون المحارم ؟ ولو كانت ذنوب أبي بكر وعمر مخرجة رعيتهما من دينهم ، كانت لهما ذنوب . فقد كانت آباؤكم في جماعتهم. فلم ينزعوا (فما ينزعكم) [2] على المسلمين وأنتم بضعة وأربعون رجلا . وإني أقسم لكم بالله ، لو كنتم أبكاري من ولدي . فوليتم عما أدعوكم اليه من الحق . لدققت دماءكم ألتمس بذلك وجه الله والدار الآخرة . فهذا النصح . فإن استغششتموني فقديما [3] ما استغش الناصحون » .

كتابه إلى يحيى بن يحيى :

فأبوا إلا القتال وحلقوا رؤوسهم وساروا إلى يحيى بن يحيى . فأتاهم كتاب عمر ، ويحيى بن يحيى مُواقعهم للقتال :

« من عبد الله : عمر ، أمير المؤمنين ، إلى يحيى بن يحيى . أما بعد ، فإني ذكرت آية في كتاب الله : ﴿ ولاَ تَعْتَدُوا إنَّ اللهَ لا يُحِبّ المُعْتَدِينَ ﴾ [4] . وإنّ من العدوان : قتل النساء والصبيان ، فلا تقتلن امرأة ولا صبياً ، ولا تقتلنّ أسيراً ، ولا تطلبنّ هارباً ، ولا تجهزنّ [5] على جريح ، إن شاء الله » .

قال: حدثنا محمد بن الحسين وعبيد الله بن أبي سلمة ، قال : صلى عمر بن عبد العزيز ذات ليلة ، فلما ذهب ليدخل ، أتاه هاتف فهتف به. يا أمير المؤمنين ! فقال عمر ، وأقبل عليه أظنه مذعوراً ، فقال : ويحك!

---

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٤٧ .

(٢) من المختصر .

(٣) في المختصر « تقديما » .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ١٩٠ ، وسورة المائدة ، الآية : ٨٧ .

(٥) في الأصل : « تجيزن » .

ما شأنك ؟ أتغدر عليّ حجابي ؟ — أو قال اذن — فقال : لا يا أمير المؤمنين ، ولكني قدمت الساعة ، وجئتك مبادراً . قال : مبادراً ماذا ؟ قال : أنْ تسبقني بنفسك . قال : ولِمَ ؟ قال : لأني رأيت الجنة سريعة الذهاب . فجلس عمر ثم قال : حاجتك ؟ قال : فقال الرجل : يا أمير المؤمنين اذكر بمقامي هذا مقاماً لا يشغل الله عنك فيه كثرة من تخاصم اليه من الخلائق يوم القيامة بلا ثقة من العمل ، ولا براءة من الذنب ، فبكى ثم قال : أعد . فأعاد . قال : ما حاجتك ؟ فأخبره بحاجته .

قال : حدثنا سعيد بن عامر ، عن غيلان بن ميسرة [1] أن رجلاً أتى عمر بن عبد العزيز فقال : زرعت زرعاً فمرّ به جيش من أهل الشام فأفسده . فعوضه منه عشرة آلاف درهم .

قال : حدثنا زياد بن أنعم الألهاني ، عن عمر بن عبد العزيز أنه أُتي اليه بسارق ، فشكا اليه الحاجة ، فعذره وأمر له بنحو عشرة دراهم .

رفق عمر بالحيوان :

قال : حدثنا يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية ، عن أبي عثمان الثقفي . قال : كان لعمر بن عبد العزيز غلام على بغل له يأتيه بدرهم كل يوم . فجاءه يوماً بدرهم ونصف . فقال : ما بدا لك . قال : نفقت السوق. قال : لا ، ولكنك أتعبت البغل ، أجمه [2] ثلاثة أيام .

قال : حدثنا زياد بن مخراق قال : سمعت عمر بن عبد العزيز ، وهو يخطب الناس ، يقول : لولا سُنّة أحييها ، أو بدعة أميتها ، لما باليت أن لا أعيش فواقاً [3] .

---

(١) في المختصر : « يسرة » .
(٢) أجم : كره .
(٣) سبق في ص ٦٧ و ٨٩ .

قال : حدثنا الحسن بن أحمد بن أبي شعيب الحراني ، قال : سمعت جدي : أبا شعيب عبد الله بن مسلم ، عن أبيه ، قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، وعنده كاتب يكتب ، قال : وشمعة تزهر ، وهو ينظر في أمور المسلمين ، قال : فخرج الرجل ، فأطفئت الشمعة وجيء بسراج إلى عمر ، فدنوت منه ، فرأيت عليه قميصاً فيه رقعة قد طبق ما بين كتفيه ، قال : فنظر في أمري .

قال : حدثنا عمرو بن مهاجر أن عمر بن عبد العزيز كانت له الشمعة ما كان في حوائج المسلمين ، فإذا فرغ من حوائجهم أطفأها ، ثم أسرج عليه سراجه .

قال : حدثني عبد الحميد بن شيبة أن عمر بن عبد العزيز أُتي برجل قال لرجل : يالوطي ؛ فضربه تسع عشرة . فلما كان من الغد ، سأل [1] ، ثم ضربه ثمانين ، وحاسبه بالتسعة عشر .

قال : حدثنا حسين بن وردان قال : مرّ عمر بن عبد العزيز بحمام عليه صورة ، فأمر بها فطمست وحكّت . ثم قال : لو علمت من عمل هذا لأوجعته ضرباً .

ما كان مكتوباً على فلوس عمر بن عبد العزيز :

قال : حدثنا جرير ، عن المختار بن فلفل ، قال : ضربت لعمر فلوس ، فكتب عليها : « أمر عمر بالوفاء » . فقال : اكسروها واكتبوا: « أمر الله بالوفاء والعدل » .

قال : حدثنا اسماعيل بن عياش ، عن عمرو بن مهاجر الأنصاري، قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز أُتي بعنبرة عظيمة ، فوضعت بين يديه ، فقام رجل فنادى بأعلى صوته : أنا بالله وبك [2] يا أمير المؤمنين ،

(١) أي سأل العلماء عن الحكم الشرعي .

(٢) في المختصر : « انا بالله ويل » .

مرتين ، فقال : عليّ بالرجل . قال : ما شأنك ؟ قال : عنبرتي ، ياأمير المؤمنين . قال : وما شأنها ؟ قال : بعتها من سليمان بن عبد الملك بسبعة آلاف درهم ، وهي خير من ثمانية عشر ألف درهم ، قال : ويحك ! أخافوك ؟ قال : لا . قال : أكرهوك ؟ قال : لا . قال : أغصبوك ؟ قال : لا . قال : فماذا ؟ قال : عنبرتي ، يا أمير المؤمنين . قال : تأخر ، فلا حق لك ، وأنا وددت أن لا أبيع شيئاً ولا أبتاعه إلاّ بطحت صاحبه — يعني أخذته برخص — .

الباب الثامن عشر

في ملاحظته لعماله ومكاتبته اياهم في القيام بالعدل

قال : أخبرني عبد الرحمن بن زيد ، عن أبيه ، قال : ما طلع كتاب عمر بن عبد العزيز من الثنية إلاّ بإحدى ثلاث : إحياء سنّة ، وإماتة بدعة ، وقسم يقسمه بين المسلمين .

قال : حدثنا عمرو بن ميمّون قال : حدثني أبي قال : كتب عمر إلى العمال أن لا تكتبن في طومار بقلم جليل ولا تمدنّ فيه [1] .

جوابه على كتاب عمرو بن حزم :

قال : حدثني محمد بن حمزة قال : حدثنا الثقة أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبي بكر (بن محمد) بن عمرو بن حزم :

« أما بعد فإنك كتبت إلى سليمان كتباً لم ينظر فيها حتى قبض ، رحمه الله ، وقد بليت بجوابك ، فاسمع : كتبت إلى سليمان تذكر أنه يقطع لعمال المدينة من بيت مال المسلمين لثمن شمع كانوا يستضيئون به حين يخرجون إلى صلاة العشاء وصلاة الفجر ، وتذكر أنه قد نفد الذي كان يستضاء به ، وتسأل أن يقطع لك من ثمنه بمثل ما كان للعمال . وقد عهدتك ، وأنت تخرج من بيتك في الليلة المظلمة الماطرة الوحلة بغير سراج ، ولعمري ، لأنت يومئذ خير منك اليوم . والسلام » .

---

(١) سبق هذا الخبر في ص ٨٨ .

قال : حدثنا حفص بن عمر قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر ابن عمرو بن حزم :

« أما بعد ؛ فقد قرأت كتابك ، الذي كتبت به إلى سليمان بن عبد الملك ، وكنت المبتلي بالنظر فيه دونه . كتبت تسأله أن يقطع لك من الشمع ، مثل الذي كان يقطع لمن قبلك . وتذكر أن الشمع الذي قبلك قد نفد . ولعمري قد طالما رأيتك تخرج من منزلك إلى مسجد رسول الله، ﷺ ، في الليلة المظلمة الوحلة بغير ضياء ، ولعمري لأنت يومئذ خير منك اليوم . والسلام عليك . وكتبت تسأله أن يقطع لك شيئاً من القراطيس، مثل الذي كان يقطع قبلك ، فأدق قلمك ، وقارب بين سطورك ، واجمع حوائجك ، فإني أكره أن أخرج من أموال المسلمين ما لا ينتفعون به . والسلام » .

كتاب أبي بكر بن حزم إلى عمر وجوابه عليه :

قال : حدثنا جويرية بن أسماء قال : كتب أبو بكر بن محمد بن عمرو ابن حزام إلى عمر بن عبد العزيز — وكان عامله على المدينة .

« سلام عليك . أما بعد ؛ فإن أشياخاً [1] من الأنصار قد بلغوا أسناناً ولم يبلغوا الشرف من العطاء، فإن رأى أمير المؤمنين أن يبلغ بهم الشرف من العطاء فليفعل » .

وكتب اليه في صحيفة أخرى :

« سلام عليك . أما بعد ؛ فإن من كان قبلي من أمراء المدينة يُجرى عليهم برزق في شمعه ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لي برزق في شمعه ، فليفعل » .

---

(١) كذا في المختصر هنا وفي الصفحة التالية ، وفي الأصل : « أشياخنا » .

وكتب اليه في صحيفة أخرى :

« سلام عليك . أما بعد ؛ فإن بني عدي بن النجار ، أخوال رسول الله ﷺ ، انهدم مسجدهم ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لهم ببنائه ، فليفعل » .

قال ، فأجابه عن هؤلاء الصحائف الثلاث بجواب واحد في صحيفة واحدة :

« سلام عليك . أما بعد ؛ جاءني كتابك تذكر أن أشياخاً من الأنصار قد بلغوا أسناناً ، ولم يبلغوا الشرف من العطاء ، وإنما الشرف شرف الآخرة ؛ فلا أعرفن ما كتبت به إليّ في نحو هذا .

وجاءني كتابك تذكر أن من كان قبلك من أمراء المدينة كان يجرى عليهم رزق من شمعه ، ولعمري ، يا ابن أم حزم ، لطالما مشيت إلى مسجد رسول الله ، ﷺ ، في الظلمة ، لا يمشي بين يديك بالشمع ، ولا يوجف خلفك أبناء المهاجرين والانصار ، فارض لنفسك اليوم ما كنت ترضى به قبل اليوم .

وجاءني كتابك تذكر أن بني عدي بن النجار ، أخوال رسول الله، ﷺ ، انهدم مسجدهم ، وقد كنت أحب أن أخرج من الدنيا لم أضع حجراً على حجر ، ولا لبنة على لبنة ، فإذا أتاك كتابي هذا فابنه لهم بلبن ؛ بناء قاصداً [1] والسلام عليك » .

قال : حدثنا محمد بن سعد قال : قال ابراهيم بن جعفر ، عن أبيه : رأيت أبا بكر بن عمرو بن حزم يعمل بالليل كعمله بالنهار ، لاستحثاث عمر إياه .

(١) في المختصر : « قصداً » قاصداً : أي وسطاً .

ترجيحه التحقيق العادل على التحقيق الصارم :

قال : حدثنا الثقة أن عدي بن أرطأة كتب إلى عمر بن عبد العزيز :

« من عدي بن أرطأة . أما بعد ؛ أصلح الله أمير المؤمنين ، فإن قبلي أناساً من العمال قد اقتطعوا من مال الله ، عز وجل ، مالاً عظيماً لست أرجو [1] استخراجه من أيديهم ، إلاّ أن أمسهم بشيء من العذاب ، فإن رأى أمير المؤمنين أصلحه الله أن يأذن لي في ذلك ، أفعل » .

قال : فأجابه :

« أما بعد ؛ فالعجب كل العجب من استئذانك إياي في عذاب بشر ، كأني لك جُنة [2] من عذاب الله ، وكأني رضائي عنك ينجيك من سخط الله ، عز وجل ، فانظر من قامت عليه بينة عدول ، فخذه بما قامت عليه به البينة ، ومن أقر لك بشيء فخذه بما أقر به ، ومن أنكر فاستحلفه بالله العظيم ، وخلِّ سبيله . وأيم الله ، لأن يلقوا الله ، عز وجل ، بخياناتهم ؛ أحب إليّ من أن ألقى الله بدمائهم . والسلام » .

قال : حدثنا العكلي ، عن عبدالله بن أبي خالد ، عن الهيثم بن عدي قال : كتب عدي بن أرطاة إلى عمر بن عبد العزير :

« أما بعد ؛ فإن قبلي ناساً من العمال قد اقتطعوا من مال الله مالا عظيماً، لست أقدر على استخراجه من أيديهم إلاّ أن يمسهم شيء من العذاب ، فإن يرَ أمير المؤمنين أن يأذن لي في ذلك ، فعل » .

فكتب إليه عمر :

« أما بعد ؛ فالعجب كل العجب من استئذانك إياي في عذاب بشر ، كأني لك جُنة من عذاب الله ، وكأن رضائي ينجيك من سخط الله ،

---

(1) في المختصر : « أقدر على » .
(2) جنة : ستراً .

فانظر ، فمن قامت عليه البينة فخذه بما قامت عليه به ، ومن أقر لك بشيء فخذه بما أقر به ، ومن أنكر فاستحلفه بالله ، وخلِّ سبيله . فوالله لأن يلقوا الله بخياناتهم أحب إليَّ من أن ألقى الله بدمائهم » .

قال : حدثنا يزيد بن مزيد أنه قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد :

« قد جاءني كتابك تذكر أن قِبلكَ قوماً من العمال قد اختانوا مالاً ، فهو عندهم ، وتستأذنني في أن أنبسط عليهم ، فالعجب منك في استيمارك إياي في عذاب بشر ، كأني جنة لك ، وكأن رضاي ينجيك من سخط الله ، فإذا جاءك كتابي هذا فانظر : من أقر منهم بشيء فخذه بالذي أقر به على نفسه ، ومن أنكر فاستحلفه وخلِّ سبيله ، فلعمري ، لأن يلقوا الله بخياناتهم ، أحب إليَّ من أن ألقاه بدمائهم . والسلام » .

قال : حدثنا اسماعيل بن عياش قال : كتب بعض عمال عمر اليه : « إنك قد أضررت ببيت المال » . أو نحوه . قال : فقال عمر : « أعط ما فيه ، فإذا لم يبق فيه شيء ، فاملأه زبلاً » .

قال : حدثنا جويرية بن أسماء قال : قال عمر بن عبد العزيز :

« قرة عين الملوك في استفاضة الأمن في البلاد . وظهور مودة الرعية لهم . وحسن ثنائهم عليهم [1] » .

أنا حجيج المسلمين في أموالهم :

قال : حدثنا يحيى بن حسان ، عن نعيم بن ميسرة النحوي ، عن عنبسة ابن غصن قال : كان وهب بن منبه على بيت مال اليمن . قال : فكتب

(١) في المختصر : « وخشن ثيابهم عليهم » .

إلى عمر بن عبد العزيز ، رضي الله عنه ، : « إني فقدت من بيت مال المسلمين ديناراً » . قال : فكتب اليه :

« إني لا أتهم دينك ولا أمانتك ، ولكن أتهم تضييعك وتفريطك . وأنا حجيج المسلمين في أموالهم ، ولأخسهم عليك أن تحلف . والسلام » .

قال : حدثنا أشهب ، عن مالك قال : لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب اليه بعض ولاته :

« إن الناس ، لما سمعوا بولايتك ، تسارعوا إلى أداء الزكاة ، زكاة الفطر ، فقد اجتمع من ذلك شيء كثير . ولم أحب أن أحدث فيها شيئاً حتى تكتب إليّ برأيك » .

فكتب اليه عمر :

« لعمري ، ما وجدوني وإياك على ما ظنوا ، وما حبسك إياها إلى اليوم ، فأخرجها حين تنظر في كتابي » .

لا حاجة لي برجل صبغ يده بدماء المسلمين :

قال : حدثنا عبد الرحمن بن حسن الزرقي ، عن أبيه قال : كان الجراح بن عبد الله، عامل عمر بن عبد العزيز على خراسان كلها — حربها وصلاتها ومالها — قال : فكتب إليه عمر :

« إنه بلغني أنك استعملت عبد الله بن الاهتم ، وأن الله لم يبارك لعبد الله بن الأهتم في العمل فاعزله ، وإنه على ذلك لذو قرابة لأمير المؤمنين . وبلغني أنك استعملت عمارة ، ولا حاجة لي بعمارة ، ولا بضرب عمارة ، ولا برجل قد صبغ يده في دماء المسلمين ، فاعزله » .

قال : حدثني ابراهيم بن زيد أن عمر بن عبد العزيز خرج على حلقة من حرسه — وقد نهاهم قبل ذلك أن يقفوا له [1] إذا خرج عليهم —

(١) في المختصر : « أن يقوموا له » .

فوسعوا له ، فجلس . فقال : أيكم يعرف الرجل الذي بعثناه إلى مصر ؟ قالوا : كلنا نعرفه . قال : فليذهب إليه أحدثكم سناً فليدعه — قال : وذلك في يوم جمعة — فذهب اليه الرجل ، فظن الرسول أن عمر بن عبد العزيز قد استبطأه ، فقال له : لا تعجلني حتى أشد عليّ ثيابي . فشد عليه ثيابه . فأتى عمر فقال : لا روع عليك ، إن اليوم يوم الجمعة ، فلا تبرح حتى تصلي الجمعة . وقد بعثناك لأمر عجلة من أمر المسلمين ، فلا يحملنك استعجالنا إياك أن تؤخر الصلاة عن ميقاتها ، فإنك لا محالة مصليها ، فإن الله قال لقوم أضاعوا الصلاة ، واتبعوا الشهوات . فسوف يلقون غياً . ولم تكن أضاعتهم أن تركوها ، ولكن أضاعوا المواقيت .

توزيع صدقات الأغنياء على الفقراء :

قال : حدثنا يحيى بن حمزة ، عن زيد بن وافد ، أن ابن جحدم حدثه أن عمر بن عبد العزيز بعثه على صدقات بني تغلب ، وكان عهد اليه أن يقبضها ثم يردها على فقرائهم ، قال : فكتب :

« آتي الحي وأدعوهم بأموالهم ، فأقبض ما كان فيهم ، ثم أدعو فقراءهم وأقسمها فيهم ، حتى أنه ليصيب الرجل الفريضتين أو الثلاث ، فما أفارق الحي وفيهم فقير . ثم آتي الحي الآخر فاصنع بهم كذلك ، فما انصرف إليه بدرهم » .

قال : حدثنا مخلد بن حسين ، عن الأوزاعي ، عن سليمان بن حبيب المحاربي ، — وكان قاضياً لعمر بن عبد العزيز — قال : كتب إليّ عمر بن عبد العزيز أن أجز للاسير ما صنع في ماله ، فهو ماله يفعل به مايشاء.

قال حنبل ، وحدثنا الهيثم بن خارجة قال : أخبرنا شهاب بن خراش ، عن الفضل بن سويد قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطأة .

« أما بعد ؛ فإنه بلغني أن قوماً إذا توضؤوا رفعت طساس من بين

أيديهم قبل أن تمتلىء ، وذلك من زي الأعاجم أخذوه ، فإذا أتاك كتابي هذا فلا ترفعوا طستاً حتى يمتلىء أو يفرغ مَنْ آخر القوم » .

قال : حدثنا ضمرة ، عن الوليد بن راشد قال : زاد عمر الناسَ في أعطياتهم عشرة عشرة : العربي والمولى سواء .

قال : حدثنا الغلابي ، عن ابن عائشة قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامل له :

« اتق الله ، فإن التقوى هي التي لا يقبل غيرها ، ولا يرحم إلاّ أهلها ، ولا يثاب إلاّ عليها ، وأن الواعظين بها كثير ، والعاملين بها قليل » .

نهيه عماله عن صنائع الحجاج :

قال : حدثنا محمد بن حمزة قال : حدثنا الثقة أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عدي بن أرطأة :

« أما بعد ؛ فإني كتبت اليك بكتب كثيرة أرجو بذلك الخير من الله تعالى ، والثواب عليه ، وأنهاك فيها عن أمور الحجاج بن يوسف ، وأرغب عنها وعن اقتدائك بها ، فإن الحجاج كان بلاء وافق خطيئة قوم بأعمالهم ، فبلغ الله ، عز وجل ، في مدته ما أحب من ذلك ، (ثم انقطع ذلك) [1] وأقبلت عافية الله ، عز وجل ، فلو لم يكن ذلك إلا يوماً واحداً ، أو جمعة واحدة ، كان ذلك عطاء من الله ، عز وجل ، ونهيتك عن فعله في الصلاة ، فإنه كان يؤخرها تأخيراً لا يحل له ، ونهيتك عن فعله في الزكاة ، فإنه كان يأخذها في غير حقها ثم يسيء مواقعها [2] . فاجتنب ذلك منه ، واحذر العمل به ، فإن الله ، عز وجل ، قد أراح منه ، وطهّر العباد والبلاد من شره ، والسلام » .

(١) من المختصر .
(٢) في المختصر : « مواضعها » .

قال : حدثنا عمرو بن عثمان ، قال : حدثنا أبي ، قال : سمعت جدي ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطأة :

« بلغني أنك تستن بسنن الحجاج ، فلا تستن بسننه ، فإنه كان يصلي الصلاة لغير وقتها ، ويأخذ الزكاة لغير حقها ، وكان لما سوى ذلك أضيع » .

قال : حدثنا مبشر بن أبي الفرات [1] قال : كنت عاملاً لعمر بن عبد العزيز ، فكنت أختم على بيادر أهل الذمة ، فجاءني كتاب عمر بن عبد العزيز أن : لا تفعل ، فإنه بلغني أنها كانت من صنائع الحجاج ، وأنا أكره أن أتأسى به .

قال : حدثنا أبو إسحاق الفزاري ، عن الأوزاعي أن أبا مسلم ، لما خرج في بعث المسلمين ، رده عمر بن عبد العزيز من دابق ، وقال : ليس بمثله يستعين المسلمون في قتال عدوهم . وكان عطاؤه ألفين ، فرده عمر إلى ثلاثين . فرجع من دابق إلى طرابلس ، لأنه كان سيافاً للحجاج ، وكان ثقفياً .

قال : حدثنا خالد بن يزيد ، عن جعونة ، قال : استعمل عمر عاملاً ، فبلغه أنه عمل للحجاج ، فعزله . فأتاه يعتذر اليه ، فقال : لم أعمل له إلاّ قليلاً ، قال : حسبك من صحبة شر يوم أو بعض يوم .

قال : حدثنا عبد الله بن رجاء عن هشام بن حسان ، قال : قال عمر : لو أن الأمم تخابثت يوم القيامة ، فأخرجت كل أمة خبيثها ، ثم أخرجنا الحجاج لغلبناهم .

ما أعجب عمر من الحجاج :

قال : حدثنا (... عن ابراهيم بن هشام قال حدثني) [2] أبي ،

---

(١) في المختصر : « يزيد بن أبي الفرات » .

(٢) من المختصر .

عن جدي قال — يعني عمر بن عبد العزيز — : ما حسدت الحجاج ، عدو الله ، على شيء حسدي إياه على حبه القرآن ، واعطائه أهله ، وقوله حين حضرته الوفاة : اللهم اغفر لي فإن الناس يزعمون أنك لا تفعل .

قال : حدثنا عبد العزيز ، عن محمد بن المنكدر ، قال : كان عمر ابن عبد العزيز يبغض الحجاج ، وكان ينفس عليه بكلمة تكلم بها عند موته : اللهم اغفر لي ، فإنهم زعموا أنك لا تفعل .

قال عباد بن اسحاق ، عن الزهري قال : قال عمر بن عبد العزيز : لو أن الأمم تخابثت ، فجاؤوا بأخبثها رجلاً ، وجئنا بالحجاج ، لظننا أنا سنغلبهم ، وإني أظن كلمة تنجيه عندي ، قوله عند الموت : رب أغفر لي فإن الناس يزعمون أنك لا تغفر لي .

نهي عمر عن سب الظالم :

قال : حدثني رياح بن عبيدة قال : كنت قاعداً عند عمر بن عبد العزيز ، فذكر الحجاج ، فشتمته ، ووقعت فيه ، فقال عمر : مهلاً يارياح ، إنه بلغني أن الرجل ليظلم ، فلا يزال المظلوم يشتم الظالم وينتقصه ، حتى يستوفي حقه ، ويكون للظالم الفضل عليه .

قال : حدثنا علي بن مسعدة — وذكره — .

قال : حدثنا صمرة ، عن الريان بن مسلم قال : بعث عمر بن عبد العزيز بآل أبي عقيل ، أهل بيت الحجاج ، إلى صاحب اليمن وكتب اليه :

« أما بعد ؛ فإني قد بعثت اليكم بآل أبي عقيل ، وهم شر بيت في العرب ، ففرقهم في عملك على قدر هوانهم على الله . وعلينا وعليك السلام » . وإنما نفاهم .

حصّن مدينتك بالعدل :

قال : حدثنا محمد بن عيسى ، عن عبد العزيز . قال : كتب بعض عمال عمر ابن عبد العزيز اليه :

« أما بعد ؛ فإن مدينتنا قد خربت ، فإن يرى أمير المؤمنين أن يقطع لنا مالاً نرمها به فعل » .

فكتب اليه عمر :

« أما بعد ؛ فقد فهمت كتابك ، وما ذكرت أن مدينتكم قد خربت . فإذا قرأت كتابي هذا فحصنها بالعدل . ونقّ طرقها من الظلم . فإنه مرمتها . والسلام » .

قال : حدثنا الأوزاعي قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى خزان بيوت الأموال : إذا أتاكم الضعيف بالدينار لا ينفق عنه ، فأبدلوه من بيت المال .

قال : حدثنا عبيد الله بن يزيد بن أبي مسلم الثقفي أن أباه خرج في بعض الصائفة [1] على ديوانه ، قال : وخرجت معه ، فلما كان بمرج اللاج لقيه كتاب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز : أن انصرف من حيث يلقاك كتاب أمير المؤمنين ، فإن الله لا ينصر جيشاً أنت فيهم .

الجزء الرابع :

قال : حدثنا ضمرة ، عن ابن شوذب ، قال : كتب صالح بن عبد الرحمن وصاحب له — وكانا قد ولاّهما عمر شيئاً من أمر العراق— يعرضان له أن الناس لا يصلحهم إلاّ السيف . فكتب اليهما :

« خبيثين من الخبث ، رديئين من الرديء ، تعرضان لي بدماء

(١) الصائفة : الغزو في فصل الصيف .

المسلمين ؟ ما أحد من الناس إلاّ ودماؤكما أهون عليّ من دمه » —

كتاب عمر إلى بعض الأجناد :

قال : أخبرنا ابراهيم بن اسماعيل [1] بن أبي حبيبة الأنصاري أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى بعض الأجناد :

« أما بعد ، فإني أوصيك بتقوى الله ولزوم طاعته ، والتمسك بأمره ، والمعاهدة على ما حملك الله ، عز وجل من دينه ، واستحفظك من كتابه ، فإن بتقوى الله ، عز وجل ، نجاء أولياء الله ، عز وجل ، من سخطه ، وبها تحق لهم ولايته ، وبها رافقوا أنبياءه ، وبها نضرت وجوههم ونظروا إلى خالقهم ، وهي عصمة في الدنيا من الفتن ، والمخرج من كرب يوم القيامة . ولن يقبل ممن بقي إلا مثل ما رضي به عن من مضى ، ولمن بقي عبرة فيمن مضى ، وسنة الله ، عز وجل ، فيهم واحدة . بادر بنفسك قبل أن يؤخذ بكظمك ، ويخلص إليك كما خلص إلى من كان قبلك . فقد رأيت الناس كيف يموتون وكيف يتفرقون ، ورأيت الموت كيف يعجل لتائب توبته ، وذا الأهل أهله ، وذا السلطان سلطانه ، وكفى بالموت موعظة بالغة ، وشاغلا عن الدنيا ، ومرغباً في الآخرة . فنعوذ بالله ، عز وجل ، من شر الموت وما بعده ، ونسأل الله تعالى خيره . لا تطلبن شيئاً من عرض الدنيا ، بقول ولا فعل ، تخاف أن يضر بآخرتك ، ويزري بدينك ، ويمقتك عليه ربك . واعلم أن القدر سيجري اليك برزقك ، ويوافيك أكلك من دنياك غير مزيد فيه بحول منك ولا قوة ، ولا منقوص منه بضعف . إن ابتلاك الله بفقر فتعفف في فقرك . واعتبر بما قسم الله ، عز وجل ، لك من الاسلام ، وما زوى [2] عنك من نعمة دنياك ، فإن في الاسلام خلفاً من الذهب والفضة ، والدنيا الفانية .

---

(١) خ اسماعيل بن ابراهيم .

(٢) زوى : قبض وجمع .

واعلم أنه لن يضر عبداً صار إلى رضوان الله ، عز وجل ، وإلى الجنة ما أصابه في الدنيا من فقر وبلاء . وأنه لن ينفع عبداً صار إلى سخط الله ، عز وجل ، وإلى النار ، ما أصاب في الدنيا من نعمة ورخاء ، ما يجد أهل الجنة مس مكروه أصابهم في الدنيا ، وما يجد أهل النار طعم لذة نعموا بها في دنياهم . كأن سائر ذلك لم يكن . فمن كان راغباً في الجنة أو هارباً من النار ، فالآن في هذه الأيام الخالية ، والتوبة مقبولة ، والذنب مغفور قبل نفاد الأجل ، وانقضاء المدة [1] ، وفراغ من الله عز وجل للثقلين [2] ، ليدينهم بأعمالهم في موطن لا تقبل فيه الفدية ولا تنفع فيه الحيلة . تبرز فيه الخفيات ، وتبطل فيه الشفاعات ، يَرِدُه الناس جميعاً بأعمالهم ، وينصرفون منه أشتاتاً إلى منازلهم . فطوبى يومئذ لمن أطاع الله ، عز وجل ، وويل ، يومئذ ، لمن عصى الله ، عز وجل . فإن ابتلاك الله بالغنى فاقتصد في غناك ، وضع لله نفسك ، وأدّ لله ، عز وجل ، فرائض حقه من مالك ، وقل عند ذلك ما قال العبد الصالح : ﴿ هذَا مِنْ فَضْلِ ربِّي لِيَبْلُوَني أأشْكُرُ أمْ أكْفُرُ ومَنْ شَكَرَ فإنّما يَشْكُر لِنَفْسه ومَنْ كَفَرَ فإنّ ربي غنيٌّ كريمٌ ﴾ [3] . وإياك أن تفخر بطولك ، وأن تعجب بنفسك ، أو يخيل اليك أن ما رزقته لكرامتك على ربك ، عز وجل ، وتفضيله إياك على غيرك ممن لم يرزق مثل غناك ، فإذا أنت أخطأت باب الشكر ، ونزلت منازل أهل الفقر ، وكنت ممن أطغاه الغنى ، وتعجل طيباته في الدنيا ، فإني أعظك بهذا ، وإني لكثير الاسراف على نفسي ، غير محكم لكثير من أمري ، ولو أن المرء لا يعظ أخاه حتى يحكم نفسه ، ويعمل في الذي خلق له من عبادة ربه ، عز وجل ، إذن لتواكل كل الناس الخير ، وأذن لرفع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واذن لاستحلت المحارم ، وقلّ الواعظون والساعون لله ، عز وجل ، بالنصيحة في الأرض » .

---

(1) في المختصر : « العمر » .
(2) في المختصر : « للمنقلين » .
(3) سورة النمل ؛ الآية : ٤٠ .

قال : حدثنا كدير بن سليمان أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله عبد الله بن عوف على فلسطين ، أن : اركب [1] إلى البيت يقال له : المكس ، فاهدمه ، ثم احمله إلى البحر ، فانسفه في اليم نسفاً .

امتحانه الذين يريد توليتهم :

قال : حدثنا ابن عائشة ، عن جويرية بن أسماء قال : لما ولي عمر ابن عبد العزيز الخلافة ، وفد عليه بلال بن أبي بردة فهنأه فقال : من كانت الخلافة يا أمير المؤمنين شرفته فقد شرفتها ، ومن كانت زانته فقد زنتها ، وأنت ، والله ، كما قال مالك بن أسماء :

وتزيدين طيّب الطيب طيبــاً إن تمسيه أين مثلك أينـــا ؟
وإذا الدر زان حسن وجـــوه كان للـــدر حسن وجهك زينا !

فجزاه عمر خيراً . ولزم بلال المسجد يصلي ، ويقرأ ليله ونهاره، فهمّ عمر أن يوليه العراق ، ثم قال : هذا رجل له فضل ، فدس اليه ثقة له ، فقال له : إن عملت لك في ولاية في العراق ما تعطيني ؟ فضمن له مالاً جليلاً . فأخبر بذلك عمر ، فنفاه وأخرجه . وقال : يا أهل العراق ! إن صاحبكم أعطى مقولا [2] ولم يعط معقولا ، وزادت بلاغته ونقصت زهادته .

قال : حدثنا عكرمة بن عمار قال : سمعت كتاب عمر بن عبد العزيز يقول :

« أما بعد فأمر أهل العلم أن ينشروا في مساجدهم ، فإن السنة كانت قد أميتت » .

---

(١) في المختصر : « إذا ركب » .
(٢) في المختصر : « منقولا » .

قال : حدثنا يحيى بن يمان قال : بلغني أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله :

« أما بعد فالزم الحق ، ينزلك الحق منازل أهل الحق ، يوم لا يقضى بين الناس إلا بالحق ، وهم لا يظلمون » .

وقال يحيى بن يمان : وكتب عمر إلى عامل له :

« أما بعد ، فلتجف يداك من دماء المسلمين ، وبطنك من أموالهم ، ولسانك من أعراضهم . فإذا فعلت ذلك فليس عليك سبيل : ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ .. ﴾ [1] الآية :

لا قليل من الإثم :

قال : حدثنا اسحاق عن عبد الملك قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أمير أهل مكة : « لا تدع أهل مكة يأخذوا على بيوت مكة أجراً فإنه لا يحل لهم » .

قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن محمد بن طلحة ، عن داود بن سليمان الجعفي ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد ابن عبد الرحمن :

« سلام عليك . فإن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة ، وجور في أحكامهم ، وسنن خبيثة سنها عليهم عمال السوء . وإن أقوم الدين العدل والاحسان ، فلا يكونن شيء أهم اليك من نفسك ، أن توطنها لطاعة الله ، فإنه لا قليل من الاثم » .

قال : حدثنا أبو أسامة ، عن جرير ، قال : قرأت كتاب عمر بن عبد العزيز إلى عدي :

---

(١) سورة الشورى ، الآية : ٤٢ .

« واعلم أن أحداً لا يستطيع انقاذ قضايا ما بين الناس حتى لا يبقى منها شيء ، لا بد من أن تستأخر قضايا ليوم الحساب » .

لا تجمع للمسلمين إلا الحلال الطيب :

قال : حدثنا يعقوب بن سفيان قال : قلت ليزيد بن عبد ربه : حدثكم بقية ، عن ابن أبي مريم ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى والي حمص :

« انظر إلى القوم الذين نصبوا أنفسهم للفقه ، وحبسوها في المسجد عن طلب الدنيا ، فاعط كل رجل منهم مائة دينار ، يستعينون بها على ما هم عليه من بيت مال المسلمين ، حين يأتيك كتابي هذا ، وإن خير الخير أعجله . والسلام عليك » .

قال : فكان عمرو بن قيس ، وأسد بن وداعة فيمن أخذها ؟ ؛

فقال يزيد بن عبد ربه : نعم .

قال بقية ، عن زرعة بن عبد الله الزبيدي ، عن عبدالله بن كريز [1] قال : كتب عامل إفريقية إلى عمر بن عبد العزيز ، يشكو اليه الهوام والعقارب فكتب اليه :

« وما على أحدكم إذا أمسى وأصبح أن يقول : ﴿ ومالَنا أنْ لا نتوكّل على الله وقدْ هدَانا سُبُلَنا ولنَصبِرنْ على ما آذيتمونا وعلى الله فلْيتوكّل المُتَوَكِّلونَ ﴾ [2] .

قال زرعة : وهي تنفع من البراغيث .

قال نصر بن عدي [3] : كتب ميمون بن مهران إلى عمر بن عبد العزيز يستعفيه من الخراج فكتب اليه عمر :

---

(١) المختصر : « كرين » .

(٢) سورة ابراهيم ، الآية : ١٢ .

(٣) المختصر : « عربي » .

« يا ابن مهران إني لم أكلفك بغياً في حكمك ، ولا في جبايتك ، فاجبِ ما جبيت من الحلال . ولا تجمع للمسلمين إلاّ الحلال الطيب » .

أنت يا أمير المؤمنين الأم التي فرشت فأنامت

قال : حدثنا عبد الرحمن بن حسن [1] عن أبيه ، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الجراح بن عبد الله .

« أما بعد : فإنه بلغني أنك كتبت لمخلد بن يزيد المهلب ، ولآل المهلب ، أمّاً فرشت فأنامت » .

فكتب اليه الجراح :

« أما بعد ؛ يا أمير المؤمنين ، فإنك كتبت إليّ في عهدك أن لا أوثق أحداً من خلق الله وثاقاً يمنع صلاة . ولا أبسط على أحد من خلق الله عذاباً . فأنت يا أمير المؤمنين الأم التي فرشت — أو قال الذي فرشت فأنامت — لمخلد بن يزيد ، ولآل المهلب ، ولجميع رعيتك » .

قال : فدعا مخلداً فقال : إن شئت أن تقيم عندنا ، على حالك التي أنت عليها . وإن شئت أن ألحقك بأمير المؤمنين ولا أراه إلاّ خيراً لك . قال : فألحقني بأمير المؤمنين . قال : فدفعه اليه ، فأطلقه عمر بن عبد العزيز .

قال : وكتب اليه :

« إنه بلغني أنك قد استعملت عبد الله بن الأهتم ، وأن الله - عز وجل ، لم يبارك لعبد الله ، ولا لأهل بيته في العمل . فإذا أتاك كتابي فاعزله ، وإنه مع ذلك لذو قرابة لأمير المؤمنين . وبلغني أنك استعملت عمارة الطويل ، فإنه لا حاجة لي بعمارة ، ولا بضرب عمارة ، ولا برجل غمس يده في دماء المسلمين ، فإذا أتاك كتابي هذا فاعزله [2] .

---

(١) المختصر : « الحسن » .

(٢) سبق هذا في ص ١١٥ .

وبلغني أنك استعملت السيال بن المنذر ، وإني لا أدري ما سيالك هذا ».

قال : فكتب اليه :

« إنه جاءني كتابك في عبدالله ، وإني استعملته ، ياأمير المؤمنين ، فأجزأ ثغره ، وهابه عدوه ، وحمده أهل عمله ، ولم يكن جزاؤه العزل. وكتبت إليّ في عمارة ، وإنه رجل قد شامّ الحرورية ثم رجع عن ذلك أحسن رجوع ، وتاب منه أحسن توبة . قال : واعتذر اليه في السيّال بشيء آخر فعذره [1] .

قال : عن أيوب بن موسى ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عروة ، عامله على اليمن :

« أما بعد ، فإني أكتب اليك آمرك أن ترد على المسلمين مظالمهم ، وتراجعني وأنت تعرف بعد مسافة ما بيني وبينك ، ولا تعرف أخذات الموت ، حتى لو كتبت اليك اردد على مسلم مظلمة لكتبت إليّ أردها عفراء أو سوداء . أنظر أن ترد على المسلمين مظالمهم ولا تراجعني » .

قال أيوب بن موسى : وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله : أن عاقبوا الناس على قدر ذنوبهم ، وإن بلغ ذلك سوطاً واحداً . وإياكم أن تبلغوا بأحد حداً من حدود الله .

كيف أصلحت الموصل ؟

قال : عن ابن يحيى الغساني ، قال : حدثني أبي ، عن جدي قال : لما ولاّني عمر ابن عبد العزيز الموصل قدمتها ، فوجدتها من أكثر البلاد سرقاً ونقباً . فكتبت إلى عمر أعلمه حال البلد ، وأسأله آخذ الناس بالظنة، وأضربهم على التهمة ، أو آخذهم بالبينة وما جرت عليه السُنّة ، فكتب إليّ أن : خُذ الناس بالبينة وما جرت عليه السنّة ، فإن لم يصلحهم الحق،

(١) في المختصر : « في السيال بعد زاجر فعذره » .

فلا أصلحهم الله . فقال يحيى : ففعلت ذلك ، فما خرجت من الموصل حتى كانت من أصلح البلاد وأقلها سرقاً ونقباً .

قال : حدثنا الأوزاعي قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عروة ابن محمد عامله على اليمن :

« أنظر من قبلك من بني فلان ، فأقصهم عنك ، ولا تشركهم في شيء من عملك ، فإنهم بئس أهل البيت كانوا » .

قال الشيخ : قد سبق ذكر هذا مفسراً ، وأنهم أهل بيت الحجاج [1]

قال : حدثنا جعفر قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أمير الجزيرة. فكان فيما كتب اليه :

« وكن لمن ولاّك الله أمره : ناصحاً فيما تعيب عليهم من أمورهم ، ساتراً لما استطعت من عوراتهم ، إلاّ شيئاً أبداه [2] الله لا يصلح ستره . وتمسك نفسك عنهم إذا غضبت وإذا رضيت ، حتى يكون ذلك فيما بينك وبينهم مستوياً حسناً جميلاً . لا تبتغينّ لحق أديته اليهم ، ولا لخبر سددتهم له منهم حظاً ولا مدحة ، وليكن ذاك لمن لا يعطي الخير إلاّ هو ، ولا يصرف السوء إلاّ هو . واغتنم كل يوم وليلة مضت عليك وأنت سالم » .

قال : حدثنا حسين بن علي ، عن أبي عمر الدمشقي قال : (بلغ) عمر بن عبد العزيز عن جند له شيء فكتب اليهم :

« الله لا إله إلا هو ، ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه . ومن أصدق من الله حديثاً » ؟ .

كفى بالقدر حاجزاً وبالأجل حارساً :

قال: حدثنا الحكم بن عمير [3] الرعيني قال: شهدت عمر يقول لحرسه

---

(١) ص ١٠٩ .

(٢) في المختصر : « أبدله » .

(٣) خ عمر .

« إن بي عنكم لغنى ، كفى بالقدر حاجزاً وبالأجل حارساً ، ولا أطرحكم من مراتبكم ، من أقام منكم فله عشرة دنانير ، ومن شاء فليلحق بأهله ».

وكان لعمر ثلاثمائة شرطي وثلاثمائة حرسي .

وكتب إلى عمر عامل من عماله يشكو قلة القراطيس فأجابه عمر :

« أدق قلمك ، وأقل كلامك تكتفي بما قبلك من القراطيس » .

قال : وشهدت رسالة عمر خرجت إلى أهل الأمصار [1] :

« لا يركب نصراني سرجاً ، ولا يلبس قباء ولا طليساناً ، ولا سراويل ذات خدمة ، ولا يمشين بغير زنار من جلد ، ولا يمش إلاّ مفروق الناصية ، ولا يوجد في بيت نصراني سلاح إلاّ أخذ » [2] .

قال : حدثني هارون بن محمد [3] البربري أن عمر بن عبد العزيز استعمل ميمون بن مهران على الجزيرة ، على قضائها وعلى خراجها ، فكتب اليه ميمون يستعفيه وقال : كلفتني ما لا أطيق ، أقضي بين الناس وأنا شيخ كبير ضعيف رقيق . فكتب اليه :

« أجبِ الخراج الطيب ، واقض ما استبان لك ، وإذا التبس عليك أمر فارفعه إليّ . فإن الناس ، لو كانوا إذا كثُر عليهم شيء تركوه ، ما قام لهم دين ولا دنيا » .

قلة الخراج بكثْرة الداخلين في الاسلام :

قال : حدثنا جابر بن حنظلة الضبي قال : كتب عدي بن أرطأة إلى عمر بن عبد العزيز :

---

(١) في المختصر : « خرجت إلى الديوان إلى أقصاء الشام » .

(٢) وقعت أمثال هذه الأوامر في بعض الأحوال لعوارض أوجبتها . وهي تختلف باختلاف الأمكنة والأحوال .

(٣) في المختصر : « أبي محمد » .

« أما بعد ؛ فإن الناس قد كثروا في الاسلام . وخفت أن يقل الخراج».

فكتب اليه عمر :

« فهمت كتابك ، والله لوددت أن الناس كلهم أسلموا حتّى نكون أنا وأنت حراثين نأكل من كسب أيدينا » .

قال : حدثنا أبو عبد الله بن دوست ، يرفعه إلى عبد الوهاب بن الورد قال : بلغنا أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عماله : إياكم أن تستعملوا على شيء من أعمالنا إلاّ أهل القرآن . (فكتبوا اليه : يا أمير المؤمنين ، إنّا استعملنا أهل القرآن فوجدناهم خونة . فكتب لهم : إياكم أن يبلغني عنكم أنكم استعملتم على شيء من أعمالنا إلاّ أهل القرآن)[1] فإنه إن لم يكن عند أهل القرآن خير فغيرهمأحرى بأن لا يكون عندهم خير.

تخويفه عمّاله من عقاب الله :

قال : حدثنا الفضل بن الربيع قال : سمعت فضيل بن عياض يقول : بلغني أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكا اليه ، فكتب اليه عمر :

« يا أخي ؛ أذكرك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد . وإياك أن ينصرف بك من عند الله ، فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء » .

فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتّى قدم على عمر . فقال له : ما أقدمك؟ قال خلعت قلبي بكتابك . لا أعود إلى ولاية أبداً حتّى ألقى الله تعالى .

قال : حدثنا مخلد بن الحسين ، عن الأوزاعي ، قال : كتب عمر ابن عبد العزيز إلى عماله أن فادوا بأسارى المسلمين ، وأن أحاط ذلك بجميع مالهم .

(١) من المختصر .

قال : حدثنا أبو منصور بن عبد العزيز العكبري ، عن ابن شهاب ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله :

« أما بعد ؛ فاتق الله فيمن وليت أمره ، ولا تأمن مكره في تأخير عقوبته ، فإنه إنما يعجل بالعقوبة من يخاف الفوت . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » .

قال : حدثنا عيسى بن سليمان ، عن ضمرة ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله :

« أما بعد ؛ فإذا دعتك قدرتك على الناس إلى ظلمهم ، فاذكر قدرة الله عليك ، في نفاذ ما يأتي اليهم وبقاء ما يؤتى اليك » .

قال : حدثنا عبد الرزاق . عن معمر ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطأة ، وكان قد استخلفه على البصرة :

« أما بعد ؛ فإنك غررتني بعمامتك السوداء ، ومجالستك الفراء ، وارسالك العمامة من ورائك ، وإنك أظهرت لي الخير فأحسنت بك الظن . وقد أظهر الله ما كنتم تكتمون . والسلام » .

ثناؤه على الحسن البصري :

قال : حدثنا عبد الملك بن يزيع قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطأة :

« أما بعد ؛ فإنك لن تزال تعني إليّ رجلاً من المسلمين ، في الحر والبرد يسألني عن السنّة ، كأنك إنما تعظمني بذلك . وأيم الله لحسبك بالحسن [1] . فإذا أتاك كتابي هذا فسل الحسن لي ولك وللمسلمين . فرحم الله الحسن ، فإنه من الاسلام بمنزل ومكان . ولا تقرئنّه كتابي هذا» .

---

(١) هو الحسن البصري .

نهيه عن النبيذ :

قال : حدثنا الصعق بن حزن قال : شهدت قراءة كتاب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطأة وأهل البصرة :

« أما بعد ؛ فإنه قد كان في الناس من هذا الشراب أمر ساءت فيه رعيتهم ، وغشوا فيه أموراً انتهكوها عند ذهاب عقولهم ، وسفه أحلامهم بلغت بهم الدم الحرام ، والفرج الحرام ، والمال الحرام . وقد أصبح جلّ من يصيب من ذلك الشراب يقول : شربنا شراباً لا بأس به . ولعمري أن ما حمل على هذه الأمور ، وضاع الحرام لبأس شديد ، وقد جعل الله عنه مندوحة وسعة من أشربة كثيرة طيبة ، ليس في الأنفس منها جائحة : الماء العذب الفرات ، واللبن والعسل والسويق . فمن [1] انتبذ نبيذاً فلا ينبذه إلاّ في أسقية الأدم التي لا زفت فيها . وقد بلغنا أن رسول الله ، ﷺ ، نهى عن نبيذ الحر والدباء والظروف المزفتة . وكان يقال : كل مسكر حرام . فاستغنوا بما أحل الله عن ما حرّم ، فإنّا من وجدناه يشرب شيئاً من هذه ، بعدما تقدمنا اليه ، أوجعناه عقوبة شديدة. ومن استخفى ، فالله أشد عقوبة وأشد تنكيلا . وقد أردت بكتابي هذا اتخاذ الحجة عليكم اليوم وفيما بعد اليوم ، أسأل الله أن يزيد المهندي منا ومنكم هدىً ، وأن يراجع بالمسيء منا ومنكم التوبة في يسر [2] وعافية . والسلام » .

قال : حدثنا الأوزاعي قال : كتب عمر إلى عماله :

« اجتنبوا الأشغال عند حضور الصلوات ، فمن أضاعها فهو ، لما سواها من شرائع الاسلام ، أشد تضييعاً » .

---

(١) في المختصر : « ممن » .
(٢) في المختصر : « عن يسر » .

قال : حدثني الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعي ، قال : كتب عمر ابن عبد العزيز إلى عدي بن أرطأة :

« أما بعد ؛ فإني أذكرك ليلة تمخض بالساعة ، فصباحها القيامة : يا لها من ليلة ، ويا له من صباح ، كان على الكافرين عسيراً » .

قال : حدثنا الفضل بن العباس الحلبي قال : قال بشر بن الحارث : كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله :

« اعمل للدنيا على قدر مقامك فيها . واعمل للآخرة على قدر مقامك فيها » .

خطأ الوالي في العفو خير من تعديه في العقوبه :

قال : حدثنا الليث بن سعد ، عن معاوية بن صالح ، عن أبي عقبة ، أن عمر بن عبد العزيز قال :

« ادرؤا الحدود ما استطعتم في كل شبهة ، فإن الوالي ، إذا أخطأ في العفو ، خير من أن يتعدى في العقوبة » .

قال : حدثنا ابن عيسى ، عن أبي بكر بن أبي مريم ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى والي حمص أن : مُرْ لأهل الصلاح من بيت المال بما يغنيهم ، لئلا يشغلهم شيء عن تلاوة القرآن وما حملوا من الأحاديث .

قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله :

« أما بعد ؛ فإذا أمكنتك القدرة من ظلم العباد ، فاذكر قدرة الله عليك ، وذهاب ما تأتي اليهم . واعلم أنك ما تأتي اليهم أمراً إلاّ كان زائلاً عنهم باقياً عليك . وأن الله تعالى أخذ للمظلوم من الظالم ، فمهما ظلمت من أحد فلا تظلمن من لا ينتصر عليك إلاّ بالله ، عز وجل » .

قال : حدثنا سفيان ، عن جعفر بن برقان ، قال : كتب الينا عمر بن عبد العزيز :

« أما بعد ؛ فإن هذا الرجف شيء يعاتب الله تعالى به العباد . وقد كتبت إلى الأمصار أن يخرجوا يوم كذا وكذا ، فمن عنده شيء فليتصدق به ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ [1] وقولوا كما قال أبوكم آدم عليه السلام : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [2] . وقولوا كما قال يونس : ﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [3] .

إن منزلتين أحسنهما الكذب لمنزلتا سوء :

قال : حدثنا أبو المليح ، عن ميمون ، قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، وعنده عامله على الكوفة ، فإذا هو متغيظ عليه . فقلت : ما له يا أمير المؤمنين ؟ قال : بلغني أنه قال : لا أجد شاهد زور إلاّ قطعتُ لسانه . قال : فقلت : يا أمير المؤمنين : إنه لم يكن بفاعل . قال : فقال : انظروا إلى هذا الشيخ ، إنّ منزلتين ، أحسنهما الكذب ، لمنزلتا سوء .

---

(١) سورة الأعلى ، الآيتان : ١٤ – ١٥ .
(٢) سورة الأعراف ، الآية : ٢٣ .
(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ٨٧ .

الباب التاسع عشر

في ذكر رده المظالم

قال : حدثنا محمد بن راشد عن سليمان — يعني ابن موسى — أنه بلغه أن قوماً من الأعراب خاصموا إلى عمر بن عبد العزيز قوماً من بني مروان ، في أرض كانت الأعراب أحيوها ، فأخذها الوليد بن عبد الملك ، فأعطاها بعض أهله ، فقال عمر بن عبد العزيز : قال رسول الله ﷺ ، « البلاد بلاد الله ، والعباد عباد الله ، من أحيا أرضاً ميتة فهي له ». فردّها على الأعراب .

ابن عمر يعظ عمر :

قال : حدثني سهل بن يحيى المروزي قال : أخبرني أبي ، عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال : لما دفن عمر سليمان ، صعد إلى المنبر فقال: «إني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي فاختاروا لأنفسكم» فصاح الناس صيحة واحدة : قد اخترناك . فنزل فدخل فأمر بالستور فهتكت ، والثياب التي كانت تبسط للخلفاء فحملت ، وأمر ببيعها وإدخالها — أو قال ادخال ثمنها — بيت المال ، ثم ذهب يتبوأ مقيلا ، فقال ابنه عبد الملك : تقيل ولا ترد المظالم ؟ قال : أي بني قد سهرت البارحة في أمر عمك سليمان ، فإذا صليت الظهر رددت المظالم . قال : من لك أن تعيش إلى الظهر ؟ . فخرج ولم يقيل ، فأمر مناديه أن ينادي : ألا من كانت له مظلمة فليرفعها . فقام إليه رجل ذمي من أهل حمص ،

أبيض الرأس واللحية . فقال : يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله ، قال : وما ذاك ؟ قال : العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي — والعباس جالس — فقال له : يا عباس ! ما تقول ؟ قال : أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك ، وكتب لي بها سجلاً ، فقال : ما تقول يا ذمي ؟ قال : يا أمير المؤمنين : أسألك كتاب الله عز وجل . فقال عمر : كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك ، أردد عليه يا عباس ضيعته . فرد عليه . فجعل لا يدع شيئاً مما كان في يده ؛ وفي يد أهل بيته ، من المظالم إلاّ ردها ؛ مظلمة مظلمة .

قال : حدثنا أبو المليح : عن ميمون — يعني ابن مهران — قال : بعث إليّ عمر بن عبد العزيز ، وإلى مكحول ، وإلى أبي قلابة ، فقال : ما ترون في هذه الأموال التي أخذت من الناس ظلماً ؟ فقال مكحول : يومئذ قولاً ضعيفاً كرهه قال : أرى أن تستأنف . فنظر إليّ عمر كالمستغيث بي . فقلت : يا أمير المؤمنين ! ابعث إلى عبد الملك فأحضره ، فأحضره ، فإنه ليس بدون من رأيت . قال : ياحارث ! أدع لي عبد الملك. فلما دخل عليه قال : يا عبد الملك ماترى في هذه الأموال التي أُخذت من الناس ظلماً قد حضروا يطلبونها وقد عرفنا مواضعها ؟ قال : أرى أن تردها ، فإن لم تفعل ، كنت شريكاً لمن أخذها .

قال : حدثنا هشام بن حسان قال : قال عمر بن عبد العزيز : أروح إلى الصلاة ، فأصعد المنبر فأرد ما أصبنا من أموال المسلمين على رؤوس الناس . فقال ابنه عبد الملك : ومن لك أن تعيش إلى الصلاة ؟ قال : فمه ؟ قال : الساعة . فخرج ، ونودي في الناس : الصلاة جامعة . فصعد المنبر ، فرده على الناس .

قال : حدثنا سعيد بن عامر ، عن حليم ، قال : كنا عند عمر بن عبد العزيز ، فلما تفرقنا نادى مناد بالصلاة جامعة . قال : فجئت المسجد ، فإذا عمر على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أما بعد ؛ فإن هؤلاء أعطونا عطايا ما كان ينبغي لنا أن نأخذها ، وما كان ينبغي لهم أن يعطوناها . وإنّي قد رأيت ذلك ليس عليّ فيه دون الله محاسب ، وإنّي قد بدأت بنفسي وأهل بيتي . اقرأ يامزاحم » فجعل مزاحم يقرأ كتاباً كتاباً، ثم يأخذه عمر وبيده الجلم [1] فيقطعه حتى نودي بالظهر .

قال : حدثنا علي بن عبد الله قال : دخل عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز على أبيه ، وهو في قائلته ، فأيقظه وقال : ما يؤمنك أن تؤتى في منامك وقد رفعت اليك مظالم لم تقض حق الله فيها ؟ قال : يا بني إن نفسي مطيّتي ، إن لم أرفق بها لم تبلّغني . إني لو أتعبت نفسي وأعواني ، لم يك ذلك إلا قليلاً ، حتى أسقط ويسقطوا . وإني لاحتسب في نومتي من الأجر مثل الذي أحتسب في يقظتي . إن الله ، جل ثناؤه ، لو أراد أن ينزل القرآن جملة لأنزله ، ولكنه أنزله الآية والآيتين ، حتى استكن الايمان في قلوبهم . ثم قال : يا بني : أما مما أنا فيه أمر هو أهم إليّ من أهل بيتك ، هم أهل العدة والعدد ، وقبلهم ما قبلهم ، فلو جمعت ذلك في يوم واحد خشيت انتشاره عليّ ، ولكني أنصف من الرجل والاثنين ، فيبلغ ذلك من وراءه، فيكون أنجع له . فإن يرد الله تمام هذا الأمر أتمه ، وإن تكن الأخرى فحسب عبد أن يعلم الله أنه يحب أن ينصف جميع رعيته .

إما أن تردي حليك إلى بيت المال وإما أن تأذني لي في فراقك :

قال : حدثنا الفرات بن السائب : أن عمر بن عبد العزيز قال لامرأته فاطمة بنت عبد الملك — وكان عندها جوهر أمر لها به أبوها ، لم يُرَ مثله — : اختاري ، إما أن تردي حليك إلى بيت المال ، وإما أن تأذني لي في فراقك ؟ فإني أكره أن أكون أنا وأنت في بيت واحد . قالت : لا

(١) الجلم : المقراض ، المقص .

بل أختارك يا أمير المؤمنين عليه ، وعلى أضعافه لو كان لي . فأمر به ، فحمل حتّى وضع في بيت مال المسلمين ، فلما هلك عمر واستخلف يزيد قال لفاطمة : إن شئت رددته عليك ؟ قالت : فإني لا أشاؤه ، طبت عنه نفساً في حياة عمر وأرجع فيه بعد موته ؟ لا والله أبداً . فلما رأى ذلك قسمه بين أهله وولده .

بين الابن وأبيه :

قال : حدثنا سعيد ، عن جويرية ، عن اسماعيل بن أبي حكيم . قال : كنا عند عمر بن عبد العزيز حتّى تفرق الناس ، ودخل إلى أهله للقائلة ، فإذا مناد ينادي : الصلاة جامعة . قال : ففزعنا فزعاً شديداً مخافة أن يكون قد جاء فتق من وجه من الوجوه أو حدث حدث . قال جويرية : وإنما كان أنه دعا مزاحمـــاً فقال : يا مزاحم إن هؤلاء القوم قد أعطونا عطايا ، والله ، ما كان لهم أن يعطوناها . وما كان لنا أن نقبلها ، وإن ذلك قد صار إليّ ، ليس عليّ فيه دون الله محاسب . فقال له مزاحم : يا أمير المؤمنين : هل تدري كم ولدك ؟ هم كذا وكذا . قال : فذرفت عيناه ، فجعل يستدمع ويقول : أكلهم إلى الله . قال : ثم انطلق مزاحم من وجهه ذلك ، حتّى استأذن على عبد الملك ، فأذن له — وقد اضطجع للقائلة — فقال له عبد الملك : ما جاء بك يا مزاحم هذه الساعة ؟ هل حدث حدث ؟ قال : نعم ، أشد الحدث عليك وعلى بني أبيك . قال : وما ذاك ؟ قال : دعاني أمير المؤمنين — فذكر له ما قال عمر — فقال عبد الملك : فما قلت له ؟ قال : قلت له : يا أمير المؤمنين ؛ أتدري كم ولدك ؟ هم كذا وكذا ، قال : فما قال لك ؟ قال : جعل يستدمع ، ويقول: أكلهم إلى الله تعالى . قال عبد الملك : بئس وزير الدين أنت يا مزاحم ! ثم وثب فانطلق إلى باب أبيه عمر ، فاستأذن عليه ، فقال له الآذن : إنّ أمير المؤمنين قد وضع رأسه للقائلة . قال : استأذن لي . فقال له الآذن : أما ترحمونه ؟ ليس له من الليل والنهار إلاّ هذه

الوقعة . قال عبد الملك : استأذن لي لا أم لك ! فسمع عمر الكلام ، فقال : من هذا ؟ قال : هذا عبد الملك . قال : ائذن له . فدخل عليه وقد اضطجع عمر للقائلة ، فقال : ما حاجتك يا بني هذه الساعة ؟ قال : حديث حدثنيه مزاحم . قال : فأين وقع رأيك من ذلك ؟ قال : وقع رأيي على انفاذه . قال : فرفع عمر يديه ، ثم قال : الحمد لله الذي جعل لي من ذريتي من يعينني على أمر ديني . نعم يا بني . أصلي الظهر . ثم أصعد المنبر . فأردها علانية على رؤوس الناس . فقال عبد الملك : ياأمير المؤمنين ! ومن لك بالظهر يا أمير المؤمنين ؟ ومن لك إن بقيت إلى الظهر أن تسلم لك نيتك إلى الظهر؟ قال: فقال عمر: قد تفرق الناس ورجعوا للقائلة ، فقال عبد الملك : تأمر مناديك ينادي : الصلاة جامعة فيجتمع الناس . قال اسماعيل : فنادى المنادي : الصلاة جامعة قال : فخرجت . فأتيت المسجد ، فجاء عمر ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

« أما بعد : فإن هؤلاء القوم قد كانوا أعطونا عطايا ، والله ، ما كان لهم أن يعطوناها . وما كان لنا أن نقبلها . وإن ذلك قد صار إليّ ليس عليّ فيه دون الله محاسب . ألا وإنّي قد رددتها وبدأت بنفسي وأهل بيتي : اقرأ يا مزاحم » .

قال : وقد جيء بسفط قبل ذلك – أو قال جونة – فيها تلك الكتب قال : فقرأ مزاحم كتاباً منها ، فلما فرغ من قراءته ، ناوله عمر وهو قاعد على المنبر وفي يده جلم . قال : فجعل يقصه بالجلم . واستأنف مزاحم كتاباً آخر . فجعل يقرؤه ، فلما فرغ منه دفعه إلى عمر فقصه . ثم استأنف كتاباً آخر ، فما زال حتى نودي بصلاة الظهر .

ألا ترحمونه !

قال : حدثنا عبد الله بن المبارك قال : قال عمر بن عبد العزيز لمزاحم – وكان مزاحم مولاه وكان فاضلا – قال : إنّ هؤلاء القوم – يعني

أهله – أقطعوني ما لم يكن لي أن آخذه ، ولا لهم أن يعطوني ، وإني قد هممت بردها على أربابها . قال : فقال مزاحم : فكيف تصنع بولدك ؟ قال : فجرت دموعه على وجنتيه ، وجعل يمسحها باصبعه الوسطى ويقول : « أكلهم إلى الله » . قال عبد الله : وكأنّ مزاحماً ، مع فضله ، لم يقنع بقوله ، فخرج مزاحم ، فدخل على عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ، فقال : إن أمير المؤمنين قد همّ بأمرٍ ، لهو أضر عليك وعلى ولد أبيك من كذا وكذا ، إنه قد همّ برد السهلة – قال عبد الله : وهي باليمامة ، وهي أمر عظيم – قال : وكان عيش ولده منها . قال عبد الملك : فماذا قلت له ؟ قال : كذا وكذا . قال : بئس ، لعمر الله ، وزير الخليفة أنت . قال : ثم قام ليدخل على عمر بن عبد العزيز وقد تبوأ مقيله . قال : فاستأذن . فقال له البواب : إنّه قد تبوأ مقيله . قال : ما منه بد . قال : سبحان الله ، ألا ترحمونه ؟ إنما هي ساعته . قال : فسمع عمر صوته فقال : عبد الملك ؟ قال . نعم . قال : ادخل . فدخل . قال : ما جاء بك ؟ قال : إنّ مزاحماً أخبرني بكذا وكذا . قال : فما رأيك ؟ فإني أريد أن أقوم بالعشية . قال : أرى أن تعجله ، فما تأمن أن يحدث الله بك حدثاً . قال : فرفع يديه وقال : الحمد لله الذي جعل من ذريّتي من يعينني على ديني . قال : ثم قام من ساعته ، فجمع الناس وأمر بردها .

قال يعقوب بن سفيان ، وحدثني سليمان أن عمر نظر في مزارعه ، فخرق سجلات بها غير مزرعتين : (خيبر) و (السويداء) ، فسأل عن خيبر من أين كانت لأبيه ؟ قيل : كانت فيئاً على عهد رسول الله ، ﷺ ، فتركها رسول الله ، ﷺ ، فيئاً على المسلمين حتّى كان عثمان بن عفان ، فأعطاها مروان بن الحكم ، وأعطاها مروان عبد العزيز أبا عمر وأعطاها عبد العزيز عمر ، فخرق سجلها وقال : إنما أتركها كما تركها رسول الله ﷺ . وبلغني أنها كانت (فدك) .

خبر (فدك) وتنازل عمر عنها :

قال : حدثنا ابراهيم بن جعفر ، عن أبيه ، قال : كانت فدك فيئاً لرسول الله ﷺ ، فكانت لابن السبيل . فسألته ابنته إياها ، فأبى رسول الله ﷺ ، أن يعطيها . فولي أبو بكر ، فسلك ما كان رسول الله ، ﷺ، يفعل . ثم عمر ، ثم عثمان كذلك ، فلما كانت الجماعة [1] على عهد معاوية ، وولي مروان ، فكتب إلى معاوية يطلب فدكاً فأعطاه إياها ، فكانت بيد مروان يبيع تمرها كل سنة بعشرة آلاف درهم . ثم نزع مروان وغضب ، فنزعها من يده، فكانت بيد وكيله بالمدينة . فلما ولي مروان المدينة للمرة الأخيرة ردها عليه ، فأعطى عبد الملك نصفها ؛ وعبد العزيز نصفها ، فوهب عبد العزيز حقه لعمر ولده ، فلما توفي عبد الملك طلب عمر إلى الوليد حقه فوهبه له ، وطلب إلى سليمان حقه فوهبه له ، ثم من بقي من أعيان بني عبد الملك ، حتى حصلت له ، قال جعفر : فلقد ولي عمر الخلافة وما يقوم به وبعياله إلاّ وهي تغل كل سنة عشرة آلاف أو أقل أو أكثر ، فسأل عنها فحص ، فأخبر بما كان أمرها في عهد رسول الله ، ﷺ ، وأبي بكر وعمر وعثمان ، فكتب إلى أبي بكر بن حزم كتاباً يقول فيه :

إني نظرت في أمر فدك ، فإذا هو لا يصلح ، فرأيت أن أردها على ما كانت عليه في عهد رسول الله ﷺ ، و أبي بكر وعمر وعثمان ، فاقبضها ووليها رجلا يقوم فيها بالحق ، وسلام عليك » .

قال : حدثنا يعقوب ، عن أبيه ، قال : لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة خرج مما كان في يده من القطائع ، وكان في يده (المكيدس) و (جبل الورس) باليمن ، و (فدك) وقطائع باليمامة ، فخرج من

(١) قال ابن عبد ربه في العقد (ج ٢ ص ٢٣٥) : « واجتمع الناس على معاوية سنة إحدى وأربعين ، وهو (عام الجماعة) فبايعه أهل الأمصار كلها . وكتب بينه وبين الحسن كتاباً وشروطاً ... الخ » .

ذلك كله ورده إلى المسلمين إلا أنه ترك عيناً بالسويداء ، وكان استنبطها بعطائه ، فكانت تأتيه غلتها كل سنة مائة وخمسون ديناراً أو أقل أو أكثر ، فذكر له مزاحم يوماً أن نفقة أهله قد فنيت فقال : حتى تأتينا غلتنا قال : فلم ينشب أن قدم قيمة بغلته وبجراب تمر صيحاني ، وبجراب تمر عجوة . فنثره بين يديه . وسمع أهله بذلك ، فأرسلوا إبناً له صغيراً فحفن له من التمر فانصرف ، فلم ينشب أن سمعنا بكاءه قد ضرب ، ثم أقبل بأم الدنانير ، فقال : امسكوا يديه ، ثم رجع يديه فقال : اللهم بغضها اليه كما حببتها إلى موسى بن نصير . ثم قال : خلوه ، فكأنما رأى به عقاربُ ، ثم قال : انظروا الشيخ الجزري المكفوف الذي كان يغدو بالأسحار فخذوا له ثمن قائد لا كبير فيقهره . ولا صغير يضعف عنه . ففعلوا . ثم قال لمزاحم : شأنك ما بقي فأنفقه على أهلك .

قال : حدثنا محمد بن سعيد قال : قال أبو بكر بن أبي سبرة : لما رد عمر المظالم قال : إنه لينبغي أن لا أبدأ بأول من نفسي ، فنظر إلى ما في يديه من أرض أو متاع ، فخرج منه حتى نظر إلى فص خاتم ، فقال : هذا مما كان الوليد أعطانيه مما جاء من أرض المغرب فخرج منه .

احترام الناس لعمر بعد وفاته :

قال : حدثنا ابراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى العناني قال : حدثني أبي ، عن جدي ، قال : كنت عند هشام بن عبد الملك جالساً ، فأتاه رجل فقال : يا أمير المؤمنين : إن عبد الملك أقطع جدي قطيعة . فأقرها الوليد وسليمان ، حتى إذا استخلف عمر ، رحمه الله ، نزعها فقال له هشام : أعِدْ مقالتك . فقال : يا أمير المؤمنين : إنّ عبد الملك أقطع جدي قطيعة ، فأقرها الوليد وسليمان ، حتى إذا استخلف عمر ، رحمه الله ، نزعها . فقال : والله إن فيك لعجباً . إنك تذكر من أقطع جدك القطيعة ومن أقرها ، فلا تترحم عليه ، وتذكر من نزعها فتترحم عليه ، وإنّا قد أمضينا ما صنع عمر رحمة الله عليه .

الباب العشرون

في ذكر نفور بني مروان من عدله وجوابه لهم

كتاب عمر بن الوليد في تأنيب عمر :

قال : حدثني سهل بن يحيى المروزي قال : أخبرني أبي ، عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، قال : لما ولي عمر بن عبد العزيز ، جعل لا يدع شيئاً مما كان في يده ويد أهل بيته من المظالم إلاّ ردّها ، مظلمة مظلمة . فبلغ ذلك عمر بن الوليد بن عبد الملك فكتب اليه :

« إنك أزريت [1] على من كان قبلك من الخلفاء ، وعبت عليهم ، وسرت بغير سيرتهم بغضاً لهم وشنآناً [2] لمن بعدهم من أولادهم . قطعت ما أمر الله به أن يوصل إذ عمدت إلى أموال قريش ومواريثهم فأدخلتها بيت المال جوراً وعدواناً . يا ابن عبد العزيز ! اتق الله وراقبه إن شططت، لم تطمئن على منبرك حتى خصصت أول قرابتك بالظلم والجور . فوالذي خص محمداً ، ﷺ ، بما خصه به ، لقد ازددت عن الله بعداً في ولايتك هذه إذ زعمت أنها عليك بلاء ، فاقصر بعض ميلك . واعلم بأنك بعين جبار وفي قبضته ، ولن تترك على هذا » .

---

(١) في المختصر : « رزئت » .
(٢) في المختصر : « وشناء » .

جواب عمر بن عبد العزيز لعمر بن الوليد :

فلما قرأ عمر بن عبد العزيز كتابه ، كتب اليه :

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ . من عبد الله عمر ، أمير المؤمنين ، إلى عمر بن الوليد . السلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

أما بعد ؛ فإنه بلغني كتابك وسأجيبك بنحو منه . أما أول شأنك ؛ يا ابن الوليد كما زعم ، فأمك بنانة أمة السكون ، كانت تطوف في سوق حمص ، وتدخل في حوانيتها ، ثم الله أعلم بها اشتراها ذبيان بن ذبيان من فيء المسلمين ، فأهداها لأبيك ، فحملت بك ؛ فبئس المحمول وبئس المولود . ثم نشأت فكنت جباراً عنيداً ، تزعم أني من الظالمين . لم حرمتك وأهل بيتك فيء الله ، عز وجل ، الذي فيه حق القرابة والمساكين والأرامل ، وإن أظلم مني ، وأترك لعهد الله ، من استعملك صبياً سفيهاً على جند المسلمين تحكم بينهم برأيك ، ولم تكن له في ذلك نية إلاّ حب الوالد لولده ، فويل لك وويل لأبيك ما أكثر خصماء كما يوم القيامة ؟ وكيف ينجو أبوك من خصمائه ؟ وإنّ أظلم مني ، وأترك لعهد الله ، من استعمل الحجاج بن يوسف على خمس [1] العرب يسفك الدم الحرام ، ويأخذ المال الحرام ؛ وإن أظلم مني ، وأترك لعهد الله ، من استعمل قرة بن شريك أعرابياً جافياً [2] على مصر ، أذنَ له في المعازف واللهو والشرب ، وإنّ أظلم مني ، وأترك لعهد الله ، من جعل لعالية البربرية سهماً في خمس [3] العرب ، فرويداً يا ابن بنانة ، فلو التقت حلقتا البطان ، ورد الفيء إلى أهله ، لتفرغت لك ولأهل بيتك ، فوضعتهم على المحجة البيضاء ، فطالما تركتم الحق وأخذتم في بينات الطريق ، وما وراء هذا من الفضل ، ما أرجو أن أكون رأيته ، بيع رقبتك وقسم

---

(١) و (٣) في المختصر : « خمسي » .
(٢) في المختصر : « جلفاً » .

ثمنك بين اليتامى والمساكين والأرامل ، فإنّ لكل فيك حقاً والسلام علينا ، ولا ينال سلام الله الظالمين » .

قال : حدثنا ضمرة ، عن علي بن أبي حملة وابن شوذب ، قال : كتب عمر بن الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز كتاباً يغلظ له ، فكتب عمر :

« إنّ أظلم مني وأجور ، من ولّى عبد ثقيف العراق ، فحكم في دمائهم وأموالهم . وإنّ أظلم مني وأجور ، وأترك لعهد الله ، من ولّى قرة مصر : جلفاً جافياً ، وإنّ أظلم مني وأجور ، وأترك لعهد الله ، من ولى عثمان بن حيان الحجاز ، فأنشد الأشعار على منبر رسول الله ، ﷺ وإنما أمك كانت تختلف إلى حوانيت حمص ، فاشتراها ذبيان بن ذبيان ، فبعث بها إلى أبيك فحملت ، فبئس الجنين وبئس المولود . ثم وضعتك جباراً شقياً . لقد هممت أن أبعث اليك من يحلق جمتك فبئس الجمة » .

كان إذا وقع في أمر مضى فيه :

قال : حدثنا جويرية بن أسماء ، عن اسماعيل بن أبي حكيم ، قال : أتى عمر بن عبد العزيز كتاب من بعض بني مروان ، فأغضبه، فاستشاط ثم قال : إن الله من [1] بني مروان يوماً — وقال نعيم : ذبحاً — وأيم الله ، لئن كان ذلك الذبح على يدي » .

فلما بلغهم ذلك ، كفوا وكانوا يعامون صرامته ، وأنه إذا وقع في في أمر مضى فيه .

قال : حدثنا المسيب بن واضح ، عن الأوزاعي ، قال : كتب عمر ابن عبد العزيز إلى عمر بن الوليد كتاباً فيه :

---

(١) في المختصر : « في » .

« ... وقسم أبوك لك الخمس كله ، وإنما سهم أبيك كسهم رجل من المسلمين . وفيه حق الله ، وحق الرسول وذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ؛ فما أكثر خصماء أبيك يوم القيامة . فكيف ينجو من كثر خصماؤه ؟ واظهارك المعازف والمزامير بدعة في الاسلام . لقد هممت أن أبعث اليك من يجز جمتك . جمة السوء... » .

قال : حدثنا الوليد بن مسلم . عن الأوزاعي ، قال : لما قطع عمر ابن عبد العزيز على أهل بيته ما كان يجري عليهم من أرزاق الخاصة ، وأمرهم بالانصراف إلى منازلهم ، تكلم في ذلك عنبسة بن سعد فقال : يا أمير المؤمنين ! إن لنا قرابة ، قال : « لن يتسع مالي لكم ، وأما هذا المال فحقكم فيه كحق رجل بأقصى برك الغماد ، فلا يمنعه من أخذه إلا بعد مكانه . والله ، إني لأرى أن الأمور ، لو استحالت حتى يصبح أهل الأرض يرون مثل رأيكم ، لنزلت بهم بائقة من عذاب الله » .

لولا أن تستعينوا عليّ بمن أطلب هذا الحق له لاضرعت خدودكم :

قال : حدثنا سعيد بن عامر . عن جويرية بن أسماء ، قال : قال عمر بن عبد العزيز لحاجبه : لا يدخل اليوم عليّ إلاّ مرواني .

وأخبرنا سعيد بن عامر ، عن جويرية بن أسماء ، عن اسماعيل بن أبي حكيم ، فيما أعلم ، قال : قال عمر بن عبد العزيز لآذنه : لا يدخل عليّ اليوم إلاّ مرواني . فلما اجتمعوا عنده . حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« يا بني مروان : إنكم قد أُعطيتُم حظاً وشرفاً وأموالاً . إني لأحسب شطر أموال هذه الأمة أو ثلثيها [1] في أيديكم » .

فسكتوا . فقال عمر : ألا تجيبوني ؟ فقال رجل من القوم :

« والله ، لا يكون ذلك حتى يحال بين رؤوسنا وأجسادنا . والله لا نكفّر آباءنا ، ولا نفقّر أبناءنا .

(١) في المختصر : « أو ثلثها » .

فقال عمر :

« والله ، لولا أن تستعينوا عليّ بمن أطلب هذا الحق له لأضرعت خدودكم ، قوموا عني » .

قال : حدثنا ابن وهب قال : حدثني مالك أن عمر بن عبد العزيز ذكر ما مضى من الجور والعدل ، وعنده هشام بن عبد الملك ، فقال هشام : إنّا والله لا نعيب آباءنا ، ولا نضع شرفنا [1] في قومنا . فقال عمر : وأي عيب أعيب ممن عابه القرآن ؟ .

لأسكرنّ تلك السواقي حتى أجريه مجراه الأول :

قال : حدثنا ابن غنية ، عن نوفل بن الفرات ، أن عمر بن عبد العزيز قال لعمته : « يا عمة ! إن رسول الله، ﷺ قُبِضَ ، وترك الناس على نهر مورود ، فوليّ ذلك النهر بعده رجل فلم يستخص منه بشيء ، ثم ولي ذلك النهر بعد ذلك رجل آخر فكرى منه ساقية ، ثم لم يزل الناس يكرون منه السواقي حتى تركوه يابساً ليس فيه قطرة ، وأيم الله ، لئن أبقاني الله لاسكرن تلك السواقي حتى أجريه مجراه الأول » .

قالت : فلا يسبوا عندك إذن : قال : ومن يسبهم ؟ إنما يرفع الرجل مظلمته ، فأردها عليه .

قال الشيخ الامام : هكذا وقع في هذه الرواية : « ثم ولي رجل فكرى منه ساقية » إشارة منه إلى عمر ، وهو غلط ، وإنما الصواب ذكر ذلك في حق عثمان .

وقد أخبرنا به على الصواب محمد بن عبد الباقي بن أحمد ، قال : حدثنا نوفل بن أبي الفرات قال : كانت بنو أمية ينزلون فلانة بنت

(١) في المختصر : « أشرافنا » .

مروان على أبواب القصور ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز قال : لا يلي انزالها أحد غيري ، فأدخلوها على دابتها إلى باب قبته فأنزلها ، ثم طبق لها وسادتين : إحداهما على الأخرى ، ثم أنشأ يمازحها ، ولم يكن من شأنها المزاح ، فقال : أما رأيت الحرس الذي على الباب ، قالت : بلى فربما رأيتهم عند من هو خير منك ، فلما رأى الغضب لا يتحلل عنها ، أخذ في الجد وترك المزاح ، فقال : يا عمه ! إن رسول الله ﷺ ، قُبِض فترك الناس على نهر مورود ، فولي ذلك النهر رجل فلم يستنقص منه شيئاً ، ثم ولي ذلك النهر بعد ذلك الرجل رجل آخر فلم يستنقص منه شيئاً ، ثم ولي بعد ذلك رجل آخر فكرى منه ساقية ، ثم لم يزل الناس يكرون منه السواقي حتى تركوه يابساً ليس فيه قطرة . وأيم الله ، لئن أبقاني الله لاسكرن السواقي حتى أعيده إلى مجراه الأول . قالت : فلا يسبّوا عندك إذن ؟ قال : من يسبهم ؟ إنما يرفع لي الرجل مظلمته ، فأردها عليه .

كل يوم أخافه دون يوم القيامة فلا وقاني الله شره :

قال : حدثنا عبيد الله بن محمد التميمي – أو قال التيمي – قال : سمعت أبي وغيره يحدث أن عمر بن عبد العزيز ، لما ولي منع قرابته ما كان يجري عليهم ، وأخذ منهم القطائع التي كانت في أيديهم ، فشكوه إلى عمته ، أم عمر ، فدخلت عليه فقالت : إنّ قرابتك يشكونك ، ويزعمون أنك أخذت منهم خبر [1] غيرك . قال : ما منعتهم حقاً أو شيئاً كان لهم ، فقالت : إني رأيتهم يتكلمون ، وإنّي أخاف أن يهيجوا عليك يوماً عصيباً . فقال : كل يوم أخافه ، دون يوم القيامة ، فلا وقاني الله شره . قال : ودعا بدينار وجنب ومجمرة ، فألقى ذلك الدينار في النار ، وجعل ينفخ على الدينار ، حتى إذا احمر تناوله بشيء ، فألقاه على الجنب ، فنش وقتر ، فقال : أي عمة ! أما تأوين لابن أخيك من مثل هذا ؟

(١) خ : خير .

فقامت فخرجت على قرابته فقالت : تزوجون آل عمر ، فإذا نزعوا إلى الشبه جزعتهم . اصبروا له [1] .

قال : حدثنا محمد بن يزيد بن خنيس ، عن وهيب بن الورد ، قال : اجتمع بنو مروان على باب عمر بن عبد العزيز ، وجاء عبد الملك بن عمر ليدخل على أبيه ، فقالوا له : إما أن تستأذن لنا ، وإما أن تبلغ عنا الرسالة. قال : قولوا . قالوا : إن من كان قبله من الخلفاء كان يعطينا ، ويعرف لنا مواضعنا ، وإنّ أباك قد حرمنا ما في يده . قال : فدخل إلى أبيه فأخبره عنهم ، فقال له عمر : قل لهم : إن أبي يقول لكم : إني أخاف إن عصيت الله — أو قال ربي — عذاب يوم عظيم .

قال : حدثنا سعيد بن عامر ، عن أسماء بن عبيد ، قال : دخل عنبسة ابن سعيد بن العاص على عمر بن عبد العزيز فقال : يا أمير المؤمنين ! إن من كان قبلك من الخلفاء كانوا يعطونا عطايا منعتناها، ولي عيال وضيعة ، أفتأذن لي أن أخرج إلى ضيعتي وما يصلح عيالي ؟ فقال عمر : أحبكم الينا من كفانا مؤونته . فخرج من عنده ، فلما صار إلى الباب قال عمر : أبا خالد ! أبا خالد ! فرجع ، فقال : أكثر ذكر الموت فإن كنت في ضيق من العيش وسعه عليك ، وإن كنت في سعة من العيش ضيقه عليك .

إنها نفسي أحاول عنها :

قال : حدثنا عمر بن علي بن مقدم قال : قال ابن سليمان بن عبد الملك لمزاحم : إن لي حاجة إلى أمير المؤمنين عمر ؛ قال : فاستأذنت له فقال : أدخله . فأدخلته على عمر . فقال ابن سليمان : يا أمير المؤمنين ! على ما ترد عليّ قطيعتي ؟ قال : معاذ الله أن أرد قطيعة رسخت في

(1) خ : لا تلومون إلا أنفسكم ، عمدتم إلى صاحبكم فزوجتموه بنت ابن عمر ، فجاءتكم بعمر . الخ .

الاسلام . قال : فهذا كتابي . فأخرج كتاباً من كمه ، فقرأه عمر ، فقال : لمن كانت هذه الأرض ؟ قال : للفاسق ابن الحجاج . قال عمر : فهو أولى بماله . قال : يا أمير المؤمنين ؛ فإنها من بيت مال المسلمين . قال : فالمسلمون أولى بها . قال : يا أمير المؤمنين ! رد عليّ كتابي . قال : لو لم تأتني به لم أسألكه ، فأما إذ جئتني به ، فلا ندعك تطالب بباطل . قال : فبكى ابن سليمان . قال مزاحم : فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ ابن سليمان تصنع به هذا ؟ قال : ويحك يا مزاحم ! إنها نفسي أحاول عنها ، وإني لأجد له من اللوط ما أجد لولدي .

قال : حدثنا شعيب — يعني ابن صفوان — عن بشر بن عبد الله بن عمر ، عن بعض آل عمر ، أن هشام بن عبد الملك قال لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ! إنّي رسول قومك اليك ، وإنّ في أنفسهم ما أكلمك به . إنّهم يقولون استأنف العمل برأيك فيما تحت يدك ، وخلّ بين من سبقك وبين ما ولوا ، بما عليهم ولهم . فقال له عمر : أرأيت إن أتيت بسجلين : أحدهما من معاوية ، والآخر من عبد الملك بأمر واحد ، فبأي السجلين آخذ ؟ قال : بالأقدم . فقال عمر : فإني وجدت كتاب الله الأقدم . فأنا حامل عليه من أتاني ممن تحت يدي وفيما سبقني .

فقال له سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان : يا أمير المؤمنين ! امض لرأيك فيما وليت بالحق والعدل وخلّ عمن سبقك وعن ما ولي ، خيره وشره ، فإنك مكتف بذلك . فقال له عمر : أنشدك الله الذي اليه نعود . أرأيت لو أن رجلاً هلك ، وترك بنين صغاراً وكباراً ، فعز الأكابر الأصاغر بقوتهم ، فأكلوا أموالهم ، فأدركك الأصاغر فجاؤوك بهم وبما صنعوا في أموالهم ، ما كنت صانعاً ؟ قال : كنت أرد عليهم حقوقهم حتى يستوفوها . قال فإني وجدت كثيراً ممن قبلي ، من الولاة ، عزوا الناس بقوتهم وسلطانهم ، وعزهم بها أتباعهم ، فلما وليت أتوني بذلك

فلم يسعني إلاّ الرد على الضعيف من القوي ، وعلى المستضعف من الشريف. فقال : وفقك الله يا أمير المؤمنين .

قال : حدثنا عبديس بن يحيى أبو نباتة قال : سمعت مالك بن أنس قال : قال عمر بن عبد العزيز لابن لسليمان بن عبد الملك : صحبت آباءك ، فما رأيت حرصاً يشبه حرصهم على الدنيا ، ماتوا وتركوها أقدر ما كانوا عليها .

أتأمرني بالزنا ؟

قال : حدثنا ضمرة ، عن ابن شوذب ، قال : عرض على عمر بن عبد العزيز جوارٍ وعنده العباس بن الوليد بن عبد الملك ، قال : فجعل كلما مرّت جارية تعجبه قال : يا أمير المؤمنين ! اتخذ هذه . فلما أكثر ، قال له عمر بن عبد العزيز : أتأمرني بالزنا؟ قال فخرج العباس، فمر بأناس من أهل بيته، فقال: ما يجلسكم بباب رجل يزعم أن آباءكم كانوا زناة؟.

ما كان أشده على بني أمية :

قال : وبلغني عن اسماعيل بن أبي حكيم قال : كان عند عمر بن عبد العزيز ناس من بني مروان ، فحبسهم وقال لخبازه : إذا دعوت بالطعام فلا تعجل به ، فحبسهم حتّى تعالى النهار — قال : وهم قوم لم يعتادوا ذلك — فمر به الخباز فقال : ويحك ! ائتنا بطعامك . قال : نعم يا أمير المؤمنين الآن . قال : فلما أبطأ ، قال لهم : فهل لكم في سويق وتمر ؟ قال فجيء بسويق وتمر فأكلوا ، فلما فرغوا جاء الخباز بالطعام فأمسكوا ، فقال : ألا تأكلون ؟ قالوا : والله ، يا أمير المؤمنين ، ما نقدر عليه . فقال لهم ذلك غير مرة ، فأبوا أن يأكلوا ، فقال : ويحكم يا بني مروان ففيم التقحم [1] في النار ؟ فبكى والله وأبكى .

قال : حدثنا أبو بكر المروزي قال : سمعت أحمد بن حنبل — وذكر عمر ابن عبد العزيز — قال : ما كان أشده على بني أمية .

---

(١) كذا في المختصر وفي الأصل : « أنفحكم » .

الجزء الخامس:

الباب الحادي والعشرون

في ذكر ما وُعظ به

سياق مواعظ الحسن البصري لعمر بن عبد العزيز رحمهما الله

الموعظة الأولى

ما هي الدنيا ؟

قال : حدثنا أبو صالح ، كاتب الليث بن سعد ، قال : أخذتها من الليث بن سعد ، رسالة الحسن بن أبي الحسن إلى عمر بن عبد العزيز رحمهما الله :

« أما بعد ؛ اعلم يا أمير المؤمنين أن الدنيا دار ظعن وليست بدار إقامة ، وإنما أهبط اليها آدم من الجنة عقوبة ، وقد يحسب من لا يدري ما ثواب الله أنها ثواب ، ومن لم يدر ما عقاب الله أنها عقاب . ولها في كل حين صرعة ، وليست صرعة كصرعة ، هي تهين من أكرمها ، وتذل من أعزها ، وتصرع من آثرها ، ولها في كل حين قتلى ، فهي كالسم يأكله من لا يعرفه وفيه حتفه ، فالزاد فيها تركها ، والغنى فيها فقرها . فكن فيها ، يا أمير المؤمنين ، كالمداوي جرحه ، يصبر على شدة الدواء مخافة طول البلاء ، يحتمي قليلاً مخافة ما يكره طويلا . فإن أهل

الفضائل كانوا ، منطقهم فيها بالصواب، ومشيهم بالتواضع، ومطعمهم الطيب من الرزق ، مغمضي أبصارهم عن المحارم ، فخوفهم في البر كخوفهم في البحر ، ودعاؤهم في السراء كدعائهم في الضراء ، لولا الآجال التي كتبت لهم ما تقاوت أرواحهم في أجسادهم خوفاً من العقاب وشوقاً إلى الثواب ، عظم الخالق في نفوسهم فصغر المخلوقين في أعينهم . واعلم ، يا أمير المؤمنين ، أن التفكر يدعو إلى الخير والعمل به ، وأن الندم على الشر يدعو إلى تركه ، وليس ما يفني ، وإنْ كان كثيراً ، بأهل أن يؤثر على ما يبقى ، وإنْ كان طلبه عزيزاً . واحتمال المؤونة المنقطعة ، التي تعقب الراحة الطويلة ، خير من تعجيل راحة منقطعة تعقب مؤونة باقية وندامة طويلة ، فاحذر هذه الدنيا الصارعة ، الخاذلة القاتلة ، التي قد تزينت بخدعها ، وفتكت بغرورها ، وخدعت بآمالها ، فأصبحت كالعروس المجلية : فالعيون اليها ناظرة ، والقلوب عليها والهة، والنفوس لها عاشقة ، وهي لأزواجها كلهم قاتلة ، فلا الباقي بالماضي معتبر ، ولا الآخر لما رأى من أثرها على الأول مزدجر ، ولا العارف بالله المصدق له حين أخبره عنها مذكر ، قد أبت القلوب لها إلاّ حباً ، وأبت النفوس لها إلاّ عشقاً ، ومن عشق شيئاً لم يلهم غيره ، ولم يعقل سواه ، مات في طلبه وكان آثر الأشياء عنده ، فهما عاشقان طالبان مجتهدان .

فعاشق قد ظفر منها بحاجته فأغنته ، وطغى ونسي ، ولها فغفل عن مبتدإ خلقه ، وضيع ما اليه معاده فقلّ في الدنيا لبثه ، حتى زالت عنه قدمه ، وجاءته منيته على أسر ما كان منها حالا ، وأطول ما كان فيها أملا ، فعظم ندمه ، وكثرت حسرته ، مع ما عالج من سكرته ، فاجتمعت عليه سكرة الموت بكربته ، وحسرة الفوت بغصته ، فغير موصوف ما نزل به .

وآخر مات من قبل أن يظفر منها بحاجته ، فمات بغمه وكمده ولم

يدرك فيها ما طلب . ولم يُرِحْ نفسه من التعب والنصب . فخرجا جميعاً بغير زاد ، وقدما على غير مهاد . فاحذرها ، يا أمير المؤمنين ، الحذر كله ، فإنما مثلها كمثل الحية لين مسها تقتل بسمها . فأعْرِض عما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها ، وضع عنك همومها لما قد أيقنت من فراقها . واجعل شدة ما اشتد منها رجاء ما ترجو بعدها . وكن . عند أسر ما تكون فيها ، أحذر ما تكون لها . فإن صاحب الدنيا كلما اطمأن منها إلى سرور صحبته من سرورها بما يسوءه . وكلما ظفر منها بما يحب انقلبت عليه بما يكره . فالسارّ منها لأهلها غار . والنافع منها غداً ضار . وقد وصل الرخاء فيها بالبلاء وجعل البقاء فيها ... فسرورها بالحزن مشوب . والناعم فيها مسلوب . فانظر ، يا أمير المؤمنين ، اليها انظر الزاهد المفارق ، ولا تنظر نظر المبتلي العاشق . وأعلم أنها تزيل الثاوي بالساكن ، وتفجع المترف فيها الآمن ، ولا ترجع ما تولى وأدبر ، ولا بد ما هو آت منها ينتظر ، ولا يتبع ما صفا منها إلاّ كدر . فاحذرها ، فإن أمانيها كاذبة ، وآمالها باطلة ، وعيشها نكد . وصفوها كدر ، وأنت منها على خطر . إما نعمة زائلة . وإما بلية نازلة . وإما مصيبة فادحة . وإما منية قاضية . فلقد كدرت المعيشة لمن عقل ، فهو من نعيمها على خطر ، ومن بليتها على حذر . ومن المنية على يقين . فلو كان الخالق . تبارك وتعالى ، لم يخبر عنها بخبر ، ولم يضرب لها مثلا ، ولم يأمر فيها بزهد ، لكانت الدنيا قد أيقظت النائم ، ونبهت العاقل ، فكيف وقد جاء عن الله ، عز وجل ، منها زاجر وفيها واعظ . فما لها عنده قدر ولا وزن من الصغر ، فلهي عنده أصغر من حصاة في الحصى ، ومن مقدار نواة في النوى ، ما خلق الله ، عز وجل ، فيما بلغنا أبغض إلى الله تعالى منها . ما نظر اليها منذ خلقها . ولقد عرضت على نبينا محمد ، ﷺ . بمفاتيحها وخزائنها ، لا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة ، فأبى أن يقبلها . وما منعه من القبول لها — مع ما لا ينقصه الله شيئاً مما عنده كما وعده — إلاّ أنه علم أن الله ، عز وجل ، أبغض شيئاً فأبغضه ، وصغر شيئاً

فصغره . ولو قبلها ، كان الدليل على محبته قبوله إياها ، لكنه كره أن يخالف أمره ، أو يحب ما أبغض خالقه ، أو يرفع ما وضع مليكه » .

قال محمد بن الحسين : وكان في آخر هذه الرسالة :

« ولا تأمن أن يكون هذا الكلام حجة عليك . نفعنا الله وإياك بالموعظة ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » .

الموعظة الثانية

قال : حدثنا ابراهيم السقا ، عن أصرم الخراساني ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن : « عظني » . فكتب إليه الحسن :

« أما بعد ، يا أمير المؤمنين ! فكن للمثل من المسلمين أخاً ، وللكبير إبناً ، وللصغير أباً . وعاقب كل واحد منهم بذنبه على قدر جسمه . ولا تضربن لغضبك سوطاً واحداً فتدخل النار » [1] .

الموعظة الثالثة

قال : حدثنا اسحاق بن سعيد بن الحسن النسائي قال : حدثنا جدي الحسن بن سفيان قال : حدثنا سفيان بن عيينة قال : كتب الحسن بن أبي الحسن إلى عمر بن عبد العزيز :

« ... واعلم أن الهول الأعظم ، ومفظعات الأمور أمامك لم يقطع منها بعد . وأنه لا بد ، والله ، لك من مشاهدة ذلك ومعاينته ، إما بالسلامة والنجاة منه ، وإما بالعطب .. » .

---

(١) سبق هذا القول في ص ١٦ منسوباً إلى محمد بن كعب القرظي .

الموعظة الرابعة

الزهد رأس الإصلاح :

قال : حدثنا أبو عبد الله الصوفي قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن : « عظني وأوجز » . فكتب اليه :

« أما بعد ؛ فإن رأس ما هو مصلحك ، ومصلح به على يدك ، الزهد في الدنيا ، وإنما الزهد باليقين ، واليقين بالتفكر ، والتفكر بالاعتبار . فإذا أنت تفكرت في الدنيا لم تجدها أهلاً أن تبيع بها نفسك ، ووجدت نفسك أهلاً أن تكرمها بهوان الدنيا ، فإنما الدنيا دار بلاء ومنزل غفلة » .

الموعظة الخامسة

لا بد من اقتحام العقبة ومن ورائها الجنة أو النار

قال : حدثنا الجنيد قال : سمعت سرياً يقول : كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز :

« أما بعد ؛ فلو كان لك عمر نوح ، وملك سليمان ، ويقين إبراهيم ، وحكمة لقمان ، فإن أمامك هول الموت . ومن ورائه داران ، إن أخطأتك هذه ، صرت إلى هذه » .

قال : فبكى عمر بن عبد العزيز بكاء شديداً .

قال : حدثنا أبو عاصم ، عن شبيب بن بشر ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى فقهاء العراق أن يأتوه ، فاغتل الحسن بفتق [1] في بطنه ، وكتب اليه :

« يا أمير المؤمنين ! إن استقمت استقاموا ، وإنْ ملت مالوا [2] .

---

(١) في المختصر : « يفيق » .

(٢) من المختصر .

يا أمير المؤمنين ! لو أن لك عمر نوح ، وسلطان سليمان ، ويقين ابراهيم ، وحكمة لقمان ما كان لك بد من أن تقتحم العقبة ، ومن وراء العقبة الجنة والنار ، من أخطأته هذه دخل هذه » .

فلما أتاه الكتاب أخذه ، فوضعه على عينيه ثم بكى . ثم قال : « من لي بعمر نوح ، ويقين ابراهيم ، وسلطان سليمان ، وحكمة لقمان ؟ ولو نلت ذلك لم يكن بد من أن أشرب بكأس الأولين » .

الموعظة السادسة

خذ من فنائك الذي لا يبقى لبقائك الذي لا يفنى :

قال : حدثنا داود بن المحبر وشعيب بن محرز ، عن عبد الواحد بن زيد ، قال : كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز :

« أما بعد ، يا أمير المؤمنين ، فإنّ طول البقاء إلى فناء ماهو ، فخذ من فنائك الذي لا يبقى ، لبقائك الذي لا يفنى . والسلام » .

فلما قرأ عمر الكتاب بكى وقال : « نصح أبو سعيد وأوجز » .

الموعظة السابعة

قال : حدثنا عون بن معمر قال : كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز :

« سلام عليك ، أما بعد ، فكأنك بالدنيا لم تكن ، وبالآخرة لم تزل » .

وقد رويت لنا هذه الحكاية على وجه آخر :

قال : حدثنا عون بن معمر قال : كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز :

أما بعد ، فكأن آخر من كتب عليه الموت قد مات » .

فكتب اليه عمر بن عبد العزيز :

« أما بعد ، فكأنك بالدنيا لم تكن ، وكأنك بالآخرة لم تزل ، والسلام عليك » .

موعظة طاووس لعمر بن عبد العزيز

قال : حدثنا قحدم أبو بشر قال : حدثني أبي ، عن رياح بن عبيدة ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى طاووس كتاباً يسأله عن بعض ماهو فيه ، فأجابه بشر بعشر كلمات لم يزده عليها حرفاً ، قال : فما رأيت عمر أتاه كتاب كان أعجب اليه منه ، كتب اليه :

سلام عليك يا أمير المؤمنين ! فإن الله ، عز وجل ، أنزل كتاباً ، وأحل فيه حلالاً ، وحرم فيه حراماً ، وضرب فيه أمثالاً . وجعل بعضه محكماً وبعضه متشابهاً . فأحلّ حلالَ الله ، وحرم حرامَ الله ، وتفكّر في أمثال الله ، واعمل بمحكمه ، وآمن بمُتشابهه ، والسلام عليك » .

موعظة سالم بن عبدالله لعمر بن عبدالعزيز

رأيت أن أسير في الناس بسيرة عمر بن الخطاب :

قال : حدثنا الثقة يونس بن جعفر الرقي أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب :

« أما بعد ؛ فإن الله ، تبارك اسمه وتعالى جده ، ابتلاني بما ابتلاني به من أمركم من غير مشورة مني فيه ولا طلب ، إلاّ قضاء من الرحمن الرحيم ، فأسأل الذي ابتلاني بما ابتلاني به من أمر عباده وبلاده ، أن يحسن عوني وعاقبتي ، وعاقبة من ولاني أمره . وقد رأيت أن أسير في الناس بسيرة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، إن قضى الله ذلك واستطعت اليه سبيلا . فابعث إليّ بكتب عمر وقضائه في أهل القبلة وأهل العهد ، فإني متبع أثره ، وسائر بسيرته ، إن شاء الله تعالى . واسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى » .

فأجابه سالم :

« أما بعد ؛ فإن الله ، عز وجل ، خلق الدنيا لما أراد أن يخلقها له ، فجعل لها مدة قصيرة ، كأنّ ما بين أولها وآخرها ساعة من نهار ، ثم قضى عليها وعلى أهلها الفناء فقال : ﴿ كُلُّ شيءٍ هَالِكٌ إلاَّ وجْهَهُ لَهُ الحُكْمُ وإليْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [1] لا يقدر أهلها منها ، ياعمر ، على شيء

(١) سورة القصص ، الآية : ٨٨ .

حتى تفارقهم ويفارقونها ، بعث بذلك رسوله ، وأنزل كتابه ، ضرب في ذلك الأمثال وضرب فيه الوعيد ، جعل دينه في الأولين والآخرين ديناً واحداً ، فلم يختلف رسله ولم يبدل قوله . ثم إنك ، ياعمر ، لست تعدو أن تكون رجلا من بني آدم ، يكفيك ما يكفي لرجل منهم — أو قال رجلاً منهم — من الطعام والشراب ، فاجعل فضل ذلك فيما بينك وبين الرب الذي توجه اليه شكر النعم ، فإنك قد (وليت) أمراً عظيماً ليس يلي عليك أحد دون الله عز وجل ، إن استطعت أن لا تخسر نفسك وأهلك يوم القيامة فافعل ، فإنه قد كان قبلك رجال عملوا ما عملوا : وأحيوا ما أحيوا ، وأتوا ما أتوا ، حتى ولد في ذلك رجال ، ونشأوا فيه ، وظنوا أنها السنة ، فسدوا على الناس أبواب الرخاء ، فلم يسدوا منها باباً إلا فتح عليهم باب بلاء ، فإن استطعت - ولا قوة إلا بالله — أن تفتح على الناس أبواب الرخاء ، فافعل ، فإنك لن تفتح منها باباً إلاً سدّ الله الكريم عنك باب بلاء ، ولا يمنعك من نزع عامل أن تقول : لا أجد من يكفيني عمله ؟ فإنك إذا كنت تنزع لله ، وتستعمل لله ، أتاح الله لك أعواناً فأتاك بهم ، وإنما قدر عون الله إياك بقدر نيتك ، فإن تمت نيتك تم عون الله الكريم إياك ، وإن قصرت نيتك ، قصر من الله العون بحسب ذلك .

واعلم أنه كان قبلك رجال عاينوا هول المطلع ، وعالجوا نزع الموت الذي كانوا منه يفرون ، فانشقت بطونهم التي كانوا لا يشبعون بها ، وانفقأت أعينهم التي كانوا لا تنقطع لذتها ، واندقت رقابهم غير موسدين بعد ما تعلم من تظاهر الفرش والمرافق ، والسرر والخدم ، فصاروا جيفاً في بطون الأراضي تحت مهادها ، والله لو كانوا إلى جانب مسكين لتأذى بريحهم بعد انفاق ما لا يحصى عليهم وعلى خواصهم من الطيب ، كل ذلك إسرافاً . فإنّا لله وإنّا إليه راجعون. ما أعظم الذي ابتليت به وأفظع الذي سيق اليك ، أهل العراق ! أهل العراق ! أبرّهم منك منزلة

مَن لا فقر بك اليه ، ولا غنى بك عنه ، فمن بعثت من عمالك إلى العراق فانهه نهياً شديداً شبيهاً بالعقوبة عن أخذ الأموال وسفك الدماء إلا بحقها . المال المال ، ياعمر ! والدم ، فإنه لا نجاة لك من هول جهنم من عامل بلغك ظلمه ثم لم تغيره . وإنه مَن بعثت من عمالك ، أن يعملوا بمعصية أو أن يحكموا بشبهة ، أو أن يحتكروا على المسلمين بيعاً ، فإنّك إن اجترأت على ذلك ، أُتيَ بك يوم القيامة ذليلاً صغيراً ، وإن تجنبت عنه ، عرفت راحته في سمعك وبصرك وقلبك . كتبت إليَّ تسألني أن أبعث اليك بكتب عمر وبقضائه في أهل القبلة وفي أهل العهد، وإن عمر ، رضي الله عنه، عمل في غير زمانك ، وعمل بغير رجالك ، وإنّك إنْ عملت في زمانك على النحو الذي عمل عمر بن الخطاب في زمانه ، بعد الذي رأيت وبلوت ، رجوت أن تكون أفضل عند الله منزلة من عمر بن الخطاب ، فقل كما قال العبد الصالح : ﴿ومَا تَوْفيقي إلاَّ بالله ِ عليْه ِ توَكَّلْتُ وإليْه أُنيب﴾[1]

قال : حدثنا موسى بن عقبة ، عن سالم بن عبد الله بن عمر ، أن عمر بن عبد العزيز كتب اليه :

« من عبد الله ، عمر ، أمير المؤمنين ، إلى سالم بن عبد الله . سلام عليك . فإني أحمد الله اليك الذي لا إله إلاَّ هو .

أما بعد ؛ فإن الله ابتلاني بما ابتلاني به من أمر هذه الأمة ، من غير مشاورة مني فيها ، ولا طلبة مني لها إلاَّ قضاء الرحمن وقدره ، فأسأل الذي ابتلاني من أمر هذه الأمة ، بما ابتلاني به ، أن يعينني على ما ولاّني ، وأن يرزقني منهم السمع والطاعة وحسن المؤازرة ، وأن يرزقهم مني الرأفة والمعدلة . فإذا أتاك كتابي هذا فابعث إليَّ بكتب عمر بن الخطاب وسيرته ، وقضاياه في أهل القبلة وأهل العهد ، فإني متبع أثر عمر وسائر بسيرته ، إن أعانني الله على ذلك ، والسلام » .

(١) سورة هود ، الآية : ٨٨ .

فكتب سالم بن عبد الله إلى عبد الله . عمر . أمير المومنين :

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ : من سالم بن عبد الله بن عمر ، إلى عبدالله عمر ، أمير المؤمنين . سلام عليك ، فإني أحمد اليك الله الذي لا إله إلاّ هو .

أما بعد ؛ فإن الله خلق الدنيا لما أراد . وجعل لها مدة قصيرة ، كأنّ بين أولها وآخرها ساعة من نهار . ثم قضى عليها وعلى أهلها على شيء فقال : ﴿كلُّ شيء هَالكٌ إلاَّ وجْهَهُ لَهُ الحُكْمُ وإليْه تُرْجعونَ﴾[1] لا يقدرون منها أهلها على شيء حتى تفارقهم ويفارقونها . أنزل بذلك كتابه ، وبعث به رسله ، وقدّم فيه بالوعيد ؛ وضرب فيه الأمثال . ووصل به القول . وشرع فيه دينه في الأولين والآخرين ديناً واحداً . فلم يفرق بين كتبه ، ولم يختلف رسله . ولم يشقِ أحداً من أمره بشيء سعد به أحد ، ولم يسعد أحداً من أمره بشيء شقي به أحد ، وإنّك اليوم ؛ يا عمر ، لم تعدُ أن تكون إنساناً من بني آدم ، يكفيك من الطعام والشراب والكسوة ما يكفي رجلاً منهم . فاجعل فضل ذلك فيما بينك وبين الرب الذي توجه اليه شكر النعم ، فإنّك قد وليت أمراً عظيماً ليس يليه أحد دون الله قد أقصى فيما بينك وبين الخلائق ، فإن استطعت أن تغنم نفسك وأهلك ، ولا تخسر نفسك وأهلك ، فافعل ، ولا قوة إلا بالله . فإنه قد كان قبلك رجال عملوا ما عملوا ؛ وأماتوا ما أماتوا من الحق ، وأحيوا ما أحيوا من الباطل ، حتى ولد فيه رجال ونشؤا فيه . وظنوا أنها السُنّة ولم يسدُّوا على العباد باب رخاء إلاّ فتح الله عليهم باب بلاء ، فإن استطعت أن يفتح عليهم أبواب الرخاء ، فإنك لا تفتح منها باباً إلاّ سدّ به عليك باب بلاء . ولا يمنعك من نزع عامل أن تقول : لا أجد من يكفيني عمله . وإنّك إذا كنت تنزع لله ، وتعمل لله ، أتاح الله لك رجالاً ، وجاءك

---

(١) سورة القصص ، الآية : ٨٨ .

بأعوان ، وإنما العون من الله على قدر النية ، فإذا تمت نية العبد تم عون الله له ، ومن قصرت نيته قصر من الله العون له بقدر ذلك . فإن استطعت أن تأتي الله يوم القيامة ، لا يتبعك أحد بظلم ، ويجيء من كان قبلك وهم غابطون لك بقلة أتباعك ، وأنت غير غابط لهم بكثرة أتباعهم ، فافعل ولا قوة إلاّ بالله . فإنهم قد عاينوا وعالجوا نزع الموت الذي كانوا منه يفرُّون ، وانشقت بطونهم التي كانوا فيها لا يشبعون ، وانفقأت أعينهم التي كانت لا تنقضي [1] لذتها ، واندقت رقابهم في التراب غير موسدين ، بعدما تعلم من تظاهر الفرش والمرافق ، فصاروا جيفاً في بطون الأرض تحت آكامها ، لو كانوا إلى جنب مسكين تأذى بريحهم بعد انفاق ما لا يحصى عليهم من الطيب ، كان اسرافاً وبراراً عن الحق ، فإنا لله وإنّا اليه راجعون . ما أعظم ، ياعمر ، وأفظع الذي سيق اليك من أمر هذة الأمة . وأهل العراق يكونوا من صدرك بمنزلة من لا فقر بك اليه ، ولا غنى بك عنه ، فإنهم قد وليتهم عمالا ظلمة ، قسموا المال ، وسفكوا الدماء ، فانْهَ من تبعث من عمالك كلهم أن يأخذوا بجنة ، ويعملوا بعصبية ، وأن يتجبروا في أعمالهم ، وأن يحتكروا على المسلمين بيعاً ، الله الله يا عمر في ذلك ، فيوشك أن اجترأت على ذلك أن يؤتى بك صغيراً ذليلا ، وإن أنت أتيت ما أمرتك به ، وجدت راحته على ظهرك وسمعك وبصرك .

ثم أنك كتبت إليَّ تسأل أن أبعث اليك بكتب عمر بن الخطاب ، وسيرته وقضائه بين المسلمين وأهل الذمة . وإن عمر ، رحمه الله ، عمل في غير زمانك ، وأنا أرجو ، إن عملت بمثل ما عمل به عمر ، أن تكون عند الله أفضل منزلة من عمر . وقل كما قال العبد الصالح : ﴿ ومَا أُريدُ أنْ أُخالِفَكُم إلى ما أنهاكُم عنْه إنْ أُريدُ إلاّ الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلاّ بالله عليْه توكّلْت وإليْه أُنيب ﴾[2] . والسلام عليك ».

---

(١) في الرواية السابقة : « لا تنقطع » .

(٢) سورة هود ، الآية : ٨٨ .

قال : حدثنا معمر بن سليمان الرقي ، عن الفرات بن سليمان ، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى سالم بن عبد الله :

« سلام عليك ؛ فإني أحمد اليك الله الذي لا إله إلاّ هو .

أما بعد ؛ فإن الله عز وجل ابتلاني بما ابتلاني به من أمر هذه الأمة ، من غير مشورة مني فيها ، ولا طلب مني لها ، إلاّ قدر من الرحمن قدره عليّ ، فأسأل الذي ابتلاني أن يعينني على ما ولاني من عباده وبلاده ، وأن يرزقني فيهم العمل بطاعته ، وأن يرزقهم مني الرأفة والرحمة ، ويرزقني منهم السمع والطاعة وحسن المؤازرة .

فإذا جاءك كتابي هذا فابعث إليّ بكتب عمر وسيرته ، وقضائه في أهل القبلة وأهل الذمة ، فإني سائر بسيرته ، ومتبع أثره إن اللهُ أعانني على ذلك ، إن شاء الله ، والسلام » .

فكتب اليه سالم :

« من سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز سلام عليك ، فإني أحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو .

أما بعد ، فإن الله تعالى خلق الدنيا لما أراد ، فجعل لها مدة قصيرة ، ثم قضى عليها وعلى أهلها الفناء . ثم إنك ، ياعمر ، قد وليت أمراً عظيماً ، فإن استطعت أن لا تخسر نفسك وأهلك يوم القيامة فافعل ، فإنه كان فيما مضى قبلك رجال أماتوا ما أماتوا ، وأحيوا ما أحيوا ، حتى ولد في ذلك رجال ونساء ، وظنوا أنها السُّنّة . فلا يمنعك من نزع عامل أن تقول : لا أجد من يكفيني عمله . فإنك إن كنت تعمل لله ، أتاح الله لك أعواناً ، وإنما قدر العون بقدر النية . وإن استطعت أن تجيء يوم القيامة لا يتبعنّك أحد بمظلمة ، ويجيء من قبلك وهم غابطون لك ، فافعل ؛ فانهم قد عالجوا نزع الموت ، وعاينوا أهوال المطلع ، وانفقأت أعينهم

التي كانت لا تنقضي لذّتها ، وانشقت بطونهم التي كانوا لا يشبعون فيها ، واندقت رقابهم غير متوسدين بعد تظاهر الفرش والمرافق والسرر والخدم ، وصاروا جيفاً في بطون الأرض تحت آكامها ، لو كانوا إلى جنب مساكين تأذوا من ريحهم بعد انفاق ما لا يحصى من الطيب . فإنّا لله وإنّا إليه راجعون . ما أعظم ما ابتليت به ياعمر ! فمن بعثتَ من عمالك فازجره زجراً شديداً شبيهاً بالعقوبة عن أخذ الأموال ، وسفك الدماء إلاّ بحقها . المال المال يا عمر . الدم الدم ياعمر . كتبت إليّ أن أبعث اليك بكتب عمر وسيرته . وإنّ عمر عمل في غير زمانك ، وبغير رجالك ، ووليت في زمن تعلم بعدما عمل . وأنا أرجو إنْ عملتَ على النحو الذي عمل به عمر ، بعدما بلوت من الظلم ، أن تكون أفضل من عمر عند الله . وقل كما قال العبد الصالح : ﴿ ومَا أُريدُ أنْ أُخالِفكم إلى ما أنهاكُم عنْهُ — إلى قوله — أنيب ﴾ [1] .

وقد روى هذا الحديث اسحاق بن سليمان ، عن حنظلة بن أبي سفيان ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى سالم : أن اكتب إليّ ببعض رسائل عمر — فذكر المعنى — .

ورواه علي بن ثابت ، عن جعفر بن برقان ، قال : كتب عمر إلى سالم — فذكره فاقتصرت على ما ذكرت ، لأن المعاني متقاربة — .

---

(١) سورة هود ، الآية : ٨٨ .

موعظة سالم ومحمد بن كعب لعمر

كن كالمداوي جرحاً يصبر على شدة الدواء لما يرجو من الشفاء :

قال : حدثنا روح بن عبادة ، عن عمر بن ذر ، قال : لما استخلف عمر ، دخل عليه سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب ، وهو مكتئب حزين ، فأقبل على أحدهما فقال : « عظني » . فقال :

« يا أمير المؤمنين ! إنّ الله لم يجعل أحداً من خلقه فوقك ، فلا ترض لنفسك أن يكون أحد من خلقه أطوع له منك . واجعل الناس أصنافاً ثلاثة : الكبير بمنزلة الأب ، والوسط بمنزلة الأخ ، والصغير بمنزلة الولد. فبرّ أباك ، وصِلْ أخاك ، واعطف على ولدك . واعلم أنك أول خليفة يموت » .

فأقبل على الآخر فقال : « عظني » ، فقال :

« يا أمير المؤمنين ! إنّ الدنيا عطن مهجور ، وأكل منزوع ، وعرض بلاء ، ومستقر آفات ، يحيط بها الذل ويفنيها الثكل ، لكل فرحة منها ترحة ، ولكل سرور منها غرور ، وقد رغب عنها السعداء ، وانتزعت من أيدي الأشقياء . فكن فيها ، يا أمير المؤمنين ، كالمداوي جرحه ، يصبر على شدة الدواء لما يرجو من الشفاء » .

فبكا عمر وقال : لا حول ولا قوة إلاّ بالله .

موعظة محمد بن كعب لعمر

افتح الأبواب وسهّل الحجاب :

قال : حدثنا حاتم بن الليث — وأخبرنا شيخ من بني سُلَيْم — أن عمر بن عبد العزيز كان عنده هشام بن مصاد ، وكانا يتحدثان ، فذكر عمر شيئاً فبكى ، فأتاه مولاه مزاحم فقال : إنَّ محمد بن كعب القرظي بالباب ، فقال : أدخله . فدخل وعمر يمسح عينيه من الدموع ، فقال له محمد بن كعب . ما أبكاك يا أمير المؤمنين ؟ فقال هشام بن مصاد : أبكاه كذا وكذا ، فقال له محمد :

يا أمير المؤمنين ! إنّما الدنيا سوق من الأسواق ، فمنها خرج الناس بما ضرهم ، ومنها خرجوا بما نفعهم . وكم من قوم غرّهم منها مثل الذي أصبحنا فيه ، حتى أتاهم الموت فاستوعبهم ، فخرجوا منها ملومين ، لم يأخذوا منها لما أحبوا من الآخرة عدة ، ولا لما كرهوا جنة . واقسم ما جمعوا من لم يحمدهم ، وصاروا إلى من لا يعذرهم ، فنحن محقوقون . يا أمير المؤمنين ، إن ننظر إلى تلك الأعمال التي تعطيهم — أو قال تغبطهم — بها فتخلفهم فيها ، وننظر إلى الأعمال التي تتخوف عليهم منها فتكف عنهم . فاتق الله ، يا أمير المؤمنين . واجعل في قلبك سبيل اثنتين : انظر الذي تحب ان يكون معك إذا قدمت على ربك ، عز وجل . فابتغ به البدل حيث لا يؤخذ البدل . ولا تذهبنّ إلى سلعة قد بارت على من كان قبلك ترجو أن تجوز عنك . فاتقِّ الله . يا أمير المؤمنين وافتحِ الأبواب وسهِّل الحجاب ، وانْصر المظلوم ورد الظالم . ثلاث

من كن فيه استكمل الايمان بالله ، عز وجل : من إذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل ، وإذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق ، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له » .

موعظة أخرى لمحمد بن كعب لعمر

قال : حدثنا مروان بن زند الشامي ، عن هشام بن مصاد ، قال : كنت جالساً مع عمر بن عبد العزيز ، فدخل عليه محمد بن كعب فقال له :

« ثلاثٌ ، من كنّ فيه استكمل الايمان : من إذا رضي لم يدخله رضاه الباطل ، وإذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق ، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له » .

موعظة ابي حازم لعمر

قال أبو الحسن علي بن أحمد بن علي ، وأخبرنا يعقوب بن محمد بن عيسى الزهري ، عن عبد العزيز بن أبي حازم ، عن أبيه ، قال : قال لي عمر بن عبد العزيز : « عظني » . فقلت :

« اضطجع ثم اجعل الموت عند رأسك ، ثم انظر ما تحب أن يكون فيك تلك الساعة ، فخذ فيه الآن . وما تكره أن يكون فيك تلك الساعة ، فدعه الآن » .

قال : حدثنا عبد بن محمد القرشي قال : حدثني الحسين بن علي بن عبدالله بن موسى قال : كتب أبو حازم إلى عمر بن عبد العزيز :

« اتق أن تلقى محمداً ، عليه السلام ، وأنت بتبليغ الرسالة له مصدق، وهو عليك ، بسوء الخلافة في أمته ، شهيد » .

موعظة القاسم بن مخيمرة لعمر

قال : حدثنا موسى بن سليمان ، عن القاسم بن مخيمرة ، قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، وفي صدري حديث يتجلجل فيه ، أريد أن أقذفه اليه ، فقلت له : بلغنا أن من ولي على الناس سلطاناً فاحتجب عن فاقتهم وحاجتهم ، احتجب الله عن فاقته وحاجته يوم يلقاه . قال: فقال : ما تقول ؟ ثم أطرق طويلا فعرفتها فيه ، وبرز للناس .

موعظة ابن الاهتم لعمر

رحمه الله تعالى

حال العرب قبل الإسلام وبعده :

قال : حدثنا محمد بن يزيد بن حنديس قال : قال سفيان بن عيينة : دخل ابن الأهتم على عمر بن عبد العزيز فقال : أطربك ؟ قال : لا . قال : فأعظك ؟ قال : نعم . قال : فافتحِ الباب وادخلِ الناس . قال : فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« إنّ الله تبارك وتعالى خلق الخلق ، غنياً عن طاعتهم ، آمناً لمعصيتهم أن تنقصه ، فالناس يومئذ في الحالات والمنازل مختلفون : فالعرب منهم بشرِّ تلك الحال — أهل الوبر والشعر والحجر — لا يتلون كتاباً ، ولا يصلُّون جماعة ، ميتهم في النار ، وحيهم أعمى بشرِّ حال ، مع الذي لا يحصى من عيشهم المزهود فيه والمرغوب عنه . فلما أراد الله أن ينشر فيهم حكمته ، بعث فيهم رسولا من أنفسهم : ﴿ عَزِيزٌ عليْهِ ما عَنِتُّم حَرِيصٌ عليْكُم بالمُؤمنينَ رؤوفٌ رحيمٌ ﴾ [1] . فبلغ محمد رسالة ربه ، ونصح لأمته ، وجاهد لله حق جهاده ، حتى أتاه اليقين . ثم ولي أبو بكر من بعده ، فارتدّتِ العرب — أو من ارتد منها — فحرصوا على أن يقيموا الصلاة ، ولا يؤتوا الزكاة ، فأبى أبو بكرٍ أن يقبل منهم إلا ما كان رسول الله ، ﷺ ، قابلا لو كان حياً ، فلم يزل يخرق أوصالهم ،

(١) سورة التوبة ، الآية : ١٢٨ .

ويسقي الأرض من دمائهم ، حتى أدخلهم في الباب الذي خرجوا منه ، وقررهم على الأمر الذي نفروا منه ، وأوقد في الحرب شعلها ، وحمل أهل الحق على رقاب أهل الباطل ، ثم حضرته الوفاة وقد أصاب من فيء المسلمين سناً لقوحاً كان يرتضخ من لبنها ، وبكراً كان يروي عليه أهله الماء ، وحبشية كانت ترضع ابناً له ، فلم يزل ذلك غصة في حلقه ، وثقلا على كاهله، حتى خرج منه إلى ولي الأمر من بعده عمر بن الخطاب. ثم ولي عمر ، فحسر عن ذراعيه ، وشمر عن ساقيه ، وأعد للامور أقرانها فراضها ، فأذل صعابها ، وترك الأمر فيها إلى يسر ، ثم حضرته الوفاة . وكان قد أصاب من فيء المسلمين شيئاً ، فلم يرض في ذلك بكفالة من أحد من ولده ، حتى باع في ذلك ربعه ، وضم ذلك إلى بيت مال المسلمين . وأيم الله ! ما اجتمعنا من بعدهما (إلا على ظلم) [1] .

امض رحمك الله ولا تلتفت :

ثم أقبل على عمر بن عبد العزيز فقال :

« وأنت يا عمر ! بني الدنيا . غذتك بأطايبها ، وألقمتك ثديها تطلبها من مظانها . تعادي فيها وترضى لها . حتى إذا ما أفضت اليك بأركانها من غير طلب منك لها ، رفضتها ورميت بها حيث رمى الله بها . فامض رحمك الله. ولا تلتفت . فالحمد لله الذي فرج بك كربنا ، ونفس بك غمنا . فإنه لا يذل مع الحق حقير . ولا يكبر مع الباطل عزيز . أقول قولي هذا . وأستغفر الله لي ولكم » .

قال : حدثنا داود بن محبر . عن المبارك بن فضالة . قال : دخل عبد الله بن الأهتم على عمر بن عبد العزيز . وهو جالس على سرير ،

---

(١) كذا في المختصر وفي الأصل « على طلع » .

فحمد الله وأثنى عليه ، ثم أخذ في موعظته الطويلة ، فنزل عمر عن سريره حتى استوى بالأرض ، وجثا على ركبتيه ، وابن الأهتم يقول : « وأنت يا عمر ! وأنت يا عمر ! وأنت ياعمر من أولاد الملوك وأبناء الدنيا ، ولدوا في النعيم وغذوا به ، لا يعرفون غيره » . وعمر يبكي ويقول : « هيه . هيه . يا ابن الأهتم هيه ! » فلم يزل يعظه وعمر يبكي حتى غشي عليه .

موعظة خالد بن صفوان لعمر

لأخافنّه مخافة ولأحبنّه محبة :

قال : حدثنا ابراهيم بن بشار قال : سمعت ابراهيم بن أدهم يقول : بلغني أن عمر بن عبد العزيز قال لخالد بن صفوان : « عظني وأوجز ». فقال خالد بن صفوان :

« يا أمير المؤمنين ! إنّ أقواماً غرهم ستر الله ، وفتنهم حسن الثناء، فلا يغلبن جهلُ غيرك بك علمك بنفسك . أعاذنا الله ، وإياك، أن نكون بالستر مغرورين ، وبثناء الناس مفتونين ، وعما افترض الله علينا متخلفين ، وإلى اللهو مائلين » .

قال : فبكى ، ثم قال : أعاذنا الله ، وإياك ، من اتّباع الهوى .

قال : حدثنا ابراهيم بن بشار قال : سمعت الفضيل يقول : بلغني أن خالد بن صفوان دخل على عمر بن عبد العزيز ، فقال له : « عظني يا خالد » . فقال :

« إنّ الله لم يرض أحداً يكون فوقك ، فلا ترض أن يكونْ أحد أولى بالشكر منك » .

قال ، فبكى عمر حتى غشي عليه ، ثم أفاق ، فقال : هيه ياخالد ، لم يرض أن يكون أحد فوقي ؟ فوالله لأخافنّه خوفاً ، ولأحذرنّه حذراً، ولارجونّه رجاء ، ولأحبنّه محبة ، ولأشكرنّه شكراً ، ولأحمدنّه حمداً يكون ذلك كله غاية طاقتي ، ولاجتهدن في العدل والنصفة ، والزهد في فاني الدنيا لزوالها ، والرغبة في بقاء الآخرة ودوامها ، حتى ألقى الله، عز وجل ، فلعلي أن أنجو مع الناجين ، وأفوز مع الفائزين . وبكى حتى غشي عليه . قال : فتركته مغشياً عليه ، وانصرفت .

موعظة زياد لعمر

ما أحد من أمة محمد إلا وهو خصم لك :

قال : حدثنا عمر بن علي ، عن جويرية بن أسماء ، قال : قدم زياد العبد على عمر فقال له عمر : يا زياد ! ألا ترى ما ابتليت به من أمر أمة محمد ، ﷺ . ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! لا تعمل نفسك في الوصف ، وأعمل نفسك في المخرج مما وقعت فيه ، فلو أن كل شعرة منك نطقت ، ما بلغت كنه ما أنت فيه . ثم قال زياد : يا أمير المؤمنين ! أخبرني عن رجل له خصم ألدّ ما حاله . قال : سيىء الحال !. قال : فان كانا خصمين ألدّين ؟. قال : ذاك أسوأ لحاله . قال : فإن كانوا ثلاثة ؟. قال : ذاك حين لا يهنئه عيش . قال : فوالله يا أمير المؤمنين ، ما أحد من أمة محمد إلا وهو خصم لك . قال : فبكى عمر ، حتى تمنيت أن لا أكون قلت له .

قال : حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن زياد مولى ابن عياش ، قال : لو رأيتني ، ودخلت على عمر في ليلة شاتية ، وبين يديه كانون ، وعمر على كتابه ، فجلست أصطلي ، فلما فرغ من كتابه مشى إلي حتى جلس معي على الكانون ، وهو خليفة ، فقال : زياد ؟ قلت : نعم . قال : قص عليّ . قلت : ما أنا بقاصّ . قال : فتكلم . قلت : زياد . قال : وماله ؟ قلت : لا ينفعه من دخل الجنة إذا أُدخل النار ، ولا يضره من دخل النار إذا أُدخل الجنة . قال : صدقت ، والله ما ينفعك من دخل الجنة إذا دخلت النار ، ولا يضرك من دخل النار إذا دخلت الجنة . قال : فلقد رأيته يبكي حتى أطفأ ذلك الجمر الذي على الكانون .

موعظة سالم مولى محمد بن كعب لعمر

أخاف عليك أن لا تخاف :

قال : حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني قال : حدثني أبي ، عن جدي قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى محمد بن كعب يسأله أن يبيعه غلامه سالماً — وكان عابداً خيراً — فقال : إني قد دبرته ، قال : فأزرنيه ، قال : فأتاه سالم ، فقال عمر : إني قد ابتليت بما ترى ، وأنا والله أتخوف أن لا أنجو . فقال له سالم : إن كنت كما تقول فهذا نجاتك ، وإلاّ فهو الأمر الذي تخاف . فقال : يا سالم ، عِظْنا . قال : آدم ﷺ ، على خطيئة واحدة أُخرِجَ من الجنة . وأنتم ، تعملون الخطايا ترجون تدخلون بها الجنة ؟. ثم سكت .

قال : حدثنا النضر بن زرارة ، عن الثقة ، قال : كان لعمر بن عبد العزيز أخ ، وأخاه في الله سبحانه عبدٌ مملوك يقال له سالم . فلما استخلف ، دعاه ذات يوم فأتاه ، فقال له : يا سالم إني أخاف أن لا أنجو . قال : إن كنت تخاف فنعماً . لكني أخاف عليك أن لا تخاف . قال سالم : إنّ الله أسكن عبدَاً داراً ، فأذنب فيها ذنباً واحداً ، فأخرجه من تلك الدار ، فنحن أصحاب ذنوب كثيرة نريد أن نسكن تلك الدار ؟

موعظة مزاحم لعمر

أحذرك ليلة تمخض بالقيامة :

قال : حدثني نوفل بن عمارة قال : قال عمر بن عبد العزيز : إنّ أول من أيقظني لهذا الشأن مزاحم : حبست رجلاً فجاوزت في حبسه القدر الذي يجب عليه ، فكلمني في إطلاقه ، فقلت : ما أنا بمخرجه حتى أبلغ في الحيطة عليه بما هو أكثر مما مر عليه ، فقال مزاحم :

« يا عمر بن عبد العزيز ! إني أحذرك ليلة تمخض بالقيامة ، في صبيحتها تقوم الساعة . يا عمر ! ولقد كدت أنسى اسمك مما أسمع . قال : الأمير ؛ قال : الأمير » .

فوالله ما هو إلاّ أن قال ذلك ، فكأنما كشف عن وجهي غطاء ، فذكروا أنفسكم ، رحمكم الله ، فإنّ الذكرى تنفع المؤمنين .

موعظة رجل لعمر ، رحمه الله

خاف العالم فلم ينطق ، وجهل الجاهل فلم يسأل :

قال : حدثنا عبدالوهاب قال : سمع عمر بن عبد العزيز برجل من بقايا المسلمين قد فر بدينه ، فسكن الشام ، فكتب إليه يشكو إليه ما ابتلى به من أمر هذه الأمة ، وقلة الأعوان على الحق ، ويطلب المعاونة والمؤازرة على الحق . فكتب إليه :

« وصل إليّ كتابك ، يا أمير المؤمنين ، وفهمت ما ذكرت . وأعلم أنك إنما أصبحت في خلق بال ورسم دارس ، خاف العالم فلم ينطق ، وجهل الجاهل فلم يسأل . وطلبت مني المعاونة والمؤازرة فيما أنعم الله عليّ ، فلن أكون ظهيراً للمجرمين » .

فلما قــرأ عمر الكتاب قال : نظر المسلم لنفسه ، إذ لم ينظــر عمر لنفسه ، وأساء إلى نفسه .

موعظة رجل آخر

قال : حدثني فياض بن محمد الرقي ، عن عبيدة بن حسان السنجاوي ، أن رجلاً من أهل أذربيجان أتى عمر بن عبد العزيز ، فقام بين يديه ، فقال :

« يا أمير المؤمنين ! اذكر بمقامي هذا مقاماً لا تشغل الله عنك فيه

كثرة من يخاصم من الخلائق ، يوم تلقاه بلا ثقة من العمل ، ولا براءة من الذنب » .

قال : فبكى بكاء شديداً ، ثم قال : ويحك ! أردد عليَّ كلامك هذا ،. فجعل يردده عليه ، وعمر يبكي وينتحب . ثم قال : ما حاجتك ؟ قال : إن عامل أذربيجان عدا عليّ ، فأخذ مني إثنا عشر ألف درهم ، فجعلها في بيت المال . فقال عمر : اكتبوا له الساعة ، إلى عاملها ، حتى يرد عليه [1] .

---

(١) سبق هذا في ص ٩٢ — ٩٣ .

ذكر ما وعظ به عمر بن عبد العزيز من الشعر

قصيدة سابق البربري :

قال : حدثنا أحمد بن جعفر المنادي قال : استرويت من أبي سليمان أحمد ابن عبدالله الجواليقي قال : قال سابق البربري لعمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه :

بسم الذي أنزلت من عنده السُّور ... والحمد لله . أما بعد يا عمر
إن كنت تعلم ما تأتي وما تذر ... فكن على حذرٍ ، قد ينفع الحذر
واصبر على القدر المجلوب وارضَ به ... وإن أتاك بما لا تشتهي القدر
فما صفا لامرء عيشٌ يُسرُّ به ... إلاّ سيتبع ، يوماً ، صفوه كدر
واستخبرِ الناس عمّا أنت جاهله ... إذا عميت ،فقد يجلو العمى الخبر
قد يرعوي المرء يوماً بعد هفوته ... وتحكم الجاهل الأيامَ والغِيَر[1]
إن ّالتقى خير زادٍ أنت حامله ... والبر أفضل شيء ناله بَشَر
من يطلب الجور لايظّفر بحاجته ... وطالب الحقّ قد يهدى له الظفر
وفي الهدى عبرٌ تشفى القلوب بها ... كالغيث ينضر عن وسميّه الشجر
وليس ذو العلم بالتقوى كجاهلها ... ولا البصير كأعمى ما له بصر
والرشد نافلة تُهدى لصاحبها ... والغيُّ يكره منه الورد والصدر
قد يوبق المرء أمرٌ وهو يحقره ... والشيء،يانفس،ينمي وهو يُحتقر

---

(١) خ . العبر .

لا يشبع النفس شيء حين تحرزه … ولا يزال لها في غيره وطـر
ولا تزال، وإن كانت لها سعةٌ، … لها إلى الشيء لم تظفر به نظـر
وكل شيء لـه حـال تغيّره … كما تغير لون اللّمة الغِيَـر
والذكر فيه حياة القلـوب كما … يُحيي البلاد ،إذا ما ماتت المطر
والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه … كما يجلّي سوادَ الظلمة القمر
لا ينفع الذّكْر قلباً قاسياً أبداً … وهل يلين لقول ِ الواعظ ِ الحجر؟
والموت جسرٌ لمن يمشي على قدم ٍ … إلى الأمور التي تُخشى وتُنتظر
فهم يمرون أفواجـاً وتجمعهـم … دار إليها يصير البدوُ والحضرُ
من كان في معقل للحرز أسلمـه … أو كان في خمر ٍ ، لم ينجه[1] خمر
حتى متى أنا في الدنيا أخو كلف ٍ … في الخد مني إلى لذّاتها صَعَرُ
ولا أرى أثراً للذّكر في جسدي[2] … والماء[3] في الحجر القاسي ،له أثرُ
لو كان يسهرُ عيني ذكرُ آخرتي … كما يؤرقني للعاجل السهـرُ
إذاً لداويت قلباً قد أضرّ بــه … طولُ السقام ووَهنُ[4] العظم ينجبرُ
ما يلبث الشيء أن يبلى إذا اختلفت … يوماً على نقضه الروحات والبكرُ
والمرء يصعد ريعانُ الشباب بـه … وكل مصعدة يومـاً ستنحـدرُ
وكل بيت ٍ خراب بعـد جدتـه … ومن وراء الشباب الموت والكبرُ
بينا يُرى الغصنُ لدناً في أرومته … ريان ، أضحى حطاماً جوفه نخرُ
كم من جميع أشتّ الدهر شملهم … وكل شمل ٍ جميع سوف ينتثرُ
وربّ أصيدَ سامي الطرف معتصب … بالتاج ، نيرانه للحرب[5] تستعرُ
يظلُّ مفترشَ الديباج ، محتجباً … عليه تبنى قباب الملك والحجرُ
قد غادرته المنايا وهو مستلـبٌ … مجدلٌ ، تربَ الخدّين ، منعفرُ
أبعد آدم ترجون البقاء؟ وهـل … تبقى فروعٌ لأصل ٍ حين ينعقرُ[6]؟
لهم بيوت بمستن السيول ، وهل … يبقى على الماء بيتٌ أسُّه مدرُ ؟

(١) خ : لم ينفع الخمر .
(٢) خ : خلدي .
(٣) خ : والحبل .
(٤) خ : وهيض .
(٥) خ: بالحرب .
(٦) في الهامش : صوابه ينقعر .

إلى الفناء ،وإن طالت سلامتُهُم ... مصيرُ كل بني أُنثى ، وإنْ كثروا
إنّ الأمورَ إذا استقبلتها اشتبهت ... وفي تدبرها [1] التبيان والعبرُ
والمرء ماعاش في الدنيا له أمــلٌ ... إذا انقضى سفرٌ منها،أتى سفرُ
لها حلاوةُ عيشٍ غير دائمــة ... وفي العواقب منها المرُّ والصبرُ
إذا انقضت زُمرٌ آجالها نزلتْ ، ... على منازلها من بعدها ، زُمرُ
وليس يزجركم ما تُوعظون به ... والبُهم يزجرها الراعي فتنزجرُ
أصبحتم جزراً للموت يقبضكــم ... كما البهائم في الدنيا لها جــزرُ
لاتبطروا ،واهجروا الدنيا فإنّ لها ... غبّاً وخيماً،وكفرُ النعمة البطرُ
ثم اقتدوا بالألى كانوا لكم غُرراً ... وليس من أمّة إلاّ لها غُرَرُ
حتّى تكونوا على منهاج أولكم ... وتصبروا عن هوى الدنيا كماصبروا
مالي أرى الناس والدنيا مولّيــة ... وكل حبل عليها سوف ينبــتر ؟
لا يشعرون بما في دينهم نقصوا ... جهلاً ،وإن نقصت دنياهم شعروا

قال : حدثنا عبد الرحمن بن المغيرة ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه . قال : كتب عبيد الله بن عبد الله ، عن عتبة ، إلى عمر بن عبد العزيز :

بسم الذي أنزلت من عنده السور ....

فذكر أربعة أبيات من أول هذه القصيدة :

من شعر سابق البربري في موعظة عمر :

قال : حدثنا حماد بن الوليد قال : سمعت عمر بن ذر بلغه عن ميمون ابن مهران قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز يوماً ، وعنده سابق البربري وهو ينشده شعراً ، فانتهى في شعره إلى هذه الأبيات :

---

(١) خ : وقد تدبرها .

فكم من صحيح بات للموت آمناً أتته المنايا بغتة بعد ما هجعْ
فلم يستطع ،إذ جاءه الموت آمناً ، فراراً، ولا منه بقوته امتنعْ
فأصبح تبكيه النساء مقنّعاً ولا يسمع الدّاعي،وإن صوته رفعْ
وقُرِّبَ من لحد ، فصار مقيلُهُ وفارق ما قد كان في أمسه جمعْ
فلا يترك الموتُ الغنيّ لمالِه ولا معدماً في المال، ذا حاجة، يدعْ

زاد أبو نعيم : فلم يزل عمر يبكي ويضطرب ، حتى غشي عليه ، فقمنا فانصرفنا عنه .

قال : حدثنا عثمان بن عبد الحميد قال : دخل سابق البربري على عمر بن عبد العزيز فقال له عمر : « عظني ياسابق ، وأوجز » . قال : نعم ، يا أمير المؤمنين ، وأبلغ إن شاء الله تعالى . قال : هات .فأنشده هذه الأبيات :

إذا أنت لم ترحل بزادٍ من التُّقى ووافيتَ بعد الموت من قد تزوّدا
ندمت على أن لا تكونَ شريكه وأرصدت قبل الموت ما كان أرصدا

فبكى عمر حتى سقط مغشياً عليه . والله أعلم وأحكم .

الباب الثاني والعشرون[1]

في ذكر لباسه وهيئته ، رحمه الله

قال : حدثني أحمد بن الحارث بن المبارك ، عن علي بن محمد البصري ، عن شيخ من قريش ، قال : كان عمر بن عبد العزيز يقول قبل الخلافة : « لقد خفت أن يعجز ما قسم الله لي عن كسوتي ، وما لبست ثوباً قط فرآه الناس عليّ إلاّ خيل لي أنه قد بلي » . فلما ولي خرج من ذلك كله .

أفضل القصد عند الجدة ، وأفضل العفو عند المقدرة :

قال أبو بكر بن عبيد : وحدثني سعيد بن سويد ، عن حرس عمر ابن عبد العزيز ، قال : صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ، ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه . فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ! إن الله ، عز وجل ، قد أعطاك ، فلو لبست !؟ فنكس ملياً ثم رفع رأسه (فقال) : « إنّ أفضل القصد عند الجِدّة ، وأفضل العفو عند المقدرة » .

قال : حدثنا خالد بن اسماعيل ، عن جعفر بن محمد ، عن سفيان بن عاصم ، قال : كان عمر بن عبد العزيز دقيق الوجه حسنُهُ ، نحيف الجسم ، حسن اللحية ، غائر العينين ، بجبهته شجة [2] ، قد وخطه الشيب .

---

(١) هذا الباب محذوف من المختصر .

(٢) راجع ص ١١ .

قال : حدثنا جرير بن حازم ، عن يعلى بن حكيم ، قال : كانت أردية عمر بن عبد العزيز ستة أذرع وشبراً في سبعة أشبار .

قال : أخبرني رجاء بن حيوة قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز قوموا ثيابه اثنا عشر درهماً : كمته وعمامته وقميصه وقباءه وقرطقه وخفيه ورداءه .

قال : وحدثنا أبو بكر بن عياش قال : قال عاصم : دخلت على عمر بن عبد العزيز وعليه ثياب غسيلة قومتها بستين درهماً .

قال : حدثنا ، هقل[1] ، عن الأوزاعي ، قال : كان عمر بن عبد العزيز يقول : « قص الشارب إلى الاطار » .

قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم ، قال : كان عمر يؤم الناس في جبة وساج ليس عليه إزار .

قال : حدثنا عبيد الله — هو ابن عمر — قال : سمعت شيخاً كان في حرس عمر بن عبد العزيز قال : رأيت عمر بن عبد العزيز (حين ولي) ، وبه من حسن اللون وجودة الثياب والبزة . ثم دخلت عليه بعدُ وقد ولي ، فإذا هو قد احترق واسود ، ولصق جلده بعظمه ، حتى ليس بين الجلد والعظم لحم ، وإذا عليه قلنسوة بيضاء قد اجتمع قطنها ، يعلم أنها قد غسلت ، وعليه سحق انبجانية قد خرج سداها ، وهو على شاذكونة قد لصقت بالأرض ، تحت الشاذكونة عباءة قطوانية من مشاقة الصوف [2] .

قال : حدثنا حازم قال : حدثني رجل ، يقال له زيد ، قال : جاء عمر بن عبد العزيز يوم عيد راكباً ، فنزل ثم جاء يمشي ، وعليه

(١) هو هقل بن زياد السكسكي ، كاتب الأوزاعي . (الكاشف : ١٩٨/٣) رقم ٦٠٨٧ .
(٢) سبق هذا في ص ٧١ .

جبة محشوة بيضاء ، وعليه شامية صفيقة ، وسراويل يمنة ، وخفان ساذجان.

قال : حدثنا عيسى بن يونس ، عن الاوزاعي ، عن عمر بن مهاجر ، قال : كان قميص عمر بن عبد العزيز فيما بين الكعب والشراك .

يكفي الرجل من الكلام قدر ما يسمع :

قال : حدثنا عاصم بن بهدله قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، وعليه ثياب غسيلة ، فقومتها ثمانين درهماً مع عمامة كانت عليه ، وعنده رجل رافعٌ صوته . فقال له عمر : اخفض من صوتك ، فإنما يكفي الرجل من الكلام قدر ما يسمع

قال : حدثنا الحكم بن عمر الرعني ، أبو سليمان ، قال : شهدت عمر بن عبد العزيز ، وأنا ابن عشرين سنة – وقد هلك عمر منذ اثنتين وسبعين سنة – ورأيت عمر قد وخطه الشيب ولم يخضب ، ورأيته لا يخفي شاربه ، ورأيت خاتم عمر بن عبد العزيز من فضة ، وفصه من فضة مربع ، قال الحكم : درس فنقشته أنا كلأ البر يعزه عمر . قال : ورأيت على عمر قلنسوة بيضاء لاطية برأسه ، وعمامة غليظة يعتم بها ، ورأيته وعليه قميص قطري كتان ، ثمن دينار ودرهمين ، وملاءة قرقيتة مثل ذلك في الصيف . وكان عليه في الشتاء طيلسان ، لا أراه إلاً دباوندي سخيف . ورأيت عليه جبة مبطنة بفراء مكان القطن ، وفوق الجبة ثوب أبيض ظهارة وبطانة .

كان نقش خاتم عمر (لكل عمل ثواب) :

قال : حدثنا الحكم بن عمر قال : رأيت خاتم عمر بن عبد العزيز من فضة ، وفصه من فضة مربع .

قال : حدثنا الضحاك بن زمل قال : كان نقش خاتم عمر ن عبد العزيز « لكل عمل ثواب » .

قال : حدثنا اسماعيل بن عياش ، عن عمر بن مهاجر ، قهرمان عمر بن عبد العزيز ، قال : كان خاتم عمر بن عبد العزيز : « الوفاء » .

قال : حدثنا عبيد الله بن يعقوب بن يونس الكاهلي قال : كان عمر بن عبد العزيز يلبس الفرو الغليظ ، وكان سراجه على ثلاث قصبات ، فوقهن طين .

قال : حدثنا ابن شوذب ، عن رياح بن عبيدة [1] قال : كنت أتجر ، فقال لي عمر بن عبد العزيز : يارياح ، اتخذ لي كساءين خزاً ، أتخذ أحدهما مجلساً ، والآخر شعاراً ، ففعلت ، فصبغتهما بالبصرة فلم آل ، ثم قدمت بهما عليه ، فأمر بقبضهما . فلما أصبح غدوت عليه فقال لي يارياح ! ما أجود ثوبيك لولا خشونة فيهما . فلما ولي قال لي : يارياح اتخذ لي من هذه الجباب الهروية ، فاشتريت له ثلاث شقاق ، فقطعت من الثلاث جبتين . ثم أتيت بهما اليه ، فقبضهما ، فقال : يارياح ! ما أحسن ثوبيك لولا لين فيهما،قال : فذكرت قوله الأول وقوله الآخر .

قال : حدثنا محمد بن صالح قال : رأيت على عمر بن عبد العزيز ، بدير سمعان ، قميصاً من شعر مما يلي جسده ، طوله إلى الركبتين ، كمه إلى المرفقين .

أنتظر ثيابي تغسل لأصعد بها المنبر :

قال : حدثنا نعيم قال : قلت لعمر بن عبد العزيز : ما يقعدك هاهنا ؟ قال : أنتظر ثيابي تغسل لأصعد بها المنبر . قلت : وما هي ؟ قال : قميص وازار ورداء ، قيمتهن أربعة عشر درهماً .

قال : حدثنا يحيى بن سعيد العطار ، عن عتبة بن المنذر ، قال : رأيت أبا أمامة ، وأبا رهم ، وعمر بن عبد العزيز ، عليهم قلانس بيض صغار .

---

(١) راجع ص ١٧٩ .

قال : حدثنا اسماعيل بن عياش قال : قلت لعمرو بن مهاجر ، صاحب حرس عمر : ما كان عمر يلبس في بيته ؟ قال : جبة سوداء مبطنة.

قال : حدثنا محمد بن هلال قال : رأيت عمر بن عبد العزيز لا يحفي شارته جداً ، يأخذ منه أخذاً حسناً .

قال : حدثنا محمد بن ابراهيم ، أبو أمية ، غلام عمر بن عبد العزيز ، قال : دخلت مع عمر الحمام يوماً ، فأطلى ، فولى مغابنه بيده .

الباب الثالث والعشرون

في ذكر زهده

قال : حدثنا عبد الله بن كثير قال : قيل لعمر بن عبد العزيز : ما كان بدء إنابتك ؟ قال : أردت ضرب غلام لي ، فقال لي : ياعمر ! أذكر ليلة صبيحتها يوم القيامة .

قال : حدثنا ابن عياش ، عن محمد بن المهاجر ، عن العباس بن سالم اللخمي ، قال : بعث عمر بن عبد العزيز إلى أبي سلام الحبشي ، فحمل اليه على البريد ليسأله عن الحوض ؛ فقدمت اليه فسألته ، فقال : سمعت ثوبان يقول : سمعت رسول الله ، ﷺ ، يقول : « إن حوضي ما بين عدن إلى عمان البلقاء ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأكاويبه عدد النجوم ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً. أول الناس وروداً عليه : فقراء المهاجرين . فقال عمر بن الخطاب : من هم يارسول الله ؟ قال : هم الشعث رؤوساً ، الدنس ثياباً ، الذين لا ينكحون المنعمات ، ولا تفتح لهم أبواب السدد » . فقال عمر بن عبد العزيز : لقد نكحت المتنعمات ، وفتحت لي أبواب السدد ، إلاّ أن يرحمني الله لا جرم ، لا أدهن رأسي حتى يشعث ، ولا أغسل ثوبي الذي يلي جسدي حتى يتسخ [1] .

قال : حدثنا مروان بن معاوية ، عن أبي داود الروقي [2] قال :

---

(١) راجع ص ٣٣ .

(٢) في المختصر « الرومي » .

قال رجل لعمر : ألا نصنع لك دواء يشهيك الطعام ؟ قال : وما أصنع به ؟ فوالله إني لأدخل المخرج فيؤذيني ما يخرج مني . قيل : أفلا نصنع لك دواء يشهيك النساء ؟ قال : وما أصنع به ؟ فوالله لربما كان ذلك ، فأجد لذلك غفلة وشرة .

تلك حال وهذه حال :

قال : حدثني يعقوب ، عن أبيه . قال : كان عمر بن عبد العزيز يذيل ثيابه ، ويسرف في عطره ، فلقد كان يدخل في طيبه حمل القرنفل . ولقد رأيت العنبر على لحيته كالملح . فلما أفضت اليه الخلافة ترك ذلك وتبذل . قال : فأخبرني رياح بن عبيدة . وكان تاجراً من أهل البصرة يعامل عمر بن عبد العزيز ، يأمره وهو بالمدينة أن يشتري له جبة خز ، قال : فاشتريتها بعشرة دنانير ، ثم أتيته بها فمسها . وقال : إني لأستخشنها. فلما ولي الخلافة أمرني فاشتريت له جبة صوف بدينار ، فأتيته بها فجعل يدخل يده فيها ويقول : ما ألينها . فقلت : عجباً ! تستخشن الخز أمس وتستلين الصوف اليوم ؟ قال : تلك حال ، وهذه حال .

أين عيشنا اليوم من عيشنا إذ كنا بمصر :

قال : حدثنا ابن وهب قال : حدثني مالك . عن أبي صعصعة أنه كان يحدث عمر بن عبد العزيز عن مغازي القسطنطينية . قال : فيبكي عمر بكاء شديداً . قال : وقال مالك : إنّ عمر بن عبد العريز قال ذات ليلة ، ومعه مزاحم ، ورجل يقال له : ابن مافنة . قال : فدخل عمر بيته . ثم قال لمزاحم : ائذن لابن مافنة ، فأذن له . قال : فدخلت عليه . فإذا بمائدة عليها صحفة مخمرة بمنديل ، وعمر قائم يركع . قال : فركع ركعتين ، ثم أقبل فجلس ، فاجتذب المائدة بيده ، ثم قال لي : كُلْ . أين عيشنا اليوم من عيشنا إذ كنا بمصر ؟ قال : فقلت له : لا شيء ، يا أمير المؤمنين ! فقال عمر : لقد رأيتني وكنا . لو ضافني

أهل قرية لوجدت ما يعمهم . ثم قال : أين عيشنا هذا من عيشنا بالمدينة ؟ ثم استبكى . قال : فناداه مزاحم أن : قم . قال : فقمت . قال : فأخبرني من الغد أنه إذا أصابه مثل هذا لم يعد إلى طعامه . قال مالك : وهذا يعجبني من فعل عمر ، أن يخدم الانسان نفسه .

قال : حدثنا يعقوب قال : أخبرني رجاء بن حيوة قال : كان عمر ابن عبد العزيز من أعطر الناس ، وألبس الناس ، وأخيلهم في مشيته . فلما استخلف قوموا ثيابه اثنا عشر درهماً : كمته وعمامته وقميصه وقباءه وقرطقه وخفيه ورداءه .

قال : حدثنا أبو بكر بن عياش قال : قال عاصم : دخلت على عمر بن عبد العزيز وعليه ثياب غسيلة ، فقومتها ستين درهماً .

قال : حدثنا حماد ، عن حميد ، قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز بكى ، وقال : يا قلابة -!-هل تخشى عليّ ؟ قال : كيف حبك الدرهم ؟ قال : لا أحبه . قال : فلا تخف ! إنّ الله سيغيثك .

قال حنبل ابن اسحاق : وأنبأنا أبو أسامة ، عن عيسى بن سنان ، قال : كان عمر بن عبد العزيز لا يبني بناء . ويقول : سنة رسول الله ، ﷺ ، خرج من الدنيا ولم يضع لبنة على لبنة ، ولا قصبة على قصبة .

يا بني هذا طعام مولاك أمير المؤمنين :

قال هقل عن الأوزاعي ، عن نعيم بن سلامة ، قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز وهو يأكل ثوماً بدقة وزيت .

قال : حدثنا عيسى بن يونس ، عن الأوزاعي ، عن أبي عبيد ، حاجب سليمان ، عن نعيم بن سلامة ، قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز فوجدته يأكل ثوماً مسلوقاً بزيت وملح .

قال ضمرة ، عن ابن شوذب قال : دخلت امرأة من المهالبة على فاطمة ، امرأة عمر بن عبد العزيز ، فلما رأتها ورأت حالها . قالت لها : هل تهيأ المرأة لزوجها إلا بما يحب ؟ قالت : لا . قالت : فإنه يحب هذا مني .

قال : حدثنا سهل بن عاصم ، عن خلاد بن بزيع ، عن سهيل أخي حرم قال سمعت مالك بن دينار يقول : قال عمر بن عبد العزيز : ما تركت من الدنيا شيئاً إلاّ عقبني في قلبي ما هو أفضل منه — يعني من الزهد — وما أنعم الله عليّ في ديني أفضل .

قال : حدثنا أبو أمية ، غلام عمر بن عبد العزيز ، قال : دخلت يوماً على مولاتي فغدتني عدساً ، فقلت : « كل يوم عدس » ؟ قالت : « يا بني ! هذا طعام مولاك أمير المؤمنين » .

قال : حدثنا يونس بن أبي شبيب قال : شهدت عمر بن عبد العزيز وهو يطوف بالبيت ، وإن حجزة ازاره لغائبة في عكنه ، [1] ، ثم رأيته بعدما استخلف ، ولو شئت أن أعد أضلاعه من غير أن أمسها لفعلت .

الجزء السادس :

والله ما له قميص غيره :

قال : حدثنا محمد بن عبد الله العبدي قال : كتب إليّ أبو حارثة أحمد بن ابراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى الغساني قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن مسلمة ، قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز أعوده في مرضه ، فإذا عليه قميص وسخ ، فقلت لفاطمة

(١) جمع عكنة وهي الطي الذي في البطن من السمن .

بنت عبد الملك : يا فاطمة ! اغسلي قميص أمير المؤمنين . قالت : نفعل ، إن شاء الله . ثم غدوت فإذا القميص على حاله ، فقلت : يافاطمة ! ألم آمركم أن تغسلوا قميص أمير المؤمنين ؟ فإن الناس يعودونه . قالت : « والله ، ما له قميص غيره » .

قال : حدثنا عمارة بن أبي حفصة قال : دخلت على عمر في مرضه وعليه قميص قد اتسخ جيبه ، وتخرق . فدخل مسلمة فقال لأخته فاطمة امرأة عمر : ناوليني قميصاً غير هذا حتى يلبسه أمير المؤمنين ، فإن الناس يدخلون عليه . فقال عمر : « دعها يا مسلمة ، فما أصبح ولا أمسى لأمير المؤمنين ثوب غير الذي يرى عليه » .

قال : حدثنا سعيد بن مسلمة ، عن أبي بشر ، مولى مسلمة بن عبد الملك ، عن مسلمة ، قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز في اليوم الذي مات فيه ، وفاطمة بنت عبد الملك جالسة عند رأسه ، فلما رأتني تحولت وجلست عند رجليه ، وجلست أنا عند رأسه ، فإذا عليه قميص وسخ ، مخرق الجيب ، فقلت لها : لو أبدلتم هذا القميص . فسكتت ، ثم أعدت القول عليها مراراً حتى غلظت . فقالت : « والله ما له قميص غيره » .

قال : حدثنا عبد الله بن ادريس ، عن أبيه ، عن أزهر ، قال : رأيت عمر بن عبد العزيز بخناصرة يخطب الناس عليه قميص مرقوع .

قال : حدثنا ربيعة بن عطاء ، عن عمر بن عبد العزيز أنه أخر الجمعة يوماً عن وقته الذي كان يصلي فيه ، فقلت له : أخرت الجمعة عن وقتك؟ فقال : إن الغلام ذهب بالثياب يغسلها ، فحبس بها . فعرفنا أن ليس له غيرها ، ثم قال : أما إني قد رأيتني ، وأنا بالمدينة ، وإني لأخاف أن يعجز ما رزقني الله عن كسوتي فقط . ثم تمثل بهذا البيت :

قضى ما قضى فيما مضى ثم لم تكن   له عودة أخرى الليالي الغوابر [1]

---

(١) سبق هذا بلفظ آخر في ص ٦٤ .

قال : حدثني سعيد بن سويد أن عمر بن عبد العزيز صلى بهم الجمعة ، ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه . فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ! إنّ الله قد أعطاك ، فلو لبست ، فنكس ملياً ، ثم رفع رأسه ، فقال : إنّ أفضل القصد عند الجدة ، وأفضل العفو عند المقدرة [1] .

يا فاطمة عندك درهم أشتري به عنباً ؟

قال : حدثنا سعيد بن عامر ، عن عون بن المعمّر ، قال : دخل عمر بن عبد العزيز على امرأته فقال : يافاطمة ! عندك درهم أشتّري به عنباً ؟ قالت : لا . قال : فعندك ثمنه – يعني الفلوس – نشتري به عنباً ؟ فأقبلت عليه فقالت : أنت أمير المؤمنين لا تقدر على درهم ولا ثمنه تشتّري به عنباً ؟ فقال : هذا أهون علينا من معالجة الأغلال في جهنم .

قال : حدثنا الحكم بن عمر الرعيني قال : شهدت عمر حين جاءه أصحاب المراكب يسألونه العلوفة ورزق خدمها . قال : وكم هي ؟ قالوا : هي كذا وكذا . قال : أبعث بها إلى أمصار الشام يبيعونها فيمن يريد ، واجعل أثمانها في مال الله ، عز وجل ، تكفيني بغلّتي هذه الشهباء. وجاءه صاحب الرقيق يسأل أرزاقهم وكسوتهم وما يصلحهم . فقال عمر : كم هم ؟ قال : هم كذا وكذا ألفاً . فكتب إلى أمصار الشام أن : ارفعوا إليّ كل أعمى في الديوان ، أو مقعد ، أو من به فالج ، أو من به زمانة ، تحول بينه وبين القيام إلى الصلاة . فرفعوا اليه . فأمر لكل أعمى بقائد ، وأمر لكل اثنين من الزمنى بخادم . وفضل من الرقيق ، فكتب أن ارفعوا إليّ كل يتيم ومن لا أحد له ممن قد جرى على والده الديوان ، فأمر لكل خمسة بخادم يتوزعونه بينهم بالسوية .

---

(١) سبق هذا في ص ١٧٣ .

أويس القرني أزهد أم عمر ؟

قال : حدثنا قطر بن حماد بن واقد قال : أخبرنا أبي قال : سمعت مالك بن دينار يقول : الناس يقولون مالك بن دينار زاهد . إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز الذي أتته الدنيا فتركها .

قال : حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال : سمعت أبا سليمان الداراني ، وأبا صفوان يتناظران في عمر بن عبد العزيز . وأويس القرني . قال أبو سليمان لأبي صفوان : كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أويس . قال له : ولِمَ ؟ قال : لأن عمر ملك الدنيا فزهد فيها . فقال له أبو صفوان : وأويس . لو ملكها لزهد فيها مثل ما فعل عمر . فقال أبو سليمان : لا تجعل من جرب كمن لم يجرب . إن من جرت الدنيا على يديه ليس لها في قلبه موقع . أفضل ممن لم تجر على يديه ، وإن لم يكن لها في قلبه موقع .

قال : حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال : حدثني الزبير بن بكار قال : أتى عمر بن عبد العزيز منزله فقال : هل عندكم من طعام ؟ فأصاب تمراً وشرب ماء وقال : من أدخله بطنه النار فأبعده الله .

أين موجدتك بي يا أمير المؤمنين :

قال : حدثنا اسحاق بن ابراهيم ، عن الهيثم بن عدي ، قال : كانت لفاطمة ، ابنة عبد الملك بن مروان ، زوجة عمر بن عبد العزيز . جارية ذات جمال فائق ، وكان عمر . رحمه الله . معجباً بها قبل أن تفضي اليه الخلافة ، فطلبها منها ، وحرص فأبت دفعها اليه . وغارت من ذلك ، فلم تزل في نفس عمر ، فلما استخلف آمرت فاطمة بالجارية . فأصلحت ثم حليت ، فكانت حديثاً في حسنها وجمالها ، ثم دخلت فاطمة بالجارية على عمر فقالت : يا أمير المؤمنين ! إنك كنت معجباً بفلانة ،

جاريتي ، وسألتينيها فأبيت ذلك عليك ، فإن نفسي طابت لك بها اليوم ، فدونكها . فلما قالت ذلك ، استبانت الفرح في وجهه ، ثم قال : ابعثي بها إليَّ . ففعلت ، فلما دخلت عليه ، نظر إلى شيء أعجبه ، فازداد بها عجباً ، فقال لها : ألقي ثوبك . فلما همت أن تفعل . قال : على رسلك ، اقعدي أخبريني لمن كنت ؟ ومن أين أنت لفاطمة ؟ قالت : كان الحجاج ابن يوسف أغرم عاملا كان له من أهل الكوفة مالاً ، وكنت في رقيق ذلك العامل ، فاستصفاني مع رقيق له وأموال ، فبعث بي إلى عبد الملك ابن مروان ، وأنا يومئذ صبية ، فوهبني عبد الملك لابنته فاطمة . قال : وما فعل ذلك العامل ؟ قالت : هلك . قال : وما ترك ولداً ؟ قالت : بلى . قال : وما حالهم ؟ قالت : سيئة . قال : شدي عليك ثيابك . ثم كتب إلى عبد الحميد ، عامله ، أن سرح إليَّ فلاناً بن فلان على البريد . فلما قدم قال له : ارفع إليَّ جميع ما أغرم الحجاج أباك . فلم يرفع اليه شيئاً إلاَّ دفعه إليه ، ثم أمر بالجارية فدفعت اليه ، فلما أخذ بيدها قال : إياك وإياها ، فإنك حديث السن ، ولعل أباك أن يكون قد وطئها . فقال الغلام : يا أمير المؤمنين ! هي لك . فقال : لا حاجة لي فيها . قال : فابتعها مني . قال : لست اذن ممن ينهي النفس عن الهوى . فمضى بها الفتى فقالت الجارية : فأين موجدتك بي يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إنها لعلى حالها ولقد ازدادت ، فلم تزل الجارية في نفس عمر حتى مات .

قال : حدثنا ابراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى قال : حدثني أبي ، عن جدي : قال : كانت لفاطمة بنت عبد الملك ، امرأة عمر بن عبد العزيز ، جارية ، فبعثت بها اليه وقالت : إني قد كنت أعلم إنها تعجبك ، وقد وهبتها لك ، فتناول منها حاجتك . فقال لها عمر : اجلسي ياجارية ، فوالله ما من شيء من الدنيا كان أعجب إليَّ أن أناله منك ، فأخبريني ما كان من سببك . قالت : كنت جارية من البربر ، حتى أتى حسان فهرب من موسى بن نصير ، عامل عبد الملك على أفريقية ، فأخذني موسى بن نصير ، فبعثني إلى عبد الملك ، فوهبني عبد الملك لفاطمة ،

فأرسلت بي اليك ، فقال : كذنا ، والله ، أن نفتضح ، فجهزها وأرسل بها إلى أهلها .

قال : حدثنا أبو داود الروقي قال : كان لعمر بن عبد العزيز درجة . فيها مرقاة ، فيها لبنة تحرك . فكان كلما صعد عمر أو نزل ارتاع منها . فعمد مولى له فشدها بطين . فلما صعد عمر لم يرها ، فسأل عنها ، فقال له مولاه : رأيتك ترتاع منها ، فشددتها بطين . فقال عمر : اقلع الطين ؛ فإني أعطيت الله عهداً إن وليت هذا الأمر أن لا أضع لبنة على لبنة ؛ ولا آجرة على آجرة .

الناس كلهم بخير غيري وغيرك :

قال : حدثنا أحمد بن اسحاق ، عن ضمرة ، عن حفص بن عمر ، قال : احتبس عمر بن عبد العزيز غلاماً له يحتطب عليه ، ويلقط له البعر ، فقال اه الغلام : الناس كلهم بخير غيري وغيرك . قال : فاذهب ، فأنت حر .

قال ابن سعد ، وقال عبد الله بن دينار (لم) يرتزق عمر من بيت مال المسلمين شيئاً ، ولم يرزأه حتى مات . والله أعلم .

الباب الرابع والعشرون

في ذكر كرمه

قال : حدثنا جزيمة ، أبو محمد بن العابد ، أن عمر بن عبد العزيز **قال** : ما أعطيت أحداً مالاً إلاّ وأنا أستقله . وإنّي لأستحي من الله ، عز وجل ، أن أسأل الجنة لأخ من أخواني ، وأبخل عليه بالدنيا ، فإذا كان يوم القيامة قيل لي : لو كانت الجنة بيدك ، كنت بها أبخل .

الباب الخامس والعشرون

في ذكر ورعه رحمه الله

لئن عدت إلى مثلها لا تعمل لي عملاً :

قال : حدثنا حماد قال : قال أبو شيبان : بعث معي عمارة بن نسي إلى عمر بسلتين من رطب ، أول ما جاء الرطب ، فأتيته بهما فقال : على ما جئت بهما ؟ **قلت** : على دواب البريد . قال : فاذهب فبعهما . فذهبت فبعتهما بثمانية عشر درهماً ، فاشتراهما مني رجل من بني مروان ، فأهداهما إلى عمر ، فلما أُتي بهما قال : يا أبا شيبان ! كأنهما السلتان اللتان أتينا بهما . قال : **قلت** : نعم . فوضع إحداهما بين أيدينا فأكلنا منها ، وبعث الأخرى إلى امرأته وألقى ثمنهما في بيت المال .

قال : حدثنا ابن بكير قال : حدثني يعقوب قال : سمعت أبي يقول : قال عمر بن عبد العزيز : وددت أن عندي عسلا من عسل (سنير) أو (لبنان) ، فسمعت فاطمة بنت عبد الملك ، فحمّلت بعض غلمانها ، أو بعض مواليها ، إلى ابن معدي كرب ، وهو عامل ذلك المكان . إن أمير المؤمنين قد تشهى من عسل سنير أو لبنان ، فأرسل اليه بعسل كثير . فلما انتهى بالعسل اليها ، أرسلت به إلى عمر ، فقالت : هذا الذي تشهيت . فقال : كأني بك ، يافاطمة ، قد بعثت بعض مواليك إلى ابن معدي كرب فأمر بذلك العسل . فأخرج إلى السوق ، فبيع وأدخل ثمنه بيت مال المسلمين . ثم كتب إلى ابن معدي كرب : إن فاطمة بعثت اليك تخبرك أني تشهيت عسلا من عسل سنير أو لبنان فبعثت اليها . وأيم الله ، لئن عدت إلى مثلها لا تعمل لي عملا أبداً ، ولا أنظر إلى وجهك .

أفسدت علينا عسلك :

قال : حدثنا رياح بن عبيدة قال : كان عمر بن عبد العزيز يعجبه أن يتأدم بالعسل ، فطلب من أهله يوماً عسلاً فلم يكن عنده ، فأتوه بعد ذلك بعسل فأكل منه فأعجبه ، فقال لأهله : من أين لكم هذا ؟ قالت امرأته : بعثت مولاي بدينارين على بغل البريد فاشتراه لي . فقال : أقسمت عليك لما أتيتني به . فأتته بعكة فيها عسل ، فباعها بثمن يزيد ، ورد عليها رأس المال ، وألقى بقيته في بيت مال المسلمين . وقال : نصبت دواب المسلمين في شهوة عمر ؟ .

قال : حدثنا ابراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى الغساني قال : حدثني أبي ، عن جدي ، قال : كان عمر بن عبد العزيز لا يحمل على البريد إلاّ في حاجة المسلمين ، فكتب إلى عامل له يشتري عسلا . وأن عامله حمله على مركب من البريد . فلما أتى عمر قال : على ما حمله ؟ قالوا : على البريد . فأمر بذلك العسل فبيع ، وجعل ثمنه في بيت مال المسلمين ، وقال : أفسدت علينا عسلك .

قال جرير بن حازم ، عن رجل ، عن فاطمة بنت عبد الملك قالت: اشتهى عمر بن عبد العزيز يوماً عسلاً ، فلم يكن عندنا ، فوجهنا رجلاً على دابة من البريد إلى بعلبك فأتى بعسل ، فقلنا يوماً . إنك ذكرت عسلا ، وعندنا عسل ، فهل لك فيه ؟ قال : نعم فأتينا به ، فقرب ثم قال : من أين لكم هذا العسل ؟ قال : قالت : وجهنا رجلا ، على دابة من دواب البريد بدينارين إلى بعلبك ، فاشترى بها لنا عسلا . قال : فأرسل إلى الرجل ، فجاءه فقال : انطلق بهذا العسل إلى السوق ، فبعه ، فاردد الينا رأس مالنا ، وانظر إلى الفضل ، واجعله في بيت مال المسلمين علف دواب البريد ، ولو ينفع المسلمين قيئي لتقيأت .

كانت الهدية للنبي هدية ولنا اليوم رشوة :

قال : حدثنا اسماعيل بن عياش ، عن عمر بن مهاجر ، قال : اشتهى عمر بن عبد العزيز تفاحاً فقال : لو كان لنا — أو عندنا — شيء من التفاح ؟ فإنه طيب الريح طيب الطعم . فقام رجل من أهل بيته فأهدى إليه تفاحاً . فلما جاء به الرسول ، قال عمر : ما أطيب ريحه ! وأحسنه ! ارفعه يا غلام ، فاقريء فلاناً السلام وقل له : إن هديتك قد وقعت منا بموقع بحيث تحب . فقلت : يا أمير المؤمنين ، ابن عمك ورجل من أهل بيتك ، وقد بلغك أن النبي ، ﷺ ، كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة. قال : قال ويحك ؟ إن الهدية كانت للنبي ﷺ هدية وهي لنا اليوم رشوة .

قال : حدثنا أبو المليح ، عن ميمون بن مهران ، قال : أهدى ..... إلى عمر بن عبد العزيز تفاحاً وفاكهة ، فردها وقال : لا أعلم أنكم بعثتم إلى أحد من أهل عملي شيئاً . قيل له : ألم يكن رسول الله ، ﷺ ، يقبل الهدية ؟ قال : بلى ! ولكنها لنا ولمن بعدنا رشوة .

قال : حدثنا أبو المليح ، عن فرات بن مسلم ، قال : اشتهى عمر

ابن عبد العزيز تفاحاً ، فطلب له فلم يوجد ، فركب وركبنا معه ، فتلقاه غلمان من الديارنة بأطباق منها تفاح . فوقف على طبق منها ، فتناول منه تفاحة فشمها ثم أعادها في الطبق ، ثم قال : ادخلوا ديركم ، لا أعلم أنكم بعثتم إلى أحد من أصحابي بشيء . قال : فحركت بغلتي فلحقته ، فقلت : يا أمير المؤمنين ! اشتهيت التفاح وطلبت لك فلم يوجد ، ثم أهدي اليك فرددته ، ألم يكن رسول الله ، ﷺ ، وأبو بكر وعمر ، رضي الله عنهما ، يقبلون الهدية ؟ قال : أنها كانت لرسول الله ، ﷺ ولأبي بكر وعمر ، رضي الله عنهما ، هدية . وللعمال بعدهم رشوة .

رحمك الله والله إن كنت لأشتهيه :

قال : حدثنا الفهري ، عن أبيه ، كان عمر بن عبد العزيز يقسم تفاح الفيء ، فتناول ابن له صغير تفاحة ، فانتزعها من فيه ، فأوجعه . فسعى إلى أمه مستعبراً ، فأرسلت إلى السوق فاشترت له تفاحاً ، فلما رجع عمر وجد ريح التفاح ، فقال : يا فاطمة ! هل أتيت شيئاً من هذا الفيء ؟ قالت : لا — وقصت عليه القصة — فقال : والله ، لقد انتزعتها من ابني ، لكأنما انتزعتها من قلبي ، لكن كرهت أن أضيع نفسي من الله ، عز وجل ، بتفاحة من فيء المسلمين .

قال : حدثنا ابن السماك قال : كان عمر بن عبد العزيز يقسم تفاحاً بين المسلمين ، فجاء ابن له فأخذ تفاحة من ذلك التفاح ، فوثب اليه ففك يده ، فأخذ تلك التفاحة ، وطرحها في التفاح ، فذهب إلى أمه مستعبراً ، فقالت له : ما لكَ أي بني ؟ فأخبرها ، فأرسلت بدرهمين ، فاشترت له تفاحاً وأطعمته ، ورفعت لعمر . فلما فرغ مما بين يديه ، دخل اليها فأخرجت له طبقاً من تفاح ، فقال : من أين هذا ؟ فأخبرته ، فقال : رحمك الله ، والله إن كنت لأشتهيه .

قال : حدثنا أبو عوانة ، عن خالد بن أبي الصلت ، قال : أتي

عمر بن عبد العزيز بماء قد سخن في فحم الامارة ، فكرهه ، ولم يتوضأ منه .

قال : حدثنا ابن بكير . قال : حدثني يعقوب قال : سمعت أبي يقول : قال عمر بن عبد العزيز : أسخنوا لي ماء أغتسل به للجمعة ، قال : قيل له : يا أمير المؤمنين ! لا والله ما عندنا عود حطب نوقده به . قال : فذهبوا بالقمقم إلى المطبخ ، مطبخ المسلمين ، قال : ثم جاؤا بالقمقم . فقالوا : هذا القمقم ، يا أمير المؤمنين ! وهو يفور . فقال : ألم تخبروني أنه ليس عندكم حطب ؟ لعلكم ذهبتم به إلى مطبخ المسلمين ؟ قالوا : نعم . قال : أدعوا لي صاحب المطبخ . فلما جاءه ، قال له : قيل لك هذا قمقم أمير المؤمنين فأوقدت تحته ؟ قال : لا والله ، يا أمير المؤمنين ، ما أوقدت تحته عوداً واحداً ، وإن هو إلاّ جمر لو تركته لخمد حتى يصير رماداً . قال : بكم أخذت الحطب ؟ قال : بكذا . قال : أدوا اليه ثمنه .

قال : حدثنا حنبل بن إسحاق قال : حدثني أبو عبد الله قال : حدثني رجاء بن حيوة ، أبي سلمة ، قال : كان عمر بن عبد العزيز يصنع طعاماً لمن حضره فلا يأكل منه ، فكانوا لا يأكلون . فقال : ما شأنكم لا تأكلون ؟ فقالوا : إنك لا تأكل . فلا نأكل ، قال : فأمر بدرهمين من صلب ماله ، كل يوم ، فأنفقا في المطبخ ، فأكل وأكلوا .

قال : حدثنا معاوية بن عمرو ، عن أبي إسحاق الفزاري ، عن الأوزاعي ، قال : كان عمر بن عبد العزيز جعل في كل يوم درهماً من خاصة ماله في طعام العامة ، ثم يأكل معهم . قال الأوزاعي : ولم يكن عمر يرتزق دون المسلمين .

كُلْها يا بني فإنك رزقتها ولم أرزقها :

قال : حدثنا الحكم بن عمر الرعيني قال : شهدت عمر بن عبد العزيز ، وأرسل غلاماً يشوي له كبكبة من لحم ، فعجل بها . فقال : أسرعت بها .

قال : شويتها في نار المطبخ — وكان للمسلمين مطبخ يغديهم ويعشيهم — فقال لغلامه : كُلْها يا بني ! فإنك رزقتها ، ولم أرزقها .

قال : حدثنا اسحاق الفزاري ، عن الأوزاعي ، قال : كان عمر ابن عبد العزيز يجعل في كل يوم من ماله درهماً في طعام المسلمين ، ثم يأكل معهم . وكان ينزل بأهل الذمة ، فيقدمون اليه من الحلبة والبقول وأشباه ذلك ، مما كانوا يصنعون من طعام . فيعطيهم أكثر من ذلك . ويأكل منه . فإن أبوا أن يقبلوا ذلك منه ، لم يأكل منه . فأما من المسلمين فلم يكن يقبل شيئاً .

وهل ينتفع منه إلا بريحه ؟

قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن رياح بن عبيدة ، وأبي سنان ، عن عمر بن عبد العزيز ، أنه وضعت بين يديه مسكة عظيمة ، فأخذ بأنفه ، فقيل : يا أمير المؤمنين ! إنما هو ريح ، قال : وهل ينتفع منها إلاّ بريحها ؟ .

قال : حدثنا رياح بن عبيدة قال : أخرج مسك من الخزائن ، فوضع بين يدي عمر بن عبد العزيز . فأمسك بأنفه مخافة أن يجد ريحه . فقال له رجل من أصحابه : يا أمير المؤمنين ! ما ضرك أن وجدت ريحه ؟ قال : وهل ينتفع من هذا إلاّ بريحه ؟ .

قال : حدثنا الهيثم بن عمر قال : سمعت حيان بن نافع البصري قال : بعثني عروة بن محمد السعدي إلى سليمان بن عبد الملك — وهو بدابق — بهدايا ، قال : فوافينا وقد مات ، واستخلف عمر بن عبد العزيز ، فدخلنا عليه وقد هيأنا تلك الهدايا ، كما كانت تهيأ لسليمان ، قال : ومعنا عنبرة فيها نحو خمسمائة رطل أو ستمائة رطل ، ومسك كثير ، فأخذوا يعرضون على عمر تلك الهدايا ، وفاح ريح المسك ، فجعل عمر كمه على أنفه ، ثم قال : يا غلام ارفع هذا ، فإنه إنما يستمتع من هذا بريحه .

قال محمد بن إسحاق : حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله العمري ، عن ربيعة ابن عطاء قال : أُتي عمر بعنبرة من اليمن ، فوضع يده على أنفه بثوبه ، فقال له مزاحم : إنما هي ريحها ، يا أمير المؤمنين ! قال : ويحك يا مزاحم ! وهل ينتفع من الطيب إلاّ بريحه ؟ قال : فما زالت على أنفه حتّى رفعت .

قال : حدثنا أبو عوانة ، عن عبد الله بن راشد ، صاحب الطيب ، قال : أتيت عمر بن عبد العزيز بالطيب ، الذي كان للخلفاء من بيت المال ، فأمسك أنفه وقال : إنما ينتفع بريحه .

قال : حدثني عبد العزيز الماجشون ، عن أبي عبيد [1] ، قال : ما رأيت رجلاً قط ، أشد تحفظاً في منطقه من عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله .

احتاج أهل أمير المؤمنين إلى نفقه ولا أدري من أين آخذها :

قال : أخبرني شيخ ، عن عبد الله بن أبي زكريا أنه دخل على عمر ابن عبد العزيز ، وقد توجع له ، مما بلغه مما خلص إلى أهل عمر بن عبد العزيز من الحاجة ، فتحدثا ثم قال : يا أمير المؤمنين ! أرأيتك شيئاً تعمل به ، بأي شيء استحللته . قال : وما هو ؟ قال : ترزق الرجل من عمالك مائة دينار في الشهر ، ومائتي دينار في الشهر ، وأكثر من ذلك . قال : أراه لهم يسيراً إنْ عملوا بكتاب الله وسنّة نبيه ، وأحب أن أفرغ قلوبهم من الهم بمعايشهم وأهليهم . قال ابن أبي زكريا : فإنك قد أصبت . وقد ذكر لي أنه قد خلص إلى أهلك حاجة ، وأنت أعظمهم عملا . فانظر ما قد رأيته حلالاً لرجل منهم ، فارتزق مثله ، فوسع به على أهلك . فقال : يرحمك الله ، قد عرفت أنك لم ترد إلاّ خيراً ، وأنك توجعت من بعض ما يبلغك من حالنا . ثم قال بيده اليمنى على

(١) في المختصر : « أبي عبيدة » .

ذراعه اليسرى ، فقال : إن هذا اللحم والعظم إنما نبت من مال الله ، فإني ، والله ، إن استطعت لا أعيد فيه منه شيئاً أبداً .

قال : وحدثني الليث ، عن محمد بن قيس ، قاصّ عمر بن عبد العزيز ، قال : خرج علينا يوماً مزاحم فقال : لقد احتاج أهل أمير المؤمنين إلى نفقة ، ولا أدري من أين آخذها . ولا أدري ممن أستلفها . قال : قلت : لولا قلة ما عندي لعرضته عليك . قال : وكم عندك ؟ قلت : خمسة دنانير . قال : والله ، إن في خمسة دنانير لبلاغاً ، فاعطنيها. فدفعتها اليه . ثم أتاه مال من أرض عمر باليمن ، قال : فمر عليّ مزاحم مسروراً وقال : قد جاءنا مال من أرض لنا ، نقضيك الآن تلك الخمسة الدنانير . قال : فدخل ثم خرج وإحدى يديه على رأسه وهو يقول : أعظم الله أجر أمير المؤمنين ، أعظم الله أجر أمير المؤمنين . قال : قلنا : أجل ، أعظم الله أجر أمير المؤمنين ، وما ذاك ؟ قال : أمر بهذا المال الذي جاء من أرضه أن يدخل بيت مال المسلمين . فلا أدري كيف تحيل [1] لي في الخمسة حتى قضاني .

قال : حدثنا أبو المليح ، عن فرات بن مسلمة ، قال : كنت أعرض على عمر بن عبد العزيز كتبي في كل جمعة مرة ، فعرضتها عليه ، فأخذ منها قرطاساً نقياً قدر أربع أصابع ، أو شبر ، فكتب فيه حاجة له . فقلت : غفل أمير المؤمنين ، فبعث إليّ من الغد ، فقال : جيء بكتبك . قال : فبعثني في حاجة ، فلما جئت قال لي : ما آن لنا أن ننظر فيها ؟ فقلت : إنما نظرت فيها أمس . قال : فاذهب حتى أبعث اليك ، فلما فتحت كتبي وجدت فيها قرطاساً بقدر القرطاس الذي أخذ .

---

(١) في المختصر : « تمحل » .

يمنعني من كثير من الكلام مخافة المباهاة :

قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن رجاء أبي المقدام ، عن نعيم بن عبد الله ، كاتب عمر بن عبد العزيز ، أن عمر بن عبد العزيز قال : إنّه ليمنعني من كثير من الكلام مخافة المباهاة .

قال : حدثنا الشافعي قال : قيل لعمر بن عبد العزيز : ما تقول في أهل صفين ؟ قال : تلك دماء طهر الله يدي منها ، فلا أحب أن أخضب لساني بها .

قال : حدثنا علي بن مسعدة قال : حدثني رياح بن عبيدة قال : كنت قاعداً عند عمر بن عبد العزيز ، فذكر الحجاج فشتمته . ووقعت فيه، فقال عمر : مهلاً يا رياح ! إنّه بلغني أن الرجل ليظلم المظلمة ، فلا يزال المظلوم يشتم الظالم وينتقصه ، حتى يستوفي حقه . ويكون للظالم عليه الفضل [1]

لا حاجة لي بجرتك :

(عن ابن بكير وأبي زيد قال) [2] : حدثنا يعقوب قال : سمعت أبي يحدث : أن عمر بن عبد العزيز جاءه ثلاثون ألف درهم من ماله بالبحرين . فجاءه الذي يقوم على طعام أهله فقال : يا أمير المؤمنين ! قد جاءك الله بنفقة . قال : من أين ؟ قال : من مالك الذي بالبحرين ، جاءتك ثلاثون ألفاً . فاسترجع عمر . وقال : أدع لي مزاحماً ، فلما جاءه مزاحم قال : أي مزاحم ! ما رددت ذلك المال الذي جاءنا من البحرين في مال الله فيما أحسب — شك ابن بكير قال مزاحم : سقط عليّ يا أمير المؤمنين — قال : فاردده ، وصِلْ بهذا المال في بيت مال المسلمين ، قال : فدخل عليه قيم ذلك المال فقال : يا أمير المؤمنين !

(١) سبق في ص ١٠٩ .
(٢) من المختصر .

اعتق رقبتي من الرق أعتقك الله من النار . قال : فنظر اليه ثم قال : إنما أنت وذلك المال من مال الله ، فلا سبيل إلى عتقك . فقال : يا أمير المؤمنين ! جرة زنجبيل مربت ، كنت أهديها لك كل عام ، وقد جئت بها . قال : ائت بها . قال : فأخرج منها عوداً ، فوضعه على شفتيه ، ثم قال : مه ! إذا شككت في الشيء فدعه . لا حاجة لي بجرتك .

خذها . فإن شئت فاحمد ، وإن شئت فذم :

قال : حدثنا عمارة بن عقيل بن جرير بن عطية بن الخطفي — والخطفي اسمه حذيفة بن بدر — قال : لما قام عمر بن عبد العزيز ، نهضت اليه الشعراء ، من الحجاز والعراق ، فكان فيمن حضر : نصيب ، وجرير ، والفرزدق ، والأحوص ، وكثيِّر ، والحجاج القضاعي ، والأخطل ، فمكثوا شهراً لم يؤذن لهم ، ولم يكن لعمر فيهم رأي ولا أرب ، وإنما كان رأيه وبطانته وأهل أربه القراء والفقهاء ، ومن وسم عنده بورع ، يبعث إليهم حيث كانوا من بلدانهم ، فوافق جريرقدوم عون ابن عبدالله. عتبة بن مسعود الهذلي ، وكان ورعاً فقيهاً مفوهاً في المنطق ، نظير الحسن ابن أبي الحسن البصري في منطقه ، فرآه جرير على باب عمر . مشمر الثياب ، معتماً ، على كمة لاصقة برأسه ، قد ألقى ضيفتيها بين كتفيه ، فقال :

يا أيها القارىء المرخي عمامتــه	هذا زمانك ، إنّي قد مضى زمني
أبلغ خليفتنا ، إنْ كنت لاقيــه ،	أني لدى الباب كالمصفودفي قرن

فقال له عون : من أنت ؟ فقال : جرير . قال : إنّه لا يحل لك عرضي . قال : فاذكرني للخليفة . قال : إن رأيت موضعاً فعلت . ثم قال : هذا جرير بالباب ، فأحرز لي عرضي منه . فأذن لجرير ، فدخل عليه فقال : يا أمير المؤمنين ! إني أخبرت أنك تحب أن توعظ ولا تطرى ، فاذن لي في الكلام . فأذن له . فقال :

لجت أمامة في أمري ، وما علمت ... عرض اليمامة روحاتي ولا بكري
ما هوّم القوم مذ شدّوا رحالهم ... إلاّ عشاشاً لدى أعصارها اليسرِ
يصرحن صرح حصى المعزى إذا وقعت ... شمس النهار ، وعاد الظل للقمرِ
زرت الخليفة من أرض على قدر ... كما أتى ربه موسى على قدرِ
إنّا لنرجو ، إذا ما الغيث أخلفنا ... من الخليفة ، ما نرجو من المطر
أأذكر الضر والبلوى التي نزلت؟ ... أم أكتفي بالذي أنبئت من خبري؟
ما زلت بعدك في دار تقحمني ... وضاق بالحي إصعادي ومنحدري
لا ينفع الحاضر المهجود بادينا ... ولا يعود لنا باد على حضري
كم بالمواسم من شعثاء أرملة ... ومن يتيم ضعيف الصوت ،والنظرِ
أذهبت خلته حتى دعا ودعت : ... يارب! بارك لطرِّ الناس في عمرِ
ممن نعدك تكفي فقد والده ... كالفرخ في الوكر ، لم ينهض ولم يطر
هذي الأرامل قد قضيت حاجتها ... فمن الحاجة هذا الأرمل الذكرِ ؟

فترقرقت عينا عمر ، وقال : إنّك لتصف جهدك . فقال : ما غاب عني وعنك أشد . قال : فجهز إلى الحجاز عيراً يحمل الطعام والكسى والعطاء يبث في فقرائهم . ثم قال : أخبرني أمن المهاجرين أنت يا جرير ؟ قال : لا . قال : فبينك وبين الأنصار رحم أو قرابة أو صهر ؟ قال : لا . قال : فممن يقاتل على الفيء أنت ويجلب على عدو المسلمين ؟ قال : لا . قال : فلا أرى لك في شيء من هذا الفيء حقاً . قال : بلى والله ، لقد فرض الله لي فيه حقاً ، إنْ لم تدفعني عنه . قال : ويحك ! وما حقك ؟ قال : ابن السبيل أتاك من شقة بعيدة فهو منقطع به على بابك . فقال : إذن أعطيك . فدعا بعشرين ديناراً فضلت من عطائه ، فقال : هذه فضلت من عطائي ، وإنما يعطى ابن السبيل من مال الرجل ، ولو فضل أكثر من هذا أعطيتك ، فخذها ، فإن شئت فاحمد ، وإن شئت فذم . قال : بل أحمد ، يا أمير المؤمنين ؛ فخرج ، فجهشت اليه الشعراء وقالوا: ما وراءك يا أبا حرزة ؟ قال : ليلحق الرجل منكم بمطيته ، فإني خرجت من عند رجل يعطي الفقراء ولا يعطي الشعراء . قال :

وجدت رقـيٰ الشيطـان لا تستفره وقد كان شيطاني من الجن راقيا.

إن رسول الله امتدح واعطى :

قال : حدثنا الهيثم بن عدي ، عن عوانة بن الحكم ، قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز وفد الشعراء اليه ، فأقاموا بابه أياماً لا يؤذن لهم ، فبينما هم كذلك يوماً ، وقد أزمعوا على الرحيل ، إذ مرّ بهم رجاء ابن حيوة ، وكان من خطباء أهل الشام ، فلما رآه جرير داخلاً على عمر بن عبد العزيز أنشأ يقول :

يا أيها الرجل المرخي عمامته هذا زمانك فاستأذن لنا عمرا

قال : فدخل ، ولم يذكر من أمرهم شيئاً . ثم مرّ بهم عدي بن أرطأة فقال جرير :

يا أيها الراكب المزجي مطيتـه هذا زمانك إني قد مضى زمني
أبلـغ خليفتنا إن كنت لاقيه إني لدى الباب كالمصفود في قرن
لا تنس حاجتنا ، لقيتَ مغفـرةً قد طال مكثي عن أهلي وعن وطني

قال : فدخل عدي على عمر فقال : يا أمير المؤمنين ! الشعراء ببابك ، وسهامهم مسمومة ، وأقوالهم نافذة . قال : ويحك ياعدي ! مالي وللشعراء ؟ قال : أعز الله أمير المؤمنين ، إنّ رسول الله ﷺ ، قد امتدح وأعطى ، ولك في رسول الله ﷺ ، أسوة . قال : كيف ؟ قال : امتدحه العباس بن مرداس السلمي فأعطاه حلة قطع بها لسانه . قال : وتروي من قوله شيئاً ؟ قلت : نعم فأنشدته :

رأيتك يا خـير البريـة كلهـا نشرت كتابـاً جاء بالحق معلنـا
شرعت لنا دين الهدى، بعد جورنا عن الحق ، لما أصبح الحق مظلما
وفردت بالتبيان أمراً مدنسـاً ، وأطفأت بالبرهان ناراً تضرّمـا
فمن مبلـغ عني النبي محمـداً، وكل امرىء يُجزى بما كان قدّما

أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجـه   وكان قديماً ركنه قد تهدّمـا
تعالى علواً فوق عرش إلهُنـا   وكان مكانُ الله أعلى وأعظما

رأي عمر بن عبد العزيز في بعض الشعراء :

قال : ويحك ياعدي ! من بالباب منهم ؟ قال : عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة . قال : أليس يقول :

ثم نبّهتُها فهبّت كعابـاً   طلقة ما تبين رجع الكلام
ساعة ، ثم أنها بعـدُ قالـت :   ويلتا ! قد عجلت ياابن الكرام
أعلى غير موعد جئت تسري   تتخطى إلى رؤوس النيـام ؟

فلو كان عدو الله إذ فَجَرَ كتم على نفسه ، لا يدخل ، والله ، عليّ أبداً ، من بالباب سواه ؟ قال : همام غالب – يعني الفرزدق – قال : أوليس هو الذي يقول :

هما دلتاني من ثمانين قامـة   كما انقض ّبازٌ أقتم الريش كاسرُه
فلمّ استوت رجلاي في الأرض قالتا   أحي يرجّى ، أم قتيل نحاذرُهْ ؟

لا يطأ والله بساطي فمن سواه بالباب ؟ قال : الأخطل . قال : ياعدي ! أليس الذي هو يقول :

ولست بصائم رمضان طوعـاً   ولست بآكل لحـم الأضاحـي
ولست بزاجـر عيساً بكـوراً   إلى بطحاء مكـة للنجـاحِ
ولست بزائـر بيتـاً بعيـداً   بمكة أبتغـي فيـه صلاحـي
ولست بقائـم كالعبد أدعـو   قبيل الصبح ، حيّ على الفـلاحِ
ولكني سأشربها شمـولاً   وأسجد عند منبلـج الصباحِ

والله لا يدخل عليّ وهو كافر أبداً ، فهل بالباب سوى من ذكرت؟ قال : نعم ، الأحوص . قال : أليس هو يقول :

الله بيني وبين سيدِهـا   يفر مني بها وأتبعـه .

قال : فمن هاهنا أيضاً ؟ قال : جميل بن معمر . قال : ياعدي ! أليس هو الذي يقول :

أيا ليتنا نحيا جميعاً ، وإن أمُتْ ... يوافق في الموتى ضريحي ضريحها
فما أنا في طول الحياة براغـب ... إذا قيل قد سوي عليها صفيحُها

فلو كان عدو الله تمنى لقاءها في الدنيا ليعمل بعد ذلك صالحاً . والله لا يدخل عليّ أبداً . فهل سوى من ذكرت أحد ؟ قال : نعم جرير ابن عطية . قال : أما أنه الذي يقول :

طرقتك صائدةُ القلوب وليس ذا ... حين الزيارة . فارجعي بسـلامِ

دخول جرير عليه :

فإن كان لا بد فهو . قال : فأذن لجرير ، فدخل وهو يقول :

إن الذي بعث النبي محمـداً ... جعل الخلافة للامام العـادلِ
وسع الخلافـة عدله ووقاره ... حتى ارعوى ، وأقام ميل المائلِ
إني لأرجو منك خيراً عاجـلاً ... والنفسُ مولعةٌ بحب العاجـلِ

فلما مثل بين يديه قال : ويحك ياجرير ! اتقِ الله ولا تقل إلاّ حقاً . قال فأنشأ يقول :

أأذكر الصبر[1] والبلوى التي نزلت ؟ ... أم قد كفاني مابُلِّغتَ[2] من خبري ؟
كم باليمامة[3] من شعثاء أرملة ... ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر ؟
ممن يعدك تكفي فقد والـده ... كالفرخ في العش[4] لم ينهض ولم يطرِ
يدعوك دعوة ملهوف كأنّ به ... خبلاً من الجن ، أومساً من البشر

(١) في الرواية السابقة : « الجهد » .
(٢) في الرواية السابقة : « ما نبئت » .
(٣) في الرواية السابقة « بالمواسم » .
(٤) في الرواية السابقة : « الوكر » .

خليفة الله ! ماذا تأمرون بنا ؟ — لسنا اليكم ولا في دار منتظرِ

ما زلت بعدك في همٍّ يؤرقـني — قدطال فيها لحي إصعادي ومنحدري[1]

لا ينفع الحاضر المجهود بادينـا — ولا يعود لنا بادٍ على حضري

إنّا لنرجو، إذا ما الغيث أخلفنا ، — من الخليفة ، مانرجو من المطرِ

زان الخلافة إذا كانت له قدراً[2] — كما أتى ربه موسى على قدرِ

هذي الأرامل قد قضّيت حاجتها — فمن لحاجة هذا الأرمل الذكرِ ؟

الخير ما دمت حياً لا يفارقنـا — بوركت يا عمر الخيرات من عمر.

فقال : ياجرير ! ما أرى لك فيما هاهنا حقاً . قال : بلى يا أمير المؤمنين ، أنا ابن السبيل ، ومنقطع بي . فأعطاه من صلب ماله مائة درهم . قال : وقد ذكر أنه قال ويحك ياجرير ! لقد ولينا هذا الأمر وما نملك إلا ثلاثمائة درهم : فمائة أخذها عبد الله ، ومائة أخذتها أم عبد الله ، ياغلام ! اعطه المائة الباقية . قال : فأخذها وقال : والله لهيَ أحب ما اكتسبته إليّ (من) مال . ثم خرج فقال له الشعراء : ماوراءك ؟ قال : ما يسوؤكم ، خرجت من عند أمير المؤمنين وهو يعطي الفقراء ويمنع الشعراء وإني عنه لراضٍ . وأنشأ يقول :

رأيت رقى الشيطان لا تستفـزه — وقد كان شيطاني من الجن راقيا .

(١) في الرواية السابقة : « في دار تقحمني . وضاق بالحي » .

(٢) في الرواية السابقة : « زنت الخلافة من أرض على قدر » .

الباب السادس والعشرون

في ذكر تواضعه رحمه الله

قال : حدثنا الوليد ، عن الأوزاعي ، قال : لما ولي عمر بن عبد العزيز ، دخل عليه أخ له فقال : إن شئت كلمتك ، وأنت عمر ، فيما تكره اليوم وتحب غداً ، وإن شئت كلمتك ، وأنت أمير المؤمنين ، فيما تحبه اليوم وتكرهه غداً . قال : بل كلمني وأنا عمر ، فيما أكره اليوم وأحب غداً .

قال : حدثنا النضر بن سهيل ، عن ابيه ، قال : قال عمر بن عبد العزيز لجارية له : ياجارية ! روّحيني ، فأقبلت تروّحه ، فغلبتها عينها فنامت ، فأخذ المِرْوحة وأقبل يُروحها ، فانتبهت فصاحت ، فقال لها عمر : إنما أنت بشر مثلي ، أصابك من الحر ما أصابني ، وأحببت أن أروحك مثل الذي روحتيني .

قال : حدثنا وليد بن مسلم ، عن الأوزاعي ، قال : كان عمر بن عبد العزيز يجلس إلى قاصّ العامة بعد الصلاة ، ويرفع يديه إذا رفع . ودخلت عليه ابنة اسامة بن زيد ، ومعها مولاة لها تمسك بيدها ، فقام لها عمر ، ومشى اليها ، حتى جعل يدها في يده ، ويداه في ثيابه ، ومشى بها حتى أجلسها في مجلسه ، وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة إلاّ قضاها.

قال : حدثنا بقية بن الوليد ، عن حسان العبسي ، عن عمرو بن مهاجر ، قال : قال عمر بن عبد العزيز : ياعمرو ! إذا رأيتني قد ملت

عن الحق فضع يدك في تلابيبي ، ثم هزني ، ثم قل لي : ماذا تصنع ؟ .

قال : حدثنا حكام الرازي ، عن أبي حازم ، قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز قال : انظروا رجلين من أفضل من تجدون ، فجيء برجلين فكان إذا جلس مجلس الامارة أمر ، فألقي لهما وسادة قبالته ، فقال لهما : إنّه مجلس شرة وفتنة ، فلا يكن لكما عمل إلاَّ النظر إليَّ ، فإذا رأيتما مني شيئاً لا يوافق الحق ، فخوفاني وذكراني بالله ، عز وجل .

قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ، وجلست وأنا عمر بن عبد العزيز :

قال : حدثنا ابن كثير بن مروان ، عن رجاء بن حيوة ، قال : سمرت ليلة عند عمر بن عبد العزيز ، فاعتل السراج ، فذهبت أقوم أصلحه . فأمرني عمر بالجلوس ، ثم قام فأصلحه ، ثم عاد فجلس . فقال : قمت وأنا عمر بن عبد العزيز . وجلست وأنا عمر بن عبد العزيز ، ولؤم بالرجل أن يستخدم ضيفه .

قال : حدثنا ضمرة ، عن عبد العزيز بن أبي الخطاب ، عن عبد العزيز ابن عمر بن عبد العزيز قال : قال لي رجاء بن حيوة : ما أكمل مروءة أبيك ، سمرت معه ذات ليلة فغشي السراج ، فقال لي : ما ترى السراج قد غشي ، قلت : بلى . وإلى جانبه وصيف راقد . قال : قلت : أفلا أنبهه . قال : لا . دعه يرقد . قلت : أفلا أقوم أنا ؟ قال : لا ليس من مروءة الرجل استخدام ضيفه . قال : فوضع رداءه ، ثم قام إلى بطة زيت معلقة . فأخذها ، فأصلح السراج ، ثم ردها في موضعها ، ثم رجع ، وقال : قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ، ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز .

لا يدري أيهم هو حتى يشار اليه :

قال : حدثنا الحكم بن عمر الرعيني قال : شهدت مع عمر بن عبد العزيز جنازة في يوم مطر ، فكبّر عليها أربعاً ، فأقبل رجل غريب ليس

عليه طيلسان ، فدعاه فأجلسه إلى جنبه وغطاه بفضل طيلسانه ؛ ورأيت عمر بن عبد العزيز يدأ يحمل الجنازة ، جعل يمين الجنازة على شقه الأيسر ، ثم حمل مؤخر السرير على شقه الأيمن ، ثم مشى أمام الجنازة والناس يمشون خلف الجنازة شهدته حين فرغ من القبر مسح يده عليه ، وأشار باصبعه : اللهم اغفر وارحم واعف عما تعلم . قال : ورأيت عمر بن عبد العزيز يقوم من هذه الحلقة فيجلس مع هذه الحلقة ، فربما جاء الغريب الذي لا يعرفه ، فيسأل عن أمير المؤمنين ، وفي أي حلقة هو ، فهو يقف لا يدري أيهم هو حتى يشار اليه : هذا أمير المؤمنين فيسلم عليه بالخلافة .

قال : حدثنا ابن وهب قال : حدثني الليث بن سعد أن أبا النضر حدثه قال : دسست إلى عمر بن عبد العزيز بعض أهله : أن قل له إن فيك كبراً ، وأنك تتكبر ، فقيل ذلك له ، فقال عمر : لبئس ما ظننت ، إن كنت تراني أتوقى الدينار والدرهم مراقبة لله ، وأنطلق إلى أعظم الذنوب فأرتكبه ، الكبرياء إنما هو رداء الرحمن فأنازعه إياه ؟ ولكن كنت غلاماً بين الغلمان — أو قال بين ظهري قومي — يدخلون علي بغير إذن ، ويتوطؤن فرشي ، ويتناولون مني ما يتناول القوم من أخيهم الذي لا سلطان له عليهم . فلما أن وليت خيرت نفسي في أن أمكنهم مني . حالهم التي كنت لهم عليها ، وأعاقبهم فيما خالف الحق ، أو أتمنع منهم في بابي ووجهي ليكفوا عني أنفسهم ، وعن الذي أحذر عليهم لو كنت جرأتهم على نفسي من العقوبة والادب ، فهو الذي دعاني إلى هذا .

لو عرفتَ من نفسي ما أعرفُ منها ما نظرتَ في وجهي :

قال : حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب ، قال : قيل لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ! لو أتيت المدينة ، فإن قضى الله موتاً دفنت موضع القبر الرابع ، مع رسول الله ﷺ ، وأبي بكر وعمر . قال : والله

لأن يعذبني الله بكل عذاب — إلا النار فإنه لأصبر عليها — أحب إليّ من أن يعلم الله من قلبي أني أرى أني لذلك أهل .

قال : حدثنا أبو بكر بن عبيد ، عن المفضل بن يونس ، قال : قال رجل لعمر ابن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ! كيف أصبحت ؟ . قال : أصبحت بطيناً ، ملوثاً في الخطايا ، أتمنى على الله الأماني .

قال : حدثنا الثوري قال : ضرب عمر بن عبد العزيز بيده على بطنه ، ثم قال : بطني بطيء عن عبادة ربي ، متلوث بالذنوب والخطايا ، يتمنى على الله منازل الأبرار ، ويعمل خلاف أعمالهم .

قال : حدثنا بقية بن الوليد ، عن عتبة بن تميم قال : حدثني رجل عن عمر بن عبد العزيز أنه وضع بين يديه قصعة من عدس ، ومعه ميمون بن مهران ، فقال : خذ ياميمون ، بطين متلوث في دنياه ، يتمنى على الله الأماني ، ومنازل الأبرار ويعمل خلاف أعمالهم .

قال : حدثنا الفضل بن ركين قال : ذكر أبو إسرائيل عمرَ بن عبد العزيز فقال : حدثني علي بن بزيمة قال : رأيته في المدينة ، وهو أحسن الناس لباساً ، وأطيب الناس ريحاً ، وهو أخيل الناس في مشيته ، ثم رأيته بعد ذلك يمشي مشية الرهبان . فمن حدّثك أن المشية سجية بعد عمر فلا تصدقه (١) .

قال : حدثنا خالد بن يزيد ، عن جعونة ، قال : دخل على عمر بن عبد العزيز رجل فقال : يا أمير المؤمنين ! إنّ من كان قبلك كانت الخلافة لهم زيناً ، وأنت زين الخلافة ، وإنما مثلك كما قال الشاعر :

وإذا الدر زان حسنَ نحورٍ ... كان للدر حسنُ وجهك زينا (٢)

---

(١) سبق هذا في مكان آخر .

(٢) راجع ص ١١٣ .

قال : حدثنا محمد بن نعيم بن هضيم قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : أطرأ وجل عمر بن عبد العزيز في وجهه فقال : يا هذا ! لو عرفت من نفسي ما أعرفُ منها ، ما نظرتَ في وجهي .

رحم الله امرءاً عرف قدره :

قال : حدثنا ابن عائشة ، عن أبيه ، قال : بلغ عمر بن عبد العزيز أن ابناً له اشترى فصاً بألف درهم . فتختّم به . فكتب اليه عمر : عزيمة مني عليك ، لما بعت الفص الذي اشتريته بألف درهم . وتصدقت بثمنه ، واشتريت فصاً بدرهم نقشت عليه : « رحم الله امرءاً عرف قدره » والسلام .

قال : حدثنا أبو سعيد المؤدب . عن عبد الكريم ، قال : قيل لعمر : جزاك الله عن الإسلام خيراً . قال : لا بل جزا الله الاسلام عني خيراً .

يا أبا قلابة تشدد ولا تشمت بنا المنافقين :

قال : حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، قال : مرض أبو قلابة بالشام ، فدخل عليه عمر بن عبد العزيز ، فقال : يا أبا قلابة تشدد ولا تُشمِتْ بنا المنافقين .

قال : حدثنا محمد بن كثير ، عن سليمان الخواص ، قال : مات ابن لرجل ، فحضره عمر بن عبد العزيز ، وكان الرجل حسن العزاء ، فقال رجل من القوم : هذا والله الرضا . فقال عمر بن عبد العزيز : أو الصبر . قال سليمان : الصبر دون الرضا ، الرضا أن يكون الرجل قبل نزول المصيبة راضياً بأي ذلك كان ، والصبر أن يكون بعد نزول المصيبة .

الباب السابع والعشرون

في ذكر حِلمِه وصَفْحِه

قال : حدثنا سعيد بن عامر ، عن هارون بن أعين ، عن شيخ من خناصرة ، قال : كان لعمر بن عبد العزيز ابن من فاطمة ، فخرج يلعب مع الغلمان فشجه غلام ، فاحتملوا ابن عمر والذي شجه فأدخلوهما على فاطمة ، فسمع عمر الجلبة وهو في بيت آخر ، فخرج وجاءت مُرَيئة فقالت : هو ابني ، وهو يتيم . فقال : له عطاء ؟ قالت : لا . قال : أكتبوه في الذرية . قالت فاطمة : فعل الله به وفعل ، إن لم يشجه مرة أخرى . قال : إنكم أفزعتموه .

قال : حدثنا ابراهيم بن أبي عبلة قال : غضب عمر بن عبد العزيز يوماً على رجل غضباً شديداً ، فبعث اليه فجرده ومده في الحبال ، ثم عاد بالسياط ، حتى إذا قلنا : هو ضاربه ، قال : خلوا سبيله ، أما أني لولا أني غضبان لسؤتك ، وقرأ : ﴿ والكَاظِمينَ الغَيْظَ والعَافِينَ عن النّاسِ ... ﴾ [1] الآية .

قال : حدثنا قيس ، عن عبد الملك ، قال : قام عمر بن عبد العزيز إلى قائلته [2] ، وعرض له رجل بيده طومار ، فظن القوم أنه يريد أمير المؤمنين ، فخاف أن يحبس دونه [3] ، فرماه بالطومار ، والتفت أمير

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٣٤ .

(٢) من القيلولة .

(٣) أي فخاف أن يمنع من الوصول إلى أمير المؤمنين .

المؤمنين . فأصابه في وجهه فشجه ، فنظرت إلى الدماء تسيل على وجهه ، وهو في الشمس ، فقرأ الكتاب ، وأمر له بحاجته وخلى سبيله .

إن التقي ملجم :

قال : حدثنا سفيان قال : نال رجل من عمر بن عبد العزيز . فقيل له : ما يمنعك منه ؟ فقال : إن التقي ملجم .

قال : حدثنا رويم بن يزيد ، عن أبي سهل المصري ، عن حاتم ابن قدامة ، قال : قام رجل إلى عمر بن عبد العزيز ، وهو على المنبر ، فقال : أشهد أنك من الفاسقين . فقال له : وما يدريك ؟ وأنت شاهد زور لا نجيز شهادتك .

قال : حدثنا أبو بكر بن عبيد ، عن عبد الحميد بن حريث . أن رجلاً قال لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ! هذا رجل يسبك . فأعرض عنه . ثم قال الثانية ، فأعرض عنه . ثم قال الثالثة . فقال عمر : يستدرجه من حيث لا يعلم .

قال : حدثنا سهل بن محمود ، عن حرملة بن عبد العزيز ، عن أبيه ، عن رجل من حبيشه ، قال : لقينا عمر بن عبد العزيز يسير على راحلته ، وهو يقرأ أمام ركائبه ، إذ غشيت راحلته رجلاً يمشي على الطريق ، فقال : أبصر ! لا أبصرت . فلما مر الموكب .... [1] . هل من رجل يحمل عقبه ؟ فقال عمر لغلامه : تخلفْ ! فاحملْ هذا إلى الماء .

إنما سألني : أمجنون أنت ؟ فقلت : لا .

قال سهل ، وحدثنا عمر بن حفص ، قال : حدثنا شيخ قال : لما ولي عمر بن عبد العزيز ، خرج ليلة ومعه حرسي ، فدخل المسجد ،

---

(١) بياض .

فمر في الظلمة برجل نائم ، فعثر به ، فرفع رأسه اليه فقال : أمجنون أنت ؟ قال : لا . فهم به الحرسي ، فقال له : عمر مه ! إنما سألني : أمجنون أنت ؟ فقلت : لا .

قال : حدثنا أحمد بن الحارث ، عن علي بن زيد ، قال : أسمع رجلٌ عمرَ بن عبد العزيز كلاماً فقال له عمر بن عبد العزيز : أردت أن يستفزني الشيطان بعز السلطان ، فأنال منك اليوم ما تنال مني غداً ! ثم عفا عنه .

الباب الثامن والعشرون

في ذكر تعبده واجتهاده

كيف كان عمر يقضي ليله ؟

قال : حدثنا ضمرة ، عن سعيد بن عبد الملك قال : بتُّ عند أختي فاطمة . امرأة عمر بن عبد العزيز . فلما أمسينا دخل البيت ، وفي البيت تابوت ، قال : ففتحه فأخرج ثوبي شعر ، ووضع ثيابه ، ثم لبسها ثم قام يصلي .

قال : حدثنا الوليد بن صالح ، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، قال : كان لعمر بن عبد العزيز سفط ، فيه دراعة من شعر وغل . وكان له بيت في جوف بيت يصلي فيه لا يدخل فيه أحد ، فإذا كان في آخر الليل . فتح ذلك السفط ، ولبس تلك الدراعة ، ووضع الغل في عنقه فلا يزال يناجي ربه ويبكي حتى يطلع الفجر ، ثم يعيده في السفط .

قال : حدثنا عمر بن صالح الأزدي قال : سمعت شيخنا من أهل الشام قال : لما مات عمر بن عبد العزيز كان استودع مولى له سفطاً يكون عنده . فجاؤه فقالوا : السفط الذي كان استودعك عمر . (فقال) : ما لكم فيه خير . فأبوا . حتى رفعوا ذلك إلى يزيد بن عبد الملك ، فدعا بالسفط ، ودعا بني أمية وقال : حبركم هذا قد وجدنا له سفطاً وديعة قد استودعها . فدعا به ، فجاؤا به ففتحوه ، فإذا فيه مقطعات من مسح كان يلبسها بالليل .

قال : حدثنا عبد الله بن عمر ، عن أبيه قال : أوصى عمر بن عبد العزيز بصندوق مقفل أن يطرح في البحر . فقيل لزوجته : أي شيء كان فيه ؟ قالت : جامعة وأطمار كان يطرح نفسه فيها بالليل .

قال : حدثنا ضمرة ، عن الأوزاعي ، قال : كان لعمر بن عبد العزيز خوخة ، مما يلي المغرب ، فكان إذا أبطأ عليه المؤذن للمغرب ، بعث اليه أن : أذن ، فقد حضر الوقت .

قال : حدثنا وكيع ، عن صالح بن سعيد [1] المؤذن ، قال : بينا أنا وعمر بن عبد العزيز بالسويداء ؛ فأذنت بالعشاء الآخرة ، فصلى ثم دخل القصر ، فقلما لبث أن خرج ، فصلى ركعتين خفيفتين ؛ ثم جلس فاحتبى ، فافتتح الأنفال ، فما زال يرددها ويقرأ ، كلما مر بتخوف تضرع ، وكلما مر بآية رحمة دعا ، حتى أذنت الفجر .

قال : حدثنا حماد بن يزيد قال : أخبرنا يحيى أن عمر بن عبد العزيز كان يصوم الاثنين والخميس .

قال محمد بن سعد : وأخبرنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال: كان عمر بن عبد العزيز يسمر بعد العشاء الآخرة ، قبل أن يوتر ، فإذا أوتر لم يكلم أحداً .

قال : حدتنا اسماعيل ، عن عمر بن مهاجر ، عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يصوم الاثنين والخميس ، والعشر وعاشوراء ، وعرفة .

قال : حدثنا سعيد بن عامر ، عن اسماعيل بن أبي حكيم ، قال : كان عمر بن عبد العزيز لا يدع النظر في المصحف كل يوم ، ولكنه لا يكثر .

---

(١) في المختصر « سعد » .

قال : حدثنا الحكم بن عمر الرعيني قال : رأيت عمر بن عبد العزيز إذا صلى المكتوبة انصرف إلى أهله . ولا يتطوع .

قلما يدع يوماً يقرأ في المصحف فلا يطيل :

قال : حدثنا سعيد بن عامر ، عن اسماعيل بن أبي حكيم . قال : كان عمر بن عبد العزيز قلما يدع يوماً يقرأ في المصحف بالغداة ، فلا يطيل .

قال حوسرة : لا أدري من حدث عن اسماعيل وغيره ، قال : قال لمزاحم : أبغني رجلا لمصحفي . فأتاه رجل فأعجبه ، فقال : من أين أصبت هذا ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! دخلت بعض الخزائن . فأصبت هذه الخشبة ، فاتخذت منها رجلا . قال : ويحك ! انطلق فأقمه في السوق. قال : وجاء به قد قومه نصف دينار . فقال : يا أمير المؤمنين ! قد قومته نصف دينار . قال : نرى أن تضع في بيت المال ديناراً لنسلم منه . قال مزاحم : إنما قوموه نصف دينار . قال : ضع في بيت المال دينارين .

الباب التاسع والعشرون

(في ذكر بكائه وحزنه)

قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : دخل على عمر بن عبد العزيز رجل يقال له : ابن الأهتم ، فلم يزل يعظه وعمر يبكي حتى سقط مغشياً عليه .

قال : أخبرني رجل من بني ضبة قال : شهدت رجلا يقرأ عند عمر بن عبد العزيز ، فلما انتهى إلى هذه الآية : ﴿ فَمَنَّ اللهُ علينا ووقانا عذابَ السَّمُوم ﴾ [1] . بكى عمر حتى اشتد بكاؤه ، ثم ازداد بكاء ، فلم يزل يبكي حتى غشي عليه :

قال : حدثنا محمد بن أبي حميد ، عن ابراهيم بن عبيد بن رفاعة ، قال : شهدت عمر بن عبد العزيز ، ومحمد بن قيس يحدثه ، فرأيت عمر يبكي حتى اختلفت أضلاعه .

قال : حدثني عبد السلام ، مولى مسلمة بن عبد الملك ، قال : بكى عمر بن عبد العزيز ، فبكت فاطمة ، فبكى أهل الدار ، لا يدري هؤلاء ما أبكى هؤلاء ! فلما تجلى عنهم العسر قالت له فاطمة : بأبي أنت ،

(١) سورة الطور ، الآية : ٢٧ .

يا أمير المؤمنين . مم ّ بكيت ؟ قال : ذكرت ، يافاطمة ! منصرف القوم من بين يدي الله ، فريق في الجنة وفريق في السعير . قال : ثم صرخ وغشي عليه :

قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن عبيد ، عن سفيان ، قال : كان عمر بن عبد العزيز يوماً ساكتاً ، وأصحابه يحدثون . فقال له : مالكَ لا تتكلم ياأمير المؤمنين ؟ قال : كنت مفكراً في أهل الجنة كيف يتزاورون فيها ! وفي أهل النار كيف يصطرخون فيها ! ثم بكى .

كأن عليه بث هذه الأمة :

قال : حدثنا النضر بن عدي قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز ؛ فرأيته هكذا قد نصب ركبتيه ، ووضع يديه عليها ، وذقنه على ركبتيه ؛ كأن عليه بث هذه الأمة .

ثم بكى حتى جعلت أرثي له :

قال : حدثنا زياد بن أبي زياد المدني قال : أرسلني مولاي ، ابن عياش بن أبي ربيعة ، إلى عمر بن عبد العزيز في حوائج له . قال : فدخلت عليه ، وعنده كاتب له يكتب ، فقلت : السلام عليكم ! فقال : وعليكم السلام ، ثم انتهيت فقلت : السلام عليك ، يا أمير المؤمنين ، ورحمة الله ، فقال : يا ابن أبي زياد ! إنّا لسنا ننكر عليك الأول الذي قلت — والكاتب يقرأ عليه مظالم جاءت من البصرة — فقال لي : اجلس . فجلست على أسكفة الباب ، وهو يقرأ عليه ؛ وعمر يتنفس الصعداء ، فلما أخرج من كان في البيت ، حتى انصرف من كان فيه ، ثم قام يمشي إليّ حتى جلس بين يدي ، ووضع يديه على ركبتي ، ثم قال : يا ابن أبي زياد استدفأت بمدرعتك ، وعلي مدرعة من صوف ، واسترحت بما نحن فيه . قال : ثم سألني عن صلحاء أهل المدينة ورجالهم ونسائهم ، قال : فما ترك منهم أحداً إلاّ سألني عنه ، وسألني عن أمور كان أمر

بها بالمدينة ، فأخبرته . ثم قال لي : يا ابن أبي زياد ! ألا ترى ما وقعت فيه ؟ قال : قلت : يا أمير المؤمنين ! إنّي لأرجو لك خيراً . قال : هيهات هيهات . قال : ثم بكى حتى جعلت أرثي له . قال : قلت ياأمير المؤمنين ! بعض ما تصنع ، فإني لأرجو لك خيراً . قال : هيهات هيهات : أشتم ولا أشتم ، وأضرب ولا أضرب ، وأوذي ولا أوذى . قال : ثم بكى حتى جعلت أرثي له . قال : وأقمت حتى قضى حوائجي ، وكتب إلى مولاي يسأله أن يبيعني منه . ثم أخرج من تحت فراشه عشرين ديناراً فقال : استعن بهذه ، فإنه لو كان لك في الفيء حق أعطيناك حقك ، ولكنك عبد . قال : فأبيت أن آخذها ، فقال : إنما هي من نفقتي . فلم يزل بي حتى أخذتها ، وكتب إلى مولاي يبيعني منه فأبى وأعتقني .

قال : حدثنا خالد بن صفوان ، عن ميمون بن مهران ، قال : خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة ، فلما نظر إلى القبور بكى ثم أقبل عليّ فقال : يا أبا أيوب ، هذه قبور آبائي بني أمية ، كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذتهم وعيشهم . أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات ؟ واستحكم فيهم البلى ؟ وأصابت الهوام في أبدانهم مقيلا ؟ قال : ثم بكى حتى غشي عليه ، ثم أفاق ، فقال : انطلق بنا ، فوالله ما أعلم أحد أنعم ممن صار إلى هذه القبور ، وقد أمن من عذاب الله .

قال : حدثنا فياض بن محمد ، عن عطاء ، قال : كان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء ، يتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ، ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة .

قال : حدثنا عبد الله بن الزبير قال : سمعت القداح يذكر أن عمر بن عبد العزيز كان إذا ذكر الموت انتفض انتفاض الطير ، وبكى حتى تجري دموعه على لحيته .

قال : حدثنا سعيد قال : بلغنا أن عمر بن عبد العزيز كان إذا ذكر (الموت) اضطربت أوصاله .

حدّثوها أن الفرح أمامها :

قال : حدثنا الحسن بن عميرة قال : اشترى عمر بن عبد العزيز جارية أعجمية . فقالت : أرى الناس فرحين ، ولا أرى هذا يفرح . فقال : ما تقول لكع فقيل له : إنها تقول كذا وكذا . فقال : ويحها ! حدّثوها أن الفرح أمامها .

ما رأيته بعد ذلك مبتسماً حتى مات :

قال : حدثني ابراهيم بن مهدي قال : سمعت أخاً لشعيب بن صفوان يذكر عن بعض المشيخة ، عن مولى لعمر بن عبد العزيز قال : استيقظ ذات ليلة باكياً ، فلم يزل يبكي حتى استيقظت . قال : وكنت أبيت معه ، وربما منعني النوم كثرة بكائه . قال : فأكثر ليلتئذٍ البكاء جداً . فلما أصبح دعاني فقال : أي بني : ليس الخير أن يسمع لك ويطاع ، إنما الخير أن تكون قد عقلت عن ربك ثم أطعته . يا بني ! لا تأذن اليوم لأحد عليّ حتى أصبح ويرتفع النهار ، فإني أخاف أن لا أعقل عن الناس ولا يفهمون عني . قلت : بأبي أنت ، يا أمير المؤمنين؟ رأيتك الليلة بكيت بكاء ما رأيتك بكيت مثله . قال : فبكى ثم بكى : ثم قال : يا بني ! إني والله ذكرت الوقوف بين يدي الله . قال : ثم أغمي عليه فلم يفق حتى علا النهار . قال : فما رأيته بعد ذلك مبتسماً حتى مات .

قال محمد بن الحسين : قال : حدثني من شهد عمر بن عبد العزيز وهو أمير المؤمنين ، وقرأ عنده رجل : ﴿ وإذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دعَوْا هُنالكَ ثُبوراً ﴾ (١) فبكى عمر حتى غلبه البكاء ، وعلا نشيجه ، فقام من مجلسه ، فدخل بيته وتفرق الناس .

---

(١) سورة الفرقان ، الآية : ١٣ .

ما رأيت أحداً من خلق الله أكثر بكاء منه :

قال : حدثنا سعيد بن أبي عروبة أن عمر بن عبد العزيز قال لابنه : اقرأ. قال: ما أقرأ؟ قال : اقرأ سورة ق. فقرأ حتى إذا بلغ: ﴿وجاءت سَكْرةُ المَوْتِ بالحقِّ ذلكَ ما كُنْتَ منْهُ تَحِيدُ﴾ [1] بكى ثم قال : اقرأ ؟ اقرأ يابني ! قال : ما أقرأ ؟ قال : اقرأ سورة ق ، فقرأ حتى إذا بلغ ذكر الموت ، بكى أيضاً بكاء شديداً ، يفعل ذلك مراراً .

قال : حدثنا أبو مودود قال : بلغنا أن عمر بن عبد العزيز قرأ ذات يوم : ﴿ومَا تَكُونُ في شأنٍ ومَا تَتْلو منْهُ من قُرْآنٍ ولاَ تعْمَلونَ منْ عملٍ إلاّ كنّا عَلَيْكُم شُهوداً إذْ تُفيضونَ فيه﴾ [2] . فبكى بكاء شديداً حتى سمعه أهل الدار ، فجاءت فاطمة ، فجلست تبكي لبكائه . وبكى أهل الدار لبكائهما . فجاء عبد الملك . فدخل عليهم وهم على تلك الحال يبكون ، فقال : يا أبة ! ما يبكيك ؟ قال : خير يابني ، ود أبوك أنه لم يعرف الدنيا ولم تعرفه . والله ، يابني ، لقد خشيت أن أهلك . والله ، يابني لقد خشيت أن أكون من أهل النار .

قال : حدثنا الفضيل بن موسى ، عن مقاتل بن حبان ، قال : صليت خلف عمر بن عبدالعزيز فقرأ: ﴿وقِفُوهُمْ إنّهُمْ مَسْؤولون﴾ [3] فجعل يكررها لا يستطيع أن يجاوزها — يعني من البكاء — .

قال عبد الأعلى بن عبد الله الغزي [4] قال : رأيت عمر بن عبد العزيز خرج يوم جمعة في ثياب دسمة ، ووراءه حبشي يمشي . فلما انتهى إلى الناس ، رجع الحبشي ، فكان عمر إذا انتهى إلى الرجلين : قال :

---

(١) سورة ق ، الآية : ١٩ .
(٢) سورة يونس ، الآية : ٦١ .
(٣) سورة الصافات ، الآية : ٢٤ .
(٤) في المختصر : « العتري » .

هكذا ، رحمكما الله . حتى صعد المنبر ، فخطب ، فقرأ : ﴿ إذا الشمس كُوِّرتْ * وإذا النُّجُومُ انْكدَرَتْ * حتى إذا انتهى إلى — وإذَا الجحيمُ سُعِّرتْ * وإذا الجنّةُ أزْلِفَتْ ﴾ [1] . فبكى ، وأبكى أهل المسجد ، حتى ارتج المسجد بالبكاء ، حتى رأيت حيطان المسجد تبكي معه .

قال : حدثني شيخ من مكة قال : رأيت عمر بن عبد العزيز يبكي على المنبر ، ما يستطيع أن يتكلم من شدة البكاء .

قال : حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن قيس ، قال : سلم عمر بن عبد العزيز يوماً من الظهر ، ثم قال : يا أبا ابراهيم ! ذكّرنا الجنة والنار . قال : ذكرت ، فما رأيت أحداً من خلق الله أكثر بكاء منه .

قال : أخبرني شيخ من أهل خراسان قال : لما أراد أبو جعفر بيت المقدس ، نزل براهب كان ينزل به عمر بن عبد العزيز إذا أراد بيت المقدس . فقال : ياراهب ! أخبرني بأعجب شيء رأيت من عمر بن عبد العزيز . قال : نعم يا أمير المؤمنين ، بينا عمر عندي ذات ليلة ، على سطح غرفتي هذه — وهو من رخام — وأنا مستلق على قفاي ، فإذا أنا بماء يقطر من الميزاب على صدري . فقلت : والله ، ما عندي ماء ، ولا رشت السماء مطراً . فصعدت . فإذا هو ساجد ، وإذا دموع عينيه تنحدر من الميزاب .

قال : حدثنا أصحابنا الحجيون قال : لما رفع عمر بن عبد العزيز رأسه من السجود ، خلف المقام ، نظروا إلى موضع سجوده مبتلاً من دموعه .

قال : حدثنا أبو المليح ، عن ميمون بن مهران ، قال : قرأ عمر

---

(١) سورة التكوير ، الآيات : ١ – ١٣ .

ابن عبد العزيز : ﴿ أَلهاكُمُ التَّكاثُرُ ﴾ [1] فبكى ، ثم قال : ﴿ حتّى زرتُمُ المَقَابر ﴾ [2] ما أرى المقابر إلاّ زيارة ، ولا بد لمن زار أن يرجع إلى الجنة أو إلى النار .

قال : حدثنا صبيح بن بزيع ، عن الأوزاعي ، عن ميمون بن مهران، قال : حدثت عمر بن عبد العزيز بحديث فيه شِدّة ، فلم يزل يبكي حتى بكى الدم .

قال : حدثنا الوليد قال : سمعت رجلا يحدث الأوزاعي ، عن جسر ، عن عمر بن عبد العزيز . قال : ذكرنا شيئاً مما كان فيه ، فبكى حتى رأينا خلل الدم في الدمع . فقال الأوزاعي : قد بلغنا البكاء عن البكّائين ، عن داود عليه السلام ، فَمَنْ دونه ، ما بلغنا أن أحداً صار (إلى) هذا غير عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله .

قال : حدثنا الوليد بن مسلم ، عن مَنْ سمع حسن بن الحسين ، يقول : رأيت عمر بن عبد العزيز بكى ، حتى رأيته بكى الدم .

قال : حدثنا عن ميمون بن مهران،قال: قال عمر بن عبد العزيز: حَدِّثْني ياميمون ! قال : فحدثته حديثاً بكى منه بكاء شديداً ، فقال : يا أمير المؤمنين ! لو علمتُ أنك تبكي هذا البكاء ، لحدثتك بحديث ألين من هذا . فقال : ياميمون ! إنّا نأكل هذه الشجرة العدس ، وهي ، ما علمْتَ ، مُرِقّة للقلب ، مُغزِرة للدمعة ، مُذلّة للجسد .

إياك أن تخلو بامرأة غير ذات محرم :

قال ميمون : ودعاني عمر فقال : إنّي أوصيك بوصية فاحفظها :

(١) سورة التكاثر ، الآية : ١ .
(٢) سورة التكاثر ، الآية : ٢ .

إياك أن تخلو بامرأة غير ذات محرم ، وإن حدّثتك نفسك أن تعلمها القرآن ! .

قال : حدثنا جعفر بن سيدان الازدي ، عن أبي عبد الله الحرشي ، قال : سمعت بعض العلماء ، ممن قدم على عمر بن عبد العزيز ، يقول : الصامت على علم ، كالمتكلم على علم . فقال عمر : إني لأرجو أن يكون المتكلم على علم أفضلهما يوم القيامة حالا ، وذلك لأن منفعته للناس ، وهذا صمته لنفسه . فقال : يا أمير المؤمنين ! وكيف بفتنة المنطق ؟ فبكى عمر بن عبد العزيز بكاء شديداً .

الباب الثلاثون[1]

(في ذكر خوفه من الله تعالى)

نغّص علينا أمير المؤمنين الحياة منذ ولي ، فليته لم يلِ :

قال : حدثنا عمرو بن جرير قال : حدثني أبو سريع الشامي قال : قال عمر بن عبد العزيز لرجل من جلسائه : أبا فلان ! لقد أرقت الليلة مفكّراً . قال : فيمَ يا أمير المؤمنين ؟ قال : في القبر وساكنه [2] ، إنك لو رأيت الميت بعد ثلاثة — أو قال : ثالثة — في قبره ، لاستوحشت من قربه بعد طول الأنس منك بناحيته . ولرأيت بيتاً يجول فيه الهوام ، ويجري فيه الصديد ، وتخترقه الديدان ، مع تغير الريح ، وبلَى الأكفان ، بعد حسن الهيئة ، وطيب الريح ، ونقاء الثوب . قال : ثم شهق شهقة خر مغشياً عليه ، فقالت فاطمة : ويحك يا مزاحم ! أخرج هذا الرجل عنا ، فلقد نغص علينا أمير المؤمنين الحياة منذ ولي ، فليته لم يلِ . قال : فخرج الرجل ، وجاءت فاطمة ، فجعلت تصب على وجهه الماء وتبكي ، حتى أفاق من غشيته ، فرآها تبكي ! فقال : يا فاطمة ما يبكيك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ! رأيت مصرعك بين أيدينا ، فذكرت مصرعك بين يدي الله للموت ، وتخليك من الدنيا ، وفراقك لها . فذاك الذي أبكاني .

(١) من هنا بدأنا بنسخ نسختنا هذه على النسخة المصرية التي اعتمدنا عليها من الأول ، وعلى نسخة أخرى ، جاءتنا من مدينة حماة « في الشام » وعلى نسخة المختصر ، المطبوعة في بيبسيك .

(٢) نسخة حماة « في القبور وساكنيها » .

قال : حسبك يا فاطمة ! فلقد أبلغت . ثم مال ليسقط ، فضمته إلى صدرها – أو قال إلى نفسها – فقالت : بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين . مانستطيع أن نكلمك بكل ما نجد لك في قلوبنا . فلم يزل على حاله تلك حتى حضرت الصلاة ، فصبت على وجهه ماء ثم نادته : الصلاة يا أمير المؤمنين! فأفاق فزِعاً .

قال : حدثنا المغيرة بن حكيم قال : قالت لي فاطمة بنت عبد الملك. امرأة عمر بن عبد العزيز : يا مغيرة ! إنّه قد يكون في الناس من هو أكثر صلاة وصياماً من عمر . وما رأيت أحداً قط ، كان أشد فرقاً من ربه من عمر ، كان إذا صلى العشاء قعد في مسجده . ثم رفع يديه . فلم يزل يبكي حتى تغلبه عيناه ، ثم ينتبه . فلا يزال يبكي حتى تغلبه عيناه.

قال : حدثنا المغيرة بن حكيم قال : قالت لي فاطمة بنت عبد الملك : يا مغيرة ! قد يكون من الرجال من هو أكثر صلاة وصياماً من عمر بن عبد العزيز . ولكن ، لم أر رجلا من الناس كان أشد فرقاً [1] من ربه . من عمر بن عبد العزيز . (كان إذا دخل بيته ألقى نفسه في مسجده . فلا يزال يبكي ويدعو . حتى) [2] تغلبه عيناه . فيسقط ، فيفعل مثل ذلك ليلته أجمع .

قد أخبرتك فاتعظي الآن أو دعي :

قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن عبيد الله القرشي ، عن عطاء . قال : دخلت على فاطمة بنت عبد الملك ، بعد وفاة عمر بن عبد العزيز . فقلت لها : يا بنت عبد الملك ! أخبريني عن أمير المؤمنين . قالت : أفعل ، ولو كان حياً ما فعلت ، إنّ عمر . رحمه الله ، كان قد فرّغ نفسه وبدنه للناس ، كان يقعد لهم يومه . فإن أمسى عليه بقية من حوائج الناس يومه.

---

(١) فرقاً : خوفاً .

(٢) من نسخة حماة .

وصله بليلته إلى أن أمسى مساء ، وقد فرغ من حوائج يومه ، فدعا بسراجه الذي كان يسرج له من ماله ، ثم قام فصلى ركعتين ، ثم أقعى [1] واضعاً رأسه على يده ، تسايل دموعه على خده، يشهق الشهقة ، وأقول: قد خرجت نفسه ، أو انصدعت كبده ، فلم يزل ليلته حتى برق له الصبح ، ثم أصبح صائماً ، قالت : فدنوت منه فقلت : يا أمير المؤمنين! لسي [2] ما كان فيك الليلة ، ما كان منك ، قال : أجل ، فدعيني وشأني ، وعليك بشأنك ، قالت : قلت له : لأني لأرجو أن أتعظ ، قال : إذن أخبرك ، إني نظرت إليّ ، فوجدتني قد وليت أمر هذه الأمة : صغيرها وكبيرها ، وأسودها وأحمرها ، ثم ذكرت الغريب الضائع ، والفقير المحتاج ، والأسير المفقود ، وأشباههم ، في أقاصي البلاد ، وأطراف الأرض ،فعلمت أن الله سائلي عنهم ، وأن محمداً ﷺ حجيجي فيهم ، فخفت أن لا يثبت لي عند الله عذر ، ولا يقوم لي مع رسول الله ﷺ حجة ، فخفت على نفسي خوفاً دمعت له عيني ، ووجل له قلبي ، وأنا كلما ازددت لها ذكراً ، ازددت منه وجلاً ، وقد أخبرتك ، فاتعظي الآن أو دعي .

قال : حدثني محمد بن أيوب الشامي قال : حدثني مولى لنا قال : بكت فاطمة بنت عبد الملك حتى عشي بصرها ، فدخل عليها أخواها : مسلمة وهشام ابنا عبد الملك ، فقالا : ما هذا الأمر الذي قدمت عليه ؟ أجزعُك على بعلك ؟ فأحق من جزع على مثله ، أم على شيء فاتك من الدنيا ؟ فها نحن بين يديك ، وأموالنا ، وأهلونا . فقالت : ما من كل جزعت . ولا على واحدة منها أسفت [3] ولكني ، والله ، رأيت منه ليلة منظراً ، فعلمت أن الذي أخرجه إلى ذلك ، الذي رأيت منه هول عظيم ، قد أسكن قلبه معرفته . قالا : وما رأيت منه ؟ قالت : رأيته

(١) أقعى : الرجل في جلوسه : تساند إلى ما وراءه .
(٢) لسى : اللسا : الكثير .
(٣) في نسخة حماه « أشفقت » .

ذات ليلة قائماً يصلي . فأتى على هذه الآية : ﴿ يَوْمَ يكونُ النّاس كالْفَراش المبْثُوثِ * وتَكُونُ الجبَالُ كالْعِهْنِ المنْفوش ﴾ [1] فصاح : « واسوء صباحاه » ! ثم وثب ، فسقط ، فجعل يخور حتى ظننت أن نفسه ستخرج ، ثم أنه هدأ ، فظننت أنه قد قضى . ثم أفاق افاقة . فنادى : « ياسوء صباحاه » ! ثم وثب ، فجعل يجول في الدار ، ويقول : « ويلي من يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش » . قالت : فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر ، ثم سقط كأنه ميت ، حتى أتاه الآذان للصلاة ، فوالله ما ذكرت ليلته تلك ، إلاّ غلبتني عيناي ، فلم أملك رد عبرتي .

قال : حدثنا عبد الرحمن ، عن مالك ، قال : قال عمر بن عبد العزيز لما خرج من المدينة : يا مزاحم ! نخشى أن نكون ممن نفت المدينة .

قال الشيخ أبو الفرج المصنف : إنما أشار إلى قول النبي ، ﷺ ، في صفة المدينة : « تنفي خبثها » .

كان يكثر أن يقول : « اللهم سلم سلم » :

قال : حدثنا عباس بن عقبة قال : بلغني أن عمر بن عبد العزيز كان يكثر أن يقول : « اللهم سلم سلم » .

قال : حدثنا عبد الله بن الوليد بن أبي السائب قال : سمعت أبي يقول : ما رأيت أحداً قط كان الخوف على وجهه أبين منه على عمر ابن عبد العزيز .

قال : حدثنا سليمان بن بشير ، عن مسافع بن شيبة ، أنه أتى عمر ابن عبد العزيز ، ومعه ابن له فقال له : أما ابنك فأنزله دار الضيفان ، وأما أنت فانزل معي في البيت . وكانت امرأة عمر بن عبد العزيز ذات

---

(١) سورة القارعة : الآيتان : ٤ – ٥ .

قرابة له . فصلى عمر المغرب بالناس ثم دخل البيت . فدخل إلى مسجده في البيت ، فجعل يصلي ، فأطال الصلاة ، وجعل يبكي . فقالت له امرأته : يا أمير المؤمنين ! انصرف فعشِّ ضيفك ثم شأنك بعد . فانصرف ، فأقبل كأنه يعتذر ، فقال : يامسافع ! كيف يشبع رجل من الطعام والشراب ، وليس أحد ، من المشرق والمغرب ، يظلم بظلامته إلاّ كنت أنا صاحبه ؟ .

حسبي عمل يوم في يومه ، فكيف بعمل يومين ؟

قال : حدثني موسى بن علي قال : سمعت حري بن عبد العزيز يحدث عن أخيه ريان بن عبد العزيز قال : قلت لعمر بن عبد العزيز للذي رأيته فيه يا أمير المؤمنين ! لو تروحت وركبت . قال : كيف لي بعمل ذلك اليوم ؟ قلت : يكون في اليوم الذي يليه . قال : حسبي [1] عمل يوم في يومه . فكيف بعمل يومين في يوم ؟ قال : قلت له : قد كان سليمان بن عبد الملك يركب ويتروح ، وهو في ذلك مجزي . فقال عمر : ولا يوم واحد من الدنيا يجزيه .

قال : حدثنا سلام بن أبي مطيع قال : نبئت أن عمر بن عبد العزيز لما قام ، هاجت ريح ، فدخل عليه رجل ، فإذا هو ممتقع اللون . فقال : يا أمير المؤمنين ! مالكَ ؟ قال : ويحك ! وهل هلكت أمة قط [2] ، إلا بالريح ؟ ! .

قال : حدثنا اسماعيل بن عياش ، عن عتبة بن تميم ، وغيره ، أن عمر بن عبد العزيز كان يقول : وأيم الله ! لو أعلم أنه يسوغ لي ، فيما بيني وبين الله ، أن أخليكم وأمركم هذا ، وألْحَقَ بأهلي ، لفعلت . ولكني أخاف أن لا يسوغ ذلك لي ، فيما بيني وبين الله .

---

(١) في نسخه حماه « قدني » .
(٢) كذا في نسخة حماه وفي نسخه مصر « أمه لوط » وفي المختصر « هلك أمر قط » .

قال : حدثنا مقاتل بن حيان ، قال : صليت خلف عمر بن عبد العزيز ، فقرأ : ﴿ وقِفُوهُم إنَّهُم مسْؤولُونَ ﴾[1] . فجعل يكررها حتى لا يستطيع أن يجاوزها .

قال : حدثنا محمد بن سعيد قال : قال يزيد بن جوشب : ما رأيت أخوف من الحسن . وعمر بن عبد العزيز ، كأن النار لم تخلق إلاّ لهما .

قال : حدثنا سعيد . وحدثنا أشعث ، عن أرطأة بن المنذر ، قال : كان عند عمر بن عبد العزيز نفر يسألونه أن يتحفظ في طعامه . ويسألونه أن يتنحى عن الطاعون ، ويخبرونه أن الخلفاء قبله قد كانوا يفعلون ذلك. فلما أكثروا عليه قال : اللهم ! إن كنت تعلم إني أخاف يوماً دون يوم القيامة ، فلا تؤمن خوفي .

إن لي عقلاً أخاف أن يعذبني الله عليه :

قال : حدثنا أرطأة قال : قيل لعمر بن عبد العزيز : لو جعلت على طعامك أميناً . لا تُغتال . وحرساً إذا صليت ، لا تُغتال . وتنح عن الطاعون. قال : اللهم ! إن كنت تعلم إني أخاف يوماً دون يوم القيامة . فلا تؤمن خوفي .

قال : حدثنا صالح بن داود قال : قال عمر بن عبد العزيز لرجاء : يا رجاء ! إن لي عقلاً أخاف أن يعذبني الله عليه .

قال : حدثنا مردويه الصائغ قال : سمعت فضيل بن عياض يقول : بكى عمر بن عبد العزيز يوماً . فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : تلومني أن أبكي ؟ ولو أن سخلة هلكت على شاطىء الفرات ، لأخذَ بها عمر يوم القيامة .

قال : حدثنا الغلابي قال : حدثني رجل . أن عمر بن عبد العزيز ،

---

(١) سورة الصافات ، الآية : ٢٤ .

رضي الله عنه، قرأ عنده قارئ مرة . فقال له مسلمة : لحنت[1] . فقال له عمر : ما شغلك معناها عن لحنه .

قال : حدثنا عثمان بن عبد الحميد بن لاحق قال : سمعت أبي قال : قرأ رجل عند عمر بن عبد العزيز سورة ، وعنده رهط قال بعض القوم : لحن . فقال له عمر : أما كان فيما سمعت ما يشغلك عن اللحن ؟ .

قال : حدثنا النضر بن عدي قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، وكان لا يبكي ، إنما هو منقبض ، وكأنَّ عليه حزن الخلق .

قال : حدثنا الحميدي ، عن سفيان ، قال : سمع عمر بن عبد العزيز رجلا يقول [2] : عَدَلَ ، والله عمر بن عبد العزيز في الأمة . قال : فبكى عمر . وقال : وددت ، والله ، أنه كما قلت ومن لعمر بالذي قلت ؟ رحمك الله ! .

قال : أخبرني أشهب قال : قال مالك : دخل عمر بن عبد العزيز على فاطمة ، امرأته ، فطرح عليها خلق ساج [3] عليه ، ثم ضرب على فخذها . فقال : يا فاطمة ! لنحنُ ليالي دابق أنعم منا اليوم . فذكرها ما كانت نسيته من عيشها . فضربت يده ضربة فيها عنف . فنحّتْها [4] عنها . وقالت : لعمري لأنت اليوم أقدر منك يومئذ . فقام وهو يقول بصوت حزين : يافاطمة ! إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم . فبكت فاطمة . وقالت : اللهم ! أعذه من النار .

قال : حدثنا سعيد بن عمر : أن عمر كان إذا ذكر الموت اضطربت أوصاله .

---

(١) لحن : أخطأ في القراءة .

(٢) في نسخة حماه « سمعت رجلا عند عمر بن عبد العزيز يقول »

(٣) في نسخة حماه « وساج » . ساج : طيلسان ، قلنسوة . خلق : بالي ، عتيق .

(٤) في نسخة حماه « فتنحى » .

ادع لي بالموت :

قال : حدثنا عبد الله بن عثمان قال : قال عبد الله – يعني ابن المبارك – قال عمر بن عبد العزيز : إني نظرت في أمري وأمر الناس ، فلم أرَ شيئاً خيراً من الموت . قال عبد الله : يعني لفساد الناس وما داخَلَهم . فقال لقاصِّه محمد بن قيس : أدع لي بالموت ، قال : فأبيت، وأبى عليّ ، قال : فدعوت له . وعمر رافع يديه يؤمِّن على دعائي وهو يبكي : قال : وحضر ابن له صغير ، فلما رأى عمر يبكي بكى ، فقال عمر : وهذا مَعَنا . قال : فدعوت بذلك أيضاً ، قال : يقول محمد بن قيس : واستحييت ، فدعوت لنفسي أيضاً معهم ، قال : فعرف الله الصدق من عمر ، فلم يلبث إلاّ قليلاً حتى مات ، ومات ابنه كذلك،وبقي محمد بن قيس بعدُ .

الباب الحادي والثلاثون

(في ذكر مناجاته ودعائه)

رحمتك وسعت كل شيء وأنا شيء :

قال : حدثنا غالب القطان قال : قال عمر بن عبد العزيز : « اللهم ! إن لم أكن أهلاً أن أبلغ رحمتك ؛ فإن رحمتك أهل أن تبلغني ، فإن رحمتك وسعت كل شيء ، وأنا شيء ، فلتسعني رحمتك ، يا أرحم الراحمين . اللهم ؟ إنك خلقت قوماً فأطاعوك فيما أمرتهم به ، وعملوا في الذي خلقتهم له ، فرحمتك إياهم كانت قبل طاعتهم لك ، يا أرحم الراحمين ! » .

قال : ...... [1] حدثني أبي ، عن أبيه ، عن جده ، أن عمر بن عبد العزيز كان يقول : « اللهم ! إن رجالاً أطاعوك فيما أمرتهم ، وانتهوا عما نهيتهم ، اللهم ! وإن توفيقك إياهم كان قبل طاعتهم إياك ، فوفقني » .

قال : حدثنا عبيد الله [2] ، ابن عبد الملك قال : كان عمر بن عبد العزيز يقول : « اللهم ! أصلح من كان في صلاحه أمة صلاح أمة محمد ، أللهم ! أهلك من كان في هلاكه صلاح أمة محمد » .

قال : وأخبرني من رأى عمر بن عبد العزيز واقفاً : بعرفة ، وهو يدعو ويقول ، بأصبعه هكذا — يعني يشير بها — ويقول : « اللهم !

---

(١) بياض .

(٢) في نسخة حماه « عبد الله » .

زد مُحسِنَ أمة محمد احساناً . وأرْجِعْ مُسيئهم إلى التوبة » . ثم يقول هكذا ، ثم يشير بأصبعه : « اللهم ! وحُطّ من أوزارهم برحمتك » .

قال : حدثنا عبد الوهاب قال : أخبرني رجل قال : حججت عاماً ، فلما كان عشية عرفة ، قلت : لأتفرغن اليوم . فأستمع دعاء عمر بن عبد العزيز . قال : فوالله ، ما كان له من الدعاء . من حين وقف حتى دفع الناس . إلاّ أن يقول : « اللهم ! سلّمْ لي ديني ،ومُنّ عليّ بطاعتك ، ورضاك عني ، وترك ما لا يعنيني » . يرددها حتى غربت الشمس .

اللهم اغفر لي ما بينهما :

قال : حدثني الزبير بن بكار قال : قال عمر بن عبد العزيز : « اللهم إنّي أطعتك في أحب الأشياء إليك ، وهو التوحيد ، ولم أعصك في أبغض الأشياء اليك . وهو الكفر [1] . فاغفر لي ما بينهما » .

قال : حدثني عبد الله بن عمر بن عبد العزيز قال : ما قلب عمر ابن عبد العزيز نظره [2] إلى نعمة أنعم الله ، عز وجل بها عليه إلاّ قال : « اللهم ! إنّي أعوذ بك أن أبدّل نعمة الله كفراً ، أو أن أكفرها بعد معرفتها ، أو أن أنساها . فلا أثني عليك بها » .

قال : حدثني مالك ، عن يحيى بن سعيد . أن عمر بن عبد العزيز كان يقول : لقد تركتني هذه الدعوات . ومالي في شيء من هذه الأمور كلها أرب إلاّ في مواقع قدر الله . وكان كثير مما يدعو به : « اللهم ! رَضني بقضائك ، وبارك لي في قدرك . حتى لا أحب تعجيل شيء أخرته ، ولا تأخير شيء عجلته » .

قال : حدثني عباس بن عقبة قال : بلغني أن عمر بن عبد العزيز كان يكثر أن يقول : « اللهم سلم سلم » .

---

(١) في نسخة حماه « الشرك » .
(٢) في نسخة مصر : « بصره » .

الباب الثاني والثلاثون

(في ذكر خطبه ومواعظه)

قال الشيخ الامام جمال الدين . أيده الله تعالى : قد ذكرنا شيئاً من خطبه ومواعظه ، في باب ولايته وغيرها مما لم يحسن فصله من الفصل الذي هو فيه ، ولم نَـرَ اعادته .

من صحبنا فليصحبنا بخمس :

قال : حدثني محمد بن سلام : عن سلام بن سليم ، قال : لما ولي عمر بن عبد العزيز ، صعد المنبر : وكان أول خطبة خطبها ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« يا أيها الناس ! من صحبنا فليصحبنا بخمس [1] ، وإلاّ فلا يقربنا : يرفع الينا حاجة من لا يستطيع رفعها ، ويعيننا على الخير بجهده ، ويدلنا من الخير على ما لا نهتدي اليه ، ولا يغتابَنّ عندنا الرعيّة ، ولا يعترض فيما لا يعنيه » .

فانقشع عنه الشعراء والخطباء ، وثبت الفقهاء والزهاد ، وقالوا : ما يسعنا أن نفارق هذا الرجل حتّى يخالف فعلُه قولَه .

---

(١) في نسخة ـ سماه « بخمس خصال » .

ليس بين الجنة والنار منزلة :

قال : حدثني أبو عبد الله الأزدي ، عن الحسن بن محمد الخزاعي ، عن رجل من ولد عثمان بن عفان ، أن عمر بن عبد العزيز قال في بعض خطبه [1] :

« إنّ لكلّ سفرٍ زاداً لا محالة ، فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة ، وكونوا كمن عاين ما أعد الله تعالى من ثوابه وعقابه ، ترغبون وترهبون ، ولا يطولنّ عليكم الأمد فتقسو قلوبكم ، وتنقادوا لعدوكم ، فإنه ، والله ، ما بسط أمل من لا يدري ، لعله لا يصبح بعد مسائه ، ولا يمسي بعد صباحه ، وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا ، فكم رأينا ورأيتم من كان بالدنيا مغترّاً ، وإنما تقرُّ عينُ من وثق بالنجاة من عذاب الله ، وإنما يفرح من أمن من أهوال يوم القيامة ، فأما من لا يبرأ من كَلْم إلاّ أصابه جرح من ناحية أخرى ، أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى نفسي عنه ، فتخسر صفقتي ، وتظهر عيلتي ، وتبدو مسكنتي ، في يوم يبدو فيه الغنى والفقر ، والموازين منصوبة ، لقد عُنيتم بأمر ، لو عنيت به النجوم لانكدرت ، ولو عنيت به الجبال لذابت ، ولو عنيت به الأرض لتشققت ، أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة ، وأنكم صائرون إلى إحداهما » .

قال : حدثنا عمر بن محمد المكي قال : خطب عمر بن عبد العزيز فقال :

« إن الدنيا ليست بدار قرار ، دار كتب الله عليها الفناء ، وكتب على أهلها منها الظعن ، فكم عامر موثق عما قليل يخرب ، وكم مقيم مغتبط عما قليل يظعن ، فأحسنوا ، رحمكم الله ، منها الرحلة ، بأحسن ما يحضر بكم من النقلة ، وتزودوا ، فإن خير الزاد التقوى . إنما الدنيا

(١) كذا في نسخة حماه وفي نسخة القاهرة « خطبته » .

كفيء ظلال قلص فذهب ، بينا ابن آدم في الدنيا منافس ، وبها قرير عين ، إذ دعاه الله بقدره ، ورماه بيوم حتفه ، فسلبه آثاره ودنياه ، وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه . إن الدنيا لا تُسِرُّ بقدر ما تضر ، إنها تسر قليلاً ، وتجر حزناً طويلا » .

قال : حدثني عمر بن الوليد قال : خرج عمر بن عبد العزيز يوم جمعة ، وهو ناحل الجسم ، فخطب كما كان يخطب ، ثم قال :

« أيها الناس ! من أحسن منكم فليحمد الله ، ومن أساء فليستغفر الله ، فإنه لا بد لأقوامٍ أن يعملوا أعمالا وضعها الله في رقابهم ، وكتبها عليهم » .

قال : حدثنا محمد بن زيد قال : قال وهيب : خطب عمر بن عبد العزيز ذات يوم ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

« إن الله ، عز وجل ، لم يبعث نبياً بعد نبيه محمد ، ﷺ ، ولم ينزل كتاباً بعد كتابه الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ ، إلا وأن كل ما أنزل الله على نبيه محمد فهو الحق إلى يوم القيامة . ألا وإني لست بمبتدع ولكني متبع ، ألا وإني لست بخيركم ولكني أثقلكم حملا . ألا وإنَّ السمع والطاعة واجبان على كل مسلم ما لم يؤمر بمعصية ، فلا طاعة للمخلوق بمعصية الخالق . ألا هل أسمعت » ؟ (قالها ثلاثاً) .

أفضل العبادة أداء الفرائض واجتناب المحارم :

قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن رجاء بن حيوة ، قال : كان عمر بن عبد العزيز يخطب ، فيقول :

« أيها الناس ! من ألم بذنب فليستغفر الله ، عز وجل ، وليتب . فإن عاد فليستغفر ، وليتب . فإن عاد فليستغفر ، وليتب . فإنما هي خطايا مطوقة في أعناق الرجال ، وأن الهلاك ، كل الهلاك ، الإصرار عليها » .

قال : حدثنا عبد الملك بن قريب الأصمعي ، عن عدي بن الفضل ، قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب ، فقال :

« أيها الناس ! اتقوا الله ، وأجملوا في الطلب ، فإنه إنْ كان لأحدكم رزق في رأس جبل أو حضيض أرض يأتيه » .

قال : حدثنا معتمر بن سليمان قال : سمعت علي بن زيد بن جدعان يقول : شهدت عمر يخطب ، بخناصرة ، فسمعته يقول :

« ألا إن أفضل العبادة أداء الفرائض ، واجتناب المحارم » .

قال : حدثنا محمد بن عروة بن عنبسة ، وحدثنا سعيد بن عامر ، أن عنبسة بن سعيد قال لعمر بن عبد العزيز : إن الخلفاء قبلك كانوا يعطونا عطايا ، وإنّي لأراك طلقت هذا المال عن نفسك وأهلك ، وإن لنا عيلات [1] ، فأذن لنا فانرجع إلى ضياعنا وإلى عيالنا وأخداننا . فقال : أما إنّ أحبكم إليّ من فعل ذلك . فلما قفا ، دعاه عمر فقال : يا عنبسة ! أكثر ذكر الموت ، فإنك لا تكون في ضيق من أمر معيشتك فتذكر الموت إلا وسّعَ ذلك عليك .

قال : حدثنا حماد بن يزيد عن محمد بن عمرو ، قال : قال عنبسة ابن سعيد بن العاص : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، فلما ودعته وانصرفت ، ناداني : يا عنبسة ! يا عنبسة ! فأقبلت عليه ، فقال : أكثر من ذكر الموت ، فإنك لا تكون في واسع من الأمر إلاّ ضَيّقَ . ولا في ضيّق من الأمر إلاّ وسّع .

اغتنم الدمعة تسيلها على خدك :

قال : حدثني اسحاق بن منصور ، عن أبي الجودي ، قال : قال لي عمر بن عبد العزيز : يا أبا الجودى ! اغتنم الدمعة تسيلها على خدك لله .

(١) في نسخة القاهرة : « عيالات » .

قال : حدثنا مفضل بن يونس قال : قال عمر بن عبد العزيز : لقد نغص هذا الموت على أهل الدنيا ما هم فيه من نضارة الدنيا وزهرتها ، فبينا هم كذلك . وعلى ذلك ، إذا أتاهم حادٍ من الموت ، فاخترمهم مما هم فيه . فالويل والحسرة ، هنالك : لمن لم يحذر الموت ويذكره في الرخاء ، فيقدم لنفسه خيراً يجده بعد ما يفارق الدنيا وأهلها ، قال : ثم بكى عمر حتى غلبه البكاء ، فقام .

قال : حدثنا مرثد بن يزيد قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول: قيدوا نعمة الله بالشكر لله ، عز وجل .

قال القرشي : وحدثنا شريح بن يونس ؛ عن عمر بن عبد العزيز: ذكرُ النعمِ شكرٌ .

قال : حدثنا ابراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى الغساني قال : حدثني أبي . عن جدي ، قال : حج سليمان بن عبد الملك ومعه عمر بن عبد العزيز . فلما أشرف على عقبة عسفان . نظر سليمان إلى عسكره، فأعجبه ما رأى من حجره وأبنيته ، فقال : كيف ترى ما هاهنا ياعمر ؟ قال : أرى : يا أمير المؤمنين ، دنيا يأكل بعضها بعضاً أنت المسؤول عنها ، والمأخوذ بها ، فطار غراب من حجرة سليمان ينعب ، في منقاره كسرة ، فقال سليمان : ما ترى هذا الغراب يقول ؟ قال : أظنه يقول من أين دخلت هذه الكسرة ؟ وكيف خرجت ؟ قال : إناك لتجيء بالعجب يا عمر . فقال : إن أردت أن أخبرك بأعجب من هذا ، أخبرتك . قال: فاخبرني . قال : من عرف الله فعصاه . ومن عرف الشيطان فأطاعه ، ومن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن اليها . قال سليمان : غثثت علينا ما نحن فيه يا عمر ، وضرب دابته وسار ، فأقبل عمر حتى نزل عن دابته، فأمسك برأسها ، وذلك أنه سبق ثقله ، فرأى الناس كل من قدم شيئاً قدم عليه ؛ قال : فبكى عمر ، فقال سليمان : ما يبكيك ؟ قال : هكذا يوم القيامة ، من قدّم شيئاً قدِمَ عليه ، ومن لم يقدّمْ شيئاً قدِم على غير شيء .

قال . حدثنا جعفر بن حيان قال : أرسلني صالح بن عبد الرحمن إلى سليمان بن عبد الملك ، فقدمت عليه ، وعنده عمر بن عبد العزيز ، فقلت لعمر : هل لك حاجة إلى صالح ؟ فقال : قل له : عليك بالذي يبقى لك عند الله ، فإن ما بقي عند الله يبقى عند الناس ، وما لم يبق عند الله لم يبق عند الناس .

لا ينفع القلب إلا ما خرج من القلب :

قال : حدثنا شبابة ، عن خارجة بن مصعب ، عن محمد بن عمرو ، عن عمر بن عبد العزيز ، قال : لا ينفع القلب إلاّ ما خرج من القلب .

قال عبد الله : حدثني ابن معاذ ، عن شيخ من قريش ، قال : قال عمر بن عبد العزيز : يا معشر المستّرين ! إعلموا أن عند الله مسألة فاضحة ، قال تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

قال : حدثني بجدل الشامي ، عن أبيه ، وكان صاحباً لعمر بن عبد العزيز ، قال : رأيت عمر بن عبد العزيز يتلو على المنبر هذه الآية : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (٢) حتى ختمها ، فمال على أحد شقّيه يريد أن يقع .

قال : حدثنا سلام بن مسكين قال : سمعت بعض أصحابنا : أن عمر بن عبد العزيز صعد المنبر فقال :

« أيها الناس ! اتقوا الله ! فإن تقوى الله خلف من كل شيء ، وليس لتقوى الله خلف . يا أيها الناس ! اتقوا الله ! وأطيعوا من أطاع الله ، عز وجل ، ولا تطيعوا من عصى الله ، عز وجل » .

---

(١) سورة الحجر ، الآيتان : ٩٢ ، ٩٣ .
(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٤٧ .

وجدت هذا القلب لا يعبِّر عنه إلاَّ اللسان :

قال موسى بن اسماعيل . وحدثنا حازم قال : حدثني رجل قال : حدثني رجل ، يقال له : زيد ، أنه سمع عمر بن عبد العزيز يوم عيد ، وجاء راكباً ، فنزل فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم تلا ثلاث آيات من كتاب الله ، عز وجل ، ثم قال : يا أيها الناس ! إني وجدت هذا (القلب لا يعبِّر عنه إلاَّ) [1] اللسان ، ولعمري — وإن لعمري منِّي لحقّاً — [2] لوددت أنه ليس من الناس عبدٌ ابتلي بسعة إلاَّ نظَرَ قطيعاً من ماله يجعله في الفقراء والمساكين واليتامى والأرامل ، بدأت أنا بنفسي وأهل بيتي ، ثم كان الناس بعدُ . ثم كان آخر كلمة تكلم بها حين نزل : لولا سُنّة أحييتها ، أو بدعة أمتُّها ، لم أبالِ أن لا أبقى في الدنيا إلاَّ فواقاً .

قال : حدثني منصور بن بشير ، عن شعيب بن صفوان ، عن عيسى ، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى رجل : أما بعد ! فإني أوصيك بتقوى الله ، والاستمار [3] بما استطعت من مالك ومما رزقك الله ، إلى دار قرارك ، فإنك ، والله ، لكأنك ذقت الموت ، وعاينت ما بعده بتصريف الليل والنهار ، فإنهما سريعان في طي الأجل ونقص العمر ، مستعدان لمن بقي بمثل الذي قد أصابه به من مضى ، فنستغفر الله لسيء أعمالنا ، ونعوذ بالله من مقته إيانا ، على ما نعظ به مما نقصر عنه .

قال : حدثنا عبد العزيز بن أبي داود قال : قال عمر بن عبد العزيز : الكلام بذكر الله ، عز وجل ، حسن . والفكرة في نعم الله أفضل العبادة .

---

(١) من نسخة حماه .

(٢) في نسخة مصر : « الحق » .

(٣) كذا في نسخة مصر ، وفي نسخة حماه : « الائتمار » .

إن ابتلاك الله بفقر فتعفف :

قال : حدثنا اسماعيل بن ابراهيم بن أبي حبيبة ، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى بعض الأجناد : أما بعد ؛ فإني أوصيك بتقوى الله ولزوم طاعته ، فإن بتقوى الله نجاء أولياء الله من سخطه ، وبها تحق لهم ولايته ، وبها رافقوا أنبياءهم ، وبها نضرت وجوههم ، وبها نظروا إلى خالقهم ، وهي عصمة في الدنيا من الفتن ، والمخرج من كرب يوم القيامة ، ولن يقبل ممن بقي إلاّ بمثل ما رضي به ممن مضى ، ولمن بقي عبرة فيمن مضى ، وسنة الله فيه واحدة ، فبادر بنفسك قبل أن تؤخذ بكظمك [1] ، ويخلص اليك كما يخلص إلى من كان قبلك ، فقد رأيت الناس كيف يموتون ، وكيف يتفرقون ، ورأيت الموت كيف يعجل التائب توبته ، وذا الأمل أمله ، وذا السلطان سلطانه ، وكفى بالموت موعظة بالغة ، وشاغلاً عن الدنيا ، ومرغباً في الآخرة ، فنعوذ بالله من شرة [2] الموت وما بعده . ونسأل الله خيره وخير ما بعده . ولا تطلبن شيئاً من عرض الدنيا بقول ولا فعل تخاف أن يضر بآخرتك ، ويزري بدنياك ، ويمقتك عليه ربك . واعلم أن القدر سيجري اليك برزقك ، ويوفيك أكلك من دنياك ، بغير مزيد فيه بحول منك ولا قوة ، ولا منقوصاً منه بضعف . إن ابتلاك الله بفقر فتعفف في فقرك ، واخبت لقضاء ربك ، واعتبر ما قسم الله لك من الاسلام ، بما زوي عنك من نعم الدنيا الفانية ، فإن في الاسلام خلفاً من الذهب والفضة والدنيا الفانية . واعلم أنه ليس يضر عبداً صار إلى رضوان الله ، وإلى الجنة ، ما أصابه في الدنيا من فقر أو بلاء ، وأنه لن ينفع عبداً صار إلى سخط الله ، وإلى النار ما أصاب في الدنيا من نعمة أو رخاء . ما يُجِدُ أهلَ الجنة من مكروه أصابهم في دنياهم ، وما يُجِدُ أهل النار طعمُ لذة نعموا بها في

---

(١) في نسخة حماه « بظلمك » .

(٢) في نسخة حماه « من سوء » .

دنياهم . كل شيء من ذلك كأن لم يكن . كل يوم تشيعون غادياً . ورائحاً قد قضى نحبه ، وقضي أجله ، وتغيبونه في صدع من الأرض ، تدعونه غير متوسد ولا متمهد ، فارق الأحبة ، وخلع الاسباب ، وسكن التراب ، وواجه الحساب ، مرتهناً بعمله ، فقيراً إلى ما قدم ، غنياً عما ترك . فاتقوا الله قبل نزول الموت وانقضاء موالاته [1] . وأيم الله ، إني لأقول لكم هذه المقالة ، وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما أعلم عندي ؛ وأستغفر الله وأتوب اليه .

ما هي تقوى الله ؟

قال : أخبرني عبد الرحمن بن ميسرة الحضرمي أن عمر بن عبد العزيز كان يقول : ليس تقوى الله ، بصيام النهار ، وقيام الليل ، والتخليط فيما بين ذلك . ولكن تقوى الله . ترك ما حرم الله ، وأداء ما افترض الله ، فمن رزق بعد ذلك خيراً ، فهو خير إلى خير .

قال القرشي : وحدثني محمد بن يزيد الآدمي ، قال : قال عمر بن عبد العزيز : معادن التقوى قلوب المؤمنين ، وخير معادنها أتقاها لله ، عز وجل ؛ وأتقاها لله أحسنها عقلا .

قال القرشي : وحدثني الحسين بن عبد الرحمن ، عن شيخ له ؛ قال : قال عمر بن عبد العزيز : يا أيها الناس ! أتقوا الله ، فإنه ليس من هالك إلاّ له خلف إلاّ التقوى ،واحذروا الموت،فإنه أشد ما قبله وأهول مابعده.

قال : حدثنا عثمان بن أبي عاتكة أن عمر بن عبد العزيز قال في خطبته يوم الفطر : أتدرون ما مخرجكم هذا ؟ صمتم ثلاثين يوماً ، وقمتم ثلاثين ليلة ، ثم خرجتم تسألون ربكم أن يتقبل منكم .

قال : حدثنا أبو معاوية ، عن معروف ، قال : رأيت عمر بن

---

(١) في نسخة القاهرة « موافاته » .

عبد العزيز يخطب الناس ، وعليه ثوبان أخضران ، فذكر الموت ، فقال : غيظ ليس كالغيظ ، وكظ ليس كالكظ [1] .

قال : حدثنا ناشر بن حازم ، عن أبي عمر ، قال : قال عمر بن عبد العزيز : من قرب الموت من قِبَلِه ، استكثر ما في يديه .

قال القرشي : وكتب إليَّ زبير بن أبي بكر يخبرني ، عن ذؤيب ابن عمامة السهمي ، عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، أن أباه كان يقول : إذا كنت من الدنيا فيما يسوءك ، فاذكر الموت ، فإنه يسهله عليك .

ليس الثائر على الظالم عاصياً بل الامام الظالم هو العاصي :

قال : حدثنا بشر بن عبد الله بن يسار السلمي قال : خطب عمرُ الناسَ فقال : أيها الناس ! لا يبعدن عليكم ، ولا يطولن يوم القيامة ، فإن من وافته منيته ، فقد قامت قيامته ، لا يستطيع أن يزيد من حسن ، ولا يعتب من سيء . ألا لا سلامة لامرىء في خلاف السُّنّة ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الله ، ألا وإنكم تسمون الهارب من ظلم إمامه . العاصي ، ألا وإن أولاهما بالمعصية : الإمام الظالم .

قال : حدثنا أبي ، عن الحسن بن محمد الحضرمي ، قال : خطب عمر بن عبد العزيز . فقال : أيها الناس ! إنكم خلقتم لأمرٍ إن كنتم تصدقون به ، إنكم لحمقى ، وإن كنتم تكذبون به إنكم لهلكى : إنما خلقتم للأبد ولكنكم من دار إلى دار تنقلون . عباد الله ! إنكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص ، ومن شرابكم شرق ، لا تصفو لكم

---

(١) في اللسان مادة كظظ : وفي حديث الحسن : « أنه ذكر الموت فقال : غنظ ليس كالغنظ ، وكظ ليس كالكظ » . أي هم يملأ الجوف ليس كسائر الهموم ، ولكنه أشد . وماده غنظ من اللسان . وذكر عمر بن عبد العزيز الموت ، فقال : غنظ ليس كالغنظ ، وكظ ليس كالكظ » . وهو أن يشرف الرجل على الموت من الكرب والشدة ، ثم يفلت

نعمة تسرون بها ، إلاّ بفراق أخرى تكرهون فراقها ، فاعملوا لما أنتم صائرون اليه وخالدون فيه . ثم غلبه البكاء فنزل .

وصايا عسكرية :

قال : حدثنا ابن المبارك ، عن رجل من قريش ، أن عمر بن عبد العزيز عهد إلى بعض عماله : عليك بتقوى الله في كل حال تنزل بك ، فإن تقوى الله أفضل العدة ، وأبلغ المكيدة ، وأقوى القوة ؛ ولا تكن من شيء ، من عداوة عدوك ، أشد احتراساً لنفسك ومن معك من معاصي الله ، فإن الذنوب أخوف عندي على الناس من مكيدة عدوهم . وإنما نعادي عدونا ، ونستنصر عليهم بمعصيتهم . ولولا ذلك لم تكن لنا قوة بهم . لأن عددنا ليس كعددهم . وقوتنا ليست كقوتهم . وإلاّ نُنْصر عليهم بحقنا لا نغلبهم بقوتنا [1] . ولا تكونُنّ لعداوة أحد من الناس أحذر منكم لذنوبكم . ولا أشد تعاهداً منكم لذنوبكم ، وأعلموا أن عليكم ملائكة لله ، حفظة عليكم . يعلمون ما تفعلون في مسيركم ومنازلكم . فاستحيوا منهم وأحسنوا صحابتهم ولا تؤذوهم بمعاصي الله، وسلوا الله العون على أنفسكم . كما تسألونه العون على عدوكم ، فنسأل الله ذلك لنا ولكم . وارفق بمن معك في مسيرهم ، ولا تجشمهم سيراً تتعبهم ، ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم ، فإنكم تسيرون إلى عدو جام [2] الأنفس والكراع ، فإلاّ ترفقوا بأنفسكم وكراعكم في مسيركم، يكن لعدوكم فضل عليكم في القوة . أقم بمن معك في كل جمعة . يوماً وليلة ، ليكون لهم راحة يجمون بها أنفسهم وكراعهم . ولتكن عيونك من العرب . وممن تطمئن إلى نصحه من أهل الأرض ، فإن الكذوب لا ينفعك خبره وإن صدق في بعضه ؛ وإنّ الغاشّ عين عليك وليس بعين لك .

---

(١) في نسخة حماه « ولا ننصر عليهم بحقنا ولا نغلبهم بقوتنا » .
(٢) جام : كثير .

قال : حدثنا شعيب بن صفوان ، عن الفيض بن عبد الحميد ، قال : قال عمر بن عبد العزيز : من وعظ أخاه بنصيحة له في دينه ، ونظر له في صلاح دنياه ، فقد أحسن صلته ، وأدى واجب حقه . فاتقوا الله ، فإنها نصيحة لكم في دينكم فاقبلوها ، وعظة منجية لكم من العواقب فالزموها ، فالرزق مقسوم ، فلن يعدو المرء ما قسم له . فأجملوا في الطلب ، فإن في القنوع سعة وبلغة ، وكفاً عن كلفة ، لا يحل الموت في أعناقكم وجهنم أمامكم ، وما ترون ذاهب ، وما مضى كأن لم يكن، وكل ما هو آت قريب . أوَمَا رأيتم حالات الميت ؟ أوجهه مفقود ، وذكره منسي ، وبابه مهجور ، كأن لم يخالط أخوان الحفاظ ، ولم يعمر الديار . واتقوا يوماً لا يخفى فيه مثقال ذرة في الموازين .

قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن زيد بن حنيس قال : سمعت أبي يتحدث عن عبد الوهاب بن الورد ، أخي وهيب بن الورد ، قال : بلغنا أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى ابنه ، وهو يعظه : يا بني ! احذر الصرعة على الغفلة ، حين لا تستجاب الدعوة ، ولا سبيل إلى الرجعة . ولا تغترن بطول العافية ، فإنما هو أجل ليس دونه فناء ، ولا بعد أن تستكمله بقاء .

قال : حدثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني قال : سمعت سفيان الثوري يقول : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل الشام : من أكثر ذكر الموت اجتزأ من الدنيا باليسير ، ومن علم أن كلامه من عمله ، أقلّ منه [1] ، إلاّ فيما ينفعه ، والسلام .

قال : حدثنا عبد الله بن محمد ، عن الأوزاعي ، قال : كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رسالة ، لم يحفظها غيري وغير مكحول : أما بعد ! فإن من أكثر ذكر الموت ، رضي من الدنيا باليسير ، ومن عد كلامه من عمله ، قلّ كلامُه إلاّ فيما ينفعه ، والسلام .

---

(١) أقل منه : أي قلل ، ضد أكثر .

إنما خلقتم للأبد . ولكن من دار إلى دار تنقلون :

قال : حدثنا سفيان الثوري قال : قال عمر بن عبد العزيز : إنما خلقتم للابد . ولكن من دار إلى دار تنقلون .

قال : حدثنا الأسجعي ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، قال : قال عمر لرجل : أوصيك بتقوى الله . فإنها ذخيرة الفائزين ، وحرز المؤمنين . وإياك والدنيا أن تفتنك ، فإنها قد فعلت ذلك بمن كان قبلك ، إنها تغر المطمئن اليها . وتفجع الواثق بها . وتسلم الحريص عليها . ولا تبقى لمن استبقاها . ولا تدفع التلف عمن حولها . لها مناظر بهجة . ما قدمت منها أمامك لم يسبقك . وما أخرت منها خلفك لم يلحقك.

حبس الحق حتى يشترى . وبسط الظلم حتى يُفتدى :

قال : .... حدثني أبي . عن جدي [(1)] . أن عمر بن عبد العزيز قال : إنما هلك من كان قبلنا بحبسهم الحق حتى يُشترى منهم . وبسطهم الظلم حتى يُفتدى منهم .

قال : حدثنا عباد بن عباد ، عن محمد بن عمرو . قال : سمعت عمر بن عبد العزيز على المنبر يقول : ما أعطى الله عبداً عطاء فأخذه منه فعاضه الصبر . إلا كان أعطاه خيراً مما أُخذ منه .

الجزء الثامن :

قال : حدثنا الحسن بن علي الجعفي ، عن المهلب بن عقبة . قال : كان عمر بن عبد العزيز يقول : إن من أحب الأمور [(2)] إلى الله ، القصد في الجدة . والعفو عند المقدرة ، والرفق في الولاية ، وما رفق عبد بعبد في الدنيا . إلا رفق الله به يوم القيامة .

---

(1) كذا في نسخة مصر وفي نسخة حماه « عن ابراهيم بن هشام أن عمر » .
(2) في نسخة مصر : « الأشياء » .

قال : حدثنا عمرو بن ذر قال : صعد عمر بن عبد العزيز ذات يوم المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ! إنّما يرادُ الطبيب للوجع الشديد ، ألاّ ! فلا وجع أشد من الجهل ، ولا داء أخبث من الذنوب ، ولا خوف أخوف من الموت ، ثم نزل .

قال : حدثنا بقية ، عن عبد الله بن كريز ، قال : كتب عامل أفريقية إلى عمر بن عبد العزيز يشكو اليه الهوام والعقارب ، فكتب اليه : وما على أحدكم إذا أمسى وأصبح أن يقول : ﴿ ومَا لَنَا ألاّ نَتَوكّل على الله .... ﴾ [1] الآية . قال زرعة : وهي تنفع من البراغيث .

قال : حدثنا زكريا بن منظور ، عن عمه ، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أخ له : يا أخي ! إنك قد قطعت عظيم السفر ، وبقي أقله فاذكر ، يا أخي ، المصادر والموارد . فقد أوحي إلى نبيك ﷺ ، في القرآن ، أنك من أهل الورود ، ولم يخبر أنك من أهل الصدور والخروج ، وإياك أن تغرك الدنيا ، فإن الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له . يا أخي ! إنّ أجلك قد دنا ، فكن وصيّ نفسك ، ولا تجعل الرجال أوصياءك .

قال : حدثنا جابر بن نوح [2] قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض أهل بيته : أما بعد ! فإنك إن استشعرت ذكر الموت في ليلك ونهارك، بغض اليك كل فانٍ ، وحبب اليك كل باق . والسلام .

بؤساً لمن كان بطنه أكبر همه :

قال : وعن ابن أبي الرباب قال : قال عمر بن عبد العزيز : بؤساً لمن كان بطنه أكبر همه .

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ١٢ .

(٢) كذا في نسخة مصر وفي نسخة حماه « جابر بن عبد الله » .

قال : وعن علي بن الحسين قال : كان لعمر بن عبد العزيز صديق ، فأخبر أنه قد مات ، فجاء إلى أهله يعزيهم ، فصرخوا في وجهه . فقال لهم عمر : مَه ! إن صاحبكم هذا لم يكن يرزقكم ، وإن الذي يرزقكم حي لا يموت ، إن صاحبكم هذا لم يَسُدّ شيئاً من حفركم . وإنما سدّ حفرة نفسه ، لكل امرىء منكم حفرة لا بد ، والله ، أن يسدها . إن الله لما خلق الدنيا حكم عليها بالخراب ، وعلى أهلها بالفناء ، وما امتلأت دار حسرة ، إلا امتلأت عبرة . ولا اجتمعوا إلاّ تفرقوا ، حتى يكون الله هو الذي يرث الأرض ومن عليها ، فمن كان منكم باكياً فليبك على نفسه ، فإن الذي صار اليه صاحبكم . كلكم يصير اليه غداً .

قال : حدثنا الهيثم بن عمران قال : سمعت اسماعيل بن عبيد الله يحدث قال : قال لي عمر بن عبد العزيز : يا اسماعيل كم أتت عليك من سنة ؟ قال : قلت : ستون سنة وشهور ، قال : يا اسماعيل ! إياك والمزاح .

أحسن بصاحبك الظن ما لم يغلبك :

قال : حدثنا عبد الرحمن بن حسان قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى يزيد بن معاوية بن حصين : ان استطعت أن تحيي ليلة النحر فإنها ليلة العابدين .

قال : حدثنا وهيب أن عمر بن عبد العزيز ، رضي الله عنه، كان يقول : أحسن بصاحبك الظن ما لم يغلبك .

قال : وعن عبد الله بن مروان الشامي أن عمر بن عبد العزيز أتى بعض أهله ، فقرب اليه طعاماً كثيراً ، فقال عمر : ويحك يافلان ! دون هذا ما يسد الجوعة ، ويذهب سورة النفس ، وتقدم فضل ذلك ليوم فقرك وفاقتك ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إن الله قد أوسع وأحسن ، فقال عمر بن عبد العزيز : فعند ذلك وجب عليك الشكر . ثم نهض .

قال : حدثني ابراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى الغساني قال : حدثني أبي عن جدي قال : قال عمر بن عبد العزيز لجعونة بن الحارث : أتدري ما يحب أهلك منك ؟ قال : نعم يحبون صلاحي ، قال : لا ، ولكنهم يحبون ما قام لهم من سوادك ، وأكلوا من غمارك ، وتزودوا على ظهرك ، فاتق الله ولا تطعمهم إلاّ طيباً .

قال : وعن ميمون بن مهران قال : أوصاني عمر بن عبد العزيز فقال : يا ميمون ! لا تخلُ بامرأةٍ لا تحل لك ، وإن أقرأتها القرآن ، ولا تتبع السلطان ، وإن رأيت أنكً تأمره بمعروف وتنهاه عن منكر . ولا تجالس ذا هوى فيلقي في نفسك شيئاً يسخط الله به عليك .

قال : وعن ميمون بن مهران قال : قال لي عمر بن عبد العزيز : يا ميمون احفظ عني أربع خصال : لا تجالس أميراً وإن أمرته بمعروف ونهيته عن منكر ، ولا تخلونّ بامرأة غير ذات محرم . وإن علّمتها القرآن ، وإياك وما يعتذر منه ، ولا تقبلِ المعروف ممن لا يصطنعه إلى أهل بيته .

قال : وعن عثمان بن خالد بن دينار ، عن أبيه قال : قال عمر لميمون بن مهران : ياميمون ! لا تدخل على هؤلاء الأمراء وإن قلت : آمرُهُم بالمعروف ، ولا تخلونّ بامرأة ، وإن قلت أُقرئْها القرآن ، ولا تصلَنّ عاقّاً ، فإنه لن يصلك وقد قطع أباه .

كيف كانت المساجد وكيف صارت :

قال : وعن أبي عبد الله الأنطاكي قال : قال عمر بن عبد العزيز : كانت المساجد على ثلاثة أصناف : فصنف ساكت سالم ، وصنف في ذكر الله ، عز وجل ، والذكر معروج به . وصنف في صلاة . والصلاة لها من الله نور — فجعلت من أفناء الدور وأندية الأسواق مكان [1]

(١) خ : معدن .

خصومهم — أو قال خوضهم — ومراجم ظنونهم . يتفكهون بالغيبة ، ويفيد بعضهم بعضاً النميمة .

قال : وعن أبي ربيعة قال : قال عمر بن عبد العزيز أفضل الأعمال ما أُكْرِهت عليه النفوس .

قال : وعن عبد الله بن واقد قال : إن آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! الحقوا ببلادكم فإني أذكركم في بلادكم وأنساكم عندي ، ألاَ وإني قد استعملت عليكم رجالاً لا أقول هم خياركم ، ولكنهم خير ممن هم شر منهم ، فمن ظلمه عامله بمظلمة ، فلا إذن له عليَّ ، والله لئن منعت بهذا المال نفسي وأهلي ، ثم بخلت به عليكم ، إني إذن لضنين . والله لولا أن أنعشَ لِسُنَّة أو أسير بحق ، ما أحببت أن أعيش فواقاً .

إياكم والمزاحة :

وعن عبد العزيز بن أبي دؤاد قال : قال عمر بن عبد العزيز : اتقوا الله ، وإياكم والمزاحة ، فإنها تورث الضغينة وتجر القبيحة ، تحدثوا بالقرآن ، وتجالسوا به ، فإن ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال.

ليالي الرحمة :

قال : وعن الزهري قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عديّ بن أرطأة — وهو عامله على البصرة — عليك بأربع ليال من السنة ، فإن الله تعالى يفرغ فيهن الرحمة إفراغاً : أول ليلة من رجب ، وليلة النصف من شعبان ، وليلة الفطر ، وليلة النحر .

قال : وعن يحيى بن سعيد قال : خطب عمر بن عبد العزيز بعرفات ، فقال : إنّكم وفد ، وإنكم قد شخصتم من القريب والبعيد ، وأنصبتم[1]

(١) أنصبتم : أتعبتم .

الظهر وأثقلتم ، وليس السابق اليوم من سبق بعيره ولا فرسه . ولكن السابق يوم القيامة من غفر له .

قال : حدثنا سفيان قال : سمعت شيخاً من شيوخنا قال : سمعت عمر بن عبد العزيز ، وهو على المنبر بعرفة ، وهو يقول : اللهم زد في إحسان محسنهم ، وراجع مسيئهم إلى التوبة ، وحط من ورائهم بالرحمة. قال : وأومأ بيده إلى الناس .

قال : وعن ابراهيم بن اسماعيل بن أبي حبيبة قال : قال عمر بن عبد العزيز : لو أن المرء لا يعظ أخاه حتى يحكم أمر نفسه ، ويكمل الذي خلق له من عبادة ربه ، إذن لتواكل الناس الخير . وإذن لرفع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقل الواعظون والساعون لله بالنصيحة في الأرض .

قال : حدثني الحسن بن الصباح قال : قال علي بن بكار : قال عمر بن عبد العزيز : إذا رأيتم الرجل يطيل الصمت ، ويهرب من الناس ، فاقتربوا منه ، فإنه يلقي الحكمة .

خطبة نبوية :

قال : وعن حاجب بن خلف قال : شهدت عمر بن عبد العزيز يخطب الناس ، وهو خليفة ، فقال في خطبته : ألا إن ما سنّ رسول الله ﷺ ، وصاحباه ، فهو دين نأخذ به ، وننتهي إليه وما سنّ سواهم ، فإنا نرجئه .

قال : حدثنا الوليد بن مسلم قال : قال عبد الله بن العلاء : سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب في الجمع بخطبة واحدة يرددها . يفتتحها بسبع كلمات : (إن) الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهدِ الله فلا مُضلّ له .

ومن يُضْلِلْ فلا هاديَ له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصِ الله ورسوله فقد غوى [1] . ثم يوصي بتقوى الله ويتكلم . ثم يخطب خطبته الأخيرة بقراءة هؤلاء الآيات : ﴿ يا عِبادِيَ الَّذينَ أسْرَفُوا عَلى أنْفُسِهِمْ ... ﴾ [2] إلى تمام العشر » . قال عبد الله بن العلاء : لم يدع قراءة ذلك مقامي قبله .

قال : وعن اسماعيل بن ابراهيم بن أبي حبيبة قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أخ من أخوانه في الله ، عز وجل ، فكان في كتابه : لا تطلبنَّ شيئاً من عرض الدنيا بقول ولا فعل تخاف أن يضر بآخرتك ، ويزري بدينك ، ويمقتك عليه ربك ، واعلم أن القدر سيجري اليك برزقك ، ويوفيك أكلك من دنياك ، غير متزيد فيه بحول منك ولا قوة ، ولا منتقص منه بضعف . إن ابتلاك الله ، عز وجل ، بفقر ، فتعفف في فقرك ، وأخبت لقضاء ربك . واغتفر بما قسم الله لك من الاسلام ، ما زوى عنك من نعمة دنياك ، فإن في الاسلام خلفاً من الذهب والفضة والدنيا الفانية ، واعلم أنه لا يضر عبداً صار إلى رضوان الله ، وإلى الجنة ، ما أصاب في الدنيا من فقر وبلاء ، وأنه لن ينفع عبداً صار إلى سخط الله ، ما أصابه من نعمة أو رخاء ، ما يجد أهل الجنة من مكروه أصابهم في دنياهم ، وما يجد أهل النار طعم لذة نعموا بها في دنياهم ، كأن شيئاً من ذلك لم يكن .

من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح :

قال : وعن سفيان قال : قال عمر بن عبد العزيز : من لم يَعُدَّ كلامه من عمله كثرت ذنوبه .

---

(١) هذه الخطبة حديث نبوي قاله النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لرجل اسمه (ضماد) ، يوم جاء ليرقيه ثم أسلم . والحديث رواه مسلم .

(٢) سورة الزمر ، الآية : ٥٣ وما بعد .

وعن سفيان الثوري قال : قال عمر بن عبد العزيز : من عمل على غير علم ، كان ما يفسد أكثر مما يصلح ، ومن لم يعد كلامه من عمله . كثرت ذنوبه ، والرضا قليل ، ومعول المؤمن الصبر .

قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمر بن عبد العزيز ، قال : الرضا قليل والصبر معول المؤمن .

وعن جعونة قال : قال عمر بن عبد العزيز : يا أيها الناس ! إنّما أنتم أغراض تتنضل فيها المنايا ، إنّكم لا تؤتون نعمة إلاّ بفراق أخرى ، وأي أكلة ليس معها غصة ؟ وأي جرعة ليس معها شرقة ؟ وإن أمس شاهد مقبول ، وقد فجعكم بنفسه ، وخلف في أيديكم حكمته ، وإن اليوم حبيب مودع ، وهو وشيك الظعن ، وإن غداً آت بما فيه ، وأين يهرب من يتقلب في يد طالبه ، إنه لا أقوى من طالب ولا أضعف من مطلوب ، وإنما أنتم سفر ستحلون عقد رحالكم في غير هذه الدار ، ثم أنتم فروع أصول قد مضت ، فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله .

يعذب الله الناس بمعاصي غيرهم إذا لم يغيروها :

قال : وعن اسماعيل بن أبي حكيم قال : قال عمر بن عبد العزيز : إنّ الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة ، فإذا المعاصي ظهرت فلم يغيروا . أخذت العامة والخاصة .

قال : حدثنا أبو الحسن المدايني قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عمر بن عبد الله بن عتبة يعزيه في أبيه : أما بعد ؛ فإنّا قوم من أهل الآخرة ، سكنّا الدنيا : أموات أبناء أموات . فالعجب كل العجب لميت يكتب إلى ميت ، يعزيه عن ميت ، والسلام .

قال : حدثني محمد الكوفي قال : شهدت عمر بن عبد العزيز خطب ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ! إنّ الله تعالى خلق خلقه ،

ثم أرقدهم ، ثم يبعثهم من رقدتهم ، فإما إلى الجنة وإما إلى نار ، والله ، إنْ كنا مصدقين بهذا إنّا لحمقى ، وإنْ كنا مكذبين بهذا إنّا لهلكى[1] ، ثم نزل .

قال : حدثنا عبد الله بن غالب قال : سمعت أبا عاصم العباداني يقول : خطب عمر بن عبد العزيز فقال : أما بعد ، فإنْ كنتم مؤمنين بالآخرة ، فأنتم حمقى ، وإنْ كنتم مكذبين ، فأنتم هلكى .

قال : حدثني عبد الله بن محمد بن سعد الأنصاري ، أن عمر بن عبد العزيز صعد المنبر ، واجتمع اليه الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: أما بعد ، أيها الناس ! فإني لم أجمعكم لأمر أُحْدِثُه فيكم ، ولكن فكرت في هذا الأمر الذي أنتم اليه صائرون ، فعلمت أن المصدق بهذا الأمر أحمق ، والمكذب به هالك . ثم نزل .

قال : وعن العتبي قال : صعد عمر بن عبد العزيز يوماً المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه . وقال : إن كنتم على يقين ، فأنتم حمقى . وإن كنتم في شك . فأنتم هلكى . ثم نزل .

الفعال أولى بالمرء من القول :

قال : أنبأني ميمون بن مهران قال : إنّي لعند عمر بن عبد العزيز ، إذ فتح له منطق حسن ، حتى رق له أصحابه قال : ففطن لرجل منهم ، وهو يحذف دمعته ، قال : فقطع منطقه ، فقلت له : امض في منطقك ، فإنّي لأرجو أن يمن الله به على من سمعه ، فانتهى إليه ، فقال بيده : إليك عني ! فإن في القول فتنة ، والفعال أولى بالمرء من القول .

---

(١) أي ان المسلمين فيما هم عليه ، من مخالفة هداية دينهم ، اما أن تكون مخالفتهم لها عن تكذيب ، فيكونوا هلكى ، وإما أن يكونوا جمعوا بين تصديقها وبين مخالفتها ، فيكونوا حمقى . وهذا تأويل ما مضى وما يأتي من هذا القول .

قال : وعن عيسى ، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى رجل : أما بعد ؛ فإني أوصيك بتقوى الله ، وتقديم ما استطعت من مالك ، وما رزقك الله إلى دار قرارك ، فإنّك ، والله ، لكأنك قد ذقت الموت ، وعاينت ما بعده ، بتصرف الليل والنهار فانهما سريعان في طي الأجل ، ونقص العمر ، لم يفتهما شيء اقتناه ، ولا زمن مر به ، مستعدان لمن بقي بمثل الذي أصابا به من قد مضى ، فنستغفر الله لسيء أعمالنا ، ونعوذ به من مقته إيّانا على ما نعظ به مما نقصّر عنه .

قال : حدثنا حمزة الجزري قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى رجل : أوصيك بتقوى الله التي لا يقبل غيرها ، ولا يرحم إلاّ أهلها ، ولا يثبت إلاّ عليها ، فإنّ الواعظين بها كثير ، والعاملين بها قليل .

قال : وحدثنا المفضل بن غسان قال : حدثنا أبي ، عن رجل من الأزد ، قال : قال رجل لعمر بن عبد العزيز : أوصني [1] . فقال : أوصيك بتقوى الله وإيثاره ، تخف عليك المؤونة ، وتحسن لك من الله المعونة .

فعلام ذا يدخل النار ؟

قال : حدثني مسلمة بن عبد الملك قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، بعد صلاة الفجر ، في بيت كان يخلو فيه بعد الفجر ، فلا يدخل عليه أحد ، فجاءت جارية بطبق فيه تمر صيحاني — وكان يعجبه التمر — فرفع بكفيه منه ، فقال : يا مسلمة ! أترى لو أن رجلاً أكل هذا ، ثم شرب عليه من الماء ، فإن الماء على التمر طيب ، أكان يجزيه إلى الليل ؟ قال : فقلت : لا أدري ! فرفع أكثر منه فقال : فهذا ؟ فقلت : نعم ، يا أمير المؤمنين كافيه دون هذا حتى لا يبالي أن يذوق طعاماً

(١) كذا في نسخة مصر . وفي نسخة حماه « عظني » .

غيره ، قال فعلام ذا يدخل النار . فقال مسلمة : فما وقعت مني موعظة ما وقعت مني هذه .

قال : وعن عمرو بن مهاجر قال : كان متاع رسول الله ﷺ ، عند عمر بن عبد العزيز ، رضي الله عنه ، في بيت ينظر اليه كل يوم ، قال : وكان ربما اجتمعت اليه قريش ، فأدخلهم ذلك البيت ، ثم استقبل ذلك المتاع ، فيقول : هذا ميراث من أكْرمَكُم اللهُ وأعزكم به . قال : وكان سريراً مرمولا [1] بشريط ، ومرفقة من أدم محشوة بليف ، وجفنة وقدحاً ، وقطيفة من صوف كأنها حرمقانية ، قال : ورحى ، وكنانة فيها أسهم ، وكان في القطيفة أثر وسخ رأسه ، فأصيب رجل ، فطلبوا أن يغسلوا بعض ذلك الوسخ ، فيسعط به ، فذكر ذلك لعمر ، فسعط ، فبرأ .

قال : حدثنا محمد بن مهاجر قال : كان عند عمر بن عبد العزيز سرير النبي ﷺ ، وعصاه ، وقدحه وجفنته ، ووسادة حشوها ليف ، وقطيفة ورداء ، فكان إذا دخل عليه النفر من قريش قال : هذا ميراث من أكْرمَكُمْ الله به ، ونصركم به ، وأعزكم به ، وفعل وفعل ....

اعملوا لآخرتكم :

قال : حدثني صالح المري قال : حدثني رجل من الأزد أنه سمع عمر بن عبد العزيز يقول في خطبته : يا أيها الناس ! لا تغرنكم الدنيا والمهلة فيها ، فعن قليل عنها تنقلون ، وإلى غيرها ترحلون ، فالله الله عباد الله ، في أنفسكم ، فبادروا بها الفوت قبل حلول الموت ، ولا يطل بكم الأمد ، فتقسو قلوبكم فتكونوا كقوم دعوا إلى حظهم فقصروا عنه بعد المهلة ، فندموا على ما قصروا عند الآخرة ؛ ثم نحَبَ وهو على المنبر .

---

(١) كذا في النسخة المصرية وفي نسخة حماه « مرملا » .

قال : حدثنا عبيد الله بن الفضل [1] قال : خطبنا عمر بالشام على منبر من طين ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم تكلم بكلمات ثلاث فقال : يا أيها الناس ! أصلحوا سرائركم تصلح لكم علانيتكم . واعملوا لآخرتكم تكفوا دنياكم ، واعلموا أن رجلا ليس بينه وبين آدم أب حي لمعرق له في الموت . والسلام عليكم .

قال : وعن السري بن يحيى أن عمر بن عبد العزيز حمد الله ، ثم خنقته العبرة ، ثم قال : أيها الناس ! أصلحوا آخرتكم تصلح لكم دنياكم ، وأصلحوا سرائركم تصلح لكم علانيتكم . والله إن عبداً ليس بينه وبين آدم أب إلاّ قد مات ، إنه لمعرق له في الموت .

قال : حدثنا سهل بن يحيى المروزي قال : أخبرني أبي ، عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، قال : لما وَلِيَ عمر بن عبد العزيز ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أوصيكم بتقوى الله ، فإن تقوى الله خلف من كل شيء ، وليس من تقوى الله خلف ، واعملوا لآخرتكم ، فإنه من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه ، وأصلحوا سرائركم يصلح الله الكريم علانيتكم ، وأكثروا ذكر الموت وأحسنوا الاستعداد له قبل أن ينزل بكم ، فإنه هادم اللذات ، وإنه من لم يذكر من آبائه ما بينه وبين آدم ، عليه السلام ، أباً ، لمعرق له في الموت .

كتاب عمر إلى بعض عماله :

قال : حدثنا أبو زياد ، عبيد الله بن عبيد الله بن عدي الكندي ، عن أبيه ، عن جده ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله : أما بعد ؛ فكأن العباد قد عادوا إلى الله ، ثم ينبئهم بما عملوا ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى فإنه لا معقب لحكمه ، ولا منازع لأمره ، وإنّي أوصيك بتقوى الله ، وأحثك على الشكر فيما اصطنع عندك من نعمه ، وآتاك من كرامته ، فإن نِعمَتَهُ يمدها شكره

(١) في نسخة حماه « ابن الغيرار » .

ويقطعها كفره . وأكثر ذكر الموت الذي لا تدري متى يغشاك ، فلا مناص ولا فوت ، وأكثر ذكر يوم القيامة وشدته ، فإن ذلك يدعوك إلى الزهادة فيما رغبت فيه ، والرغبة فيما زهدت فيه ، ثم كن مما أوتيت من الدنيا على وجل ، فإن من لا يحذر ذلك ، ولا يتخوفه ، توشك الصرعة أن تدركه في الغفلة ، وأكثر النظر في عملك في دنياك بالذي أمرت به ، ثم اقتصر عليه فإن فيه ، لعمري شغلا عن دنياك ، ولن تدرك العلم حتى تؤثره على الجهل ، ولا الحق حتى تذر الباطل . نسأل الله لنا ولك حسن معونته . وأن يدفع عنا وعنك بأحسن دفاعه برحمته .

عظة القبر :

قال : وعن أبي فروة قال : خرج عمر بن عبد العزيز على بعض جنائز بني أمية ، فلما صلى عليها ودفنت ، قال الناس ؛ قوموا ، ثم توارى عنهم فاستبطأه الناس حتى ظنوا ، فجاء وقد احمرت عيناه وانتفخت أوداجه ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ! لقد أبطأت ، فما الذي حبسك ؟ قال : أتيت قبور الأحبة قبور بني أبي فسلمت فلم يردوا السلام . فلما ذهبت أقفي ، ناداني التراب فقال : يا عمر ! ألا تسألني ما لَقِيَت الأحبة ؟ قلت : ما لقيت الأحبة ؟ قال : خُرقت الأكفان وأُكلت الأبدان . فلما ذهبت أقفي ، ناداني التراب فقال : يا عمر ؟! ألا تسألني ما لقيت العينان ؟ قلت : وما لقيت العينان ؟ قال : قُدِعت المقلتان (١) وأكلت الحدقتان . فلما ذهبت أقفي ، ناداني التراب : يا عمر ! ألا تسألني ما لقيت الأبدان ؟ قلت : وما لقيت الأبدان ؟ قال : قُطعت الكفان من الرسغين ، وقطعت الرسغان من الذراعين ، وقطعت الذراعان من المرفقين ، وقطعت الكتفان من الجنبين ، وقطعت الجنبان من الصلب ، وقطع الصلب من الوركين ، وقطعت الوركان من الفخذين ، والفخذان من الركبتين ، وقطعت الركبتان من الساقين ،

---

(١) قدعت : كفت .

وقطعت الساقان من القدمين . فلما ذهبت أقفي ، ناداني التّراب فقال : يا عمر ! عليك بأكفان لا تبلى . قلت : وما الأكفان الّتي لا تبلى ؟ قال : اتقاء الله ، والعمل بطاعته — وكرر هذا الحديث بروايات أكده بها وزاد فيه : — ثم بكى عمر وقال : ألا وإنّ الدنيا بقاؤها قليل ، وعزيزها ذليل ، وغنيها فقير ، وشابها يهرم ، وحيها يموت ، فلا يَغُرنّكم إقبالها مع معرفتكم بسرعة أدبارها ، فالمغرور من اغترّ بها . أين سكانها الذين بنوا مدائنها ؟ وشقّوا أنهارها . وغرسوا أشجارها ، أقاموا فيها أياماً يسيرة ، غرّتهم بصحتهم ، وعزوا بنشاطهم فركبوا المعاصي ، إنهم والله كانوا في الدنيا مغبوطين بالأموال على كثرة المنع ، محسودين على جمعها . ما صنع التّراب بأبدانهم ، والرمل بأجسادهم ، والديدان بعظامهم وأوصالهم ، كانوا في الدنيا على أسرّة ممهدة ، وفرش منضدة ، بين خدم يخدمون ، وأهل يكرمون ، وجيران يعضدون ، فإذا مررت فنادهم إن كنت منادياً . وادعهم إن كنت داعياً ، مُرّ بعسكرهم وانظر إلى تقارب منازلهم الّتي كانت عيشهم ، وسل غنيهم ما بقي من غناه ، وسل فقيرهم ما بقي من فقره ، وسلهم عن الألسن الّتي كانوا بها يتكلمون ، وعن الأعين الّتي كانوا بها ينظرون ، وعن الجلود الرقيقة ، والوجوه الحسنة ، والأجساد الناعمة ، ما صنع بها الديدان ؟ أمحت الألوان ، وأكلت اللحمان ، وعفّرت الوجوه ، وقبّحت المحاسن ، وكسّرت الفقار ، وأبانت الأعضاء ، ومزقت الأشلاء ، فأين حجالهم وقبابهم ؟ وأين خدمهم وعبيدهم ؟ وجمعهم ومكنوزهم ؟ والله ما زودهم فراشاً ، ولا وضعوا هنالك متكأ ، ولا غرسوا لهم شجراً ، ولا أنزلوهم من اللحد قراراً ، أليسوا في منازل الخلوات والفلوات ؟ أليس عليهم الليل والنهار سواء ؟ أليس هم في مدلهمة ظلماء ؟ قد حيل بينهم وبين العمل ، وفارقوا الأحبة فكم من ناعم وناعمة أصبحت وجوههم بالية ، وأجسادهم من أعناقهم بائنة ، وأوصالهم متمزقة ، قد سالت الحدق على الوجنات ، وامتلأت الأفواه دماً وصديداً ، ودبت دواب الأرض في أجسادهم ، ففرقت

أعضاءهم ، ثم لم يلبثوا ، والله ، إلاّ يسيراً حتى عادت العظام رميماً ، قد فارقوا الحدائق ، وصاروا بعد السعة إلى المضائق ، قد تزوجت نساؤهم ، وترددت في الطرق أبناؤهم ، وتوزعت القرابات ديارهم وتراثهم ، فمنهم ، والله ، الموسع له في قبره الغض ، الناظر فيه ، المتنعم بلذته .
يا ساكن القبر غداً ، ما الذي غرك من الدنيا ؟ هل تعلم أنك تبقى أو تبقى لك ؟ أين دارك الفيحاء ونهرك المطّرد ؟ وأين ثمرك الحاضر ينعه ؟ وأين رقاق ثيابك ؟ وأين طيبك ؟ وأين بخورك ؟ وأين كسوتك لصيفك وشتائك ؟ أما رأيته قد نزل به الأمر فما يدفع عن نفسه ، وهو يرشح عرقاً ، ويتلمظ عطشاً ، ويتقلب في سكرات الموت وغمراته ، جاء الأمر من السماء ، وجاء غالب القدر والقضاء ، جاءه من الأجل ما لا يمتنع منه ، هيهات هيهات ! يا مغمض الوالد والأخ والولد وغاسله ، يا مكفن الميت وحامله ، يا مخليه في القبر راجعاً عنه ، ليت شعري ، كيف كنت على خشونة الثرى ، ياليت شعري ، بأي خديك بدأ البلى ، يا مجاور الهلكات صرت في محلة الموتى ، ياليت شعري ، ما الذي يلقاني به ملك الموت عند خروجي من الدنيا ، وما يأتيني به من رسالة ربي . ثم تمثل بهذه الأبيات :

تُسَرُّ بما يفنى ، وتُشغل بالصبى ... كما غر باللذات في النوم حالِمُ
نهارُك، يامغرور ، سهوٌ وغفلةٌ ... وليلك نومٌ ، والردى لك لازمُ
وتعمل فيما سوف تكره غِبّــهُ ... كذلك في الدنيا تعيش البهائمُ

ثم انصرف فما بقي بعد ذلك إلاّ جمعة :

إنما ابن آدم كفيء ظلال قلص فذهب :

قال : حدثني عمر بن محمد المكي قال : خطب عمر بن عبد العزيز ، رضي الله عنه ، فقال : إنّ الدنيا ليست بدار قراركم ، دار كتب الله عليها الفناء ، وكتب على أهلها منها الظعن ، فكم عامرٍ موثق عما قليل

يخرب ، وكم مقيم مغتبط عما قليل يظعن ، فأحسنوا، رحمكم الله ، منها الرحلة ، بأحسن ما يحضركم من النقلة ، وتزودوا ، فإن خير الزاد التقوى . إنما ابن آدم كفيء ظلال قلص فذهب ، بينا ابن آدم في الدنيا ينافس فيها قرير عين ، إذ دعاه الله بقدره ، ورماه بيوم حتفه ، فسلبه آثاره ودياره ودنياه ، وصيّر لقوم آخرين مصانعه ومغناه . إن الدنيا لا تُسِرُّ بقدر ما تَضُرُّ ، إنها تسر قليلا ، وتحزن حزناً طويلا .

قال : حدثنا أسيد بن زيد قال : كنا مع عمر بن عبد العزيز في جنازة ،فلما أن دفن الميت ، ركب بغلة له صغيرة إلى قبر ، فركز عليه المقرعة، ثم قال : السلام عليك يا صاحب القبر . قال عمر ، فناداني مناد من خلفي : وعليك السلام يا عمر بن عبد العزيز ، عم تسأل ؟ فقلت : عن ساكنك وجارك . فقال : أما البدن فعندي ، والروح عرج به إلى الله ، عز وجل ، وما أدري أي شيء حاله. ، فقلت : أسألك عن ساكنك وعن جارك ، قال : قدعت المقلتان ، وأكلت الحدقتان ، ومزقت الأكفان ، وأكلت الابدان — ثم ذكر نحوه ونحو الشعر —

قال : حدثني ميمون بن مهران قال : خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة ، فلما نظر إلى القبور بكى ، ثم أقبل عليّ فقال : يا أبا أيوب ! هذه قبور آبائي من بني أمية ، كأن لم يشاركوا أهل الدنيا في لذتهم وعيشهم ، أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات ، واستحكم فيهم البلى ، وأصاب الهوام في أبدانهم مقيلا ؟ ثم بكى حتى غشي عليه ، ثم أفاق فقال : انطلق بنا ، فوالله ما أحد أنعم ممن صار إلى هذا ، وقد أمن من عذاب الله .

قال : وعن صالح بن عبد الكريم قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله عدي بن أرطأة : أما بعد ، فإن الدنيا عدوة أولياء الله ، أما أولياء الله فغمتهم ، وأما أعداء الله فغرتهم .

آخر خطبة خطبها :

قال : حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن، عن أبيه ، قال : خطب

عمر بن عبد العزيز هذه الخطبة ، وكانت آخر خطبة خطبها ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال : إنّكم لم تخلقوا عبثاً ، ولم تتركوا سدى ، وإنّ لكم معاداً ينزل الله فيه ليحكم بين الناس ويفصل بينهم ، فخاب وخَسِرَ من خرج من رحمة الله وحُرِم جنة عرضها السموات والأرض ،ألم تعلموا أنه لا يأمن غداً إلا من حذرالله وخافه ، وباع نافذاً بباق ، وقليلاً بكثير ، وخوفاً بأمان ؟ ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين ؟ وستصير بعدكم للباقين ؟ وكذلك حتى تُرَدّ إلى خير الوارثين ؟ ثم انكم تشيعون كل يوم غادياً ورائحاً إلى الله قد تقضى نحبه وانقضى أجله ، حتى تغيبوه في صدع من الأرض ، في شق صدع ، ثم تتركوه غير ممهد ولا موسد ، قد فارق الدنيا والأحباب ، وباشر التراب ، موجهاً للحساب ، مرتهناً بما عمل ، غنياً عما ترك ، فقيراً إلى ما قدم ، فاتقوا الله قبل موافاته وحلول الموت بكم ؛ووالله ، إني لأقول هذا ، وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما عندي ، فاستغفر الله ، وما منكم من أحد تبلغنا حاجته يتسع له ما عندنا إلاّ حرصنا أن نسد من حاجته ما استطعنا ، وما منكم من أحد تبلغنا حاجته لا يتسع له ما عندنا إلاّ تمنيت أن يبدأ بي وبخاصتي ، حتى يكون عيشنا وعيشه سواء . أما والله، لو أردت غير هذا من غضارة العيش لكان اللسان به ذلولا ، وكنت بأسبابه عالماً ، ولكن سبق من الله كتاب ناطق وسنة عادلة ، دل فيهما على طاعته ، ونهى فيهما عن معصيته . ثم رفع طرف ردائه فبكى وأبكى من حوله .

قال : حدثنا أبو سليم الهذلي قال : خطب عمر بن عبد العزيز فقال : أما بعد ؛ فإن الله عز وجل لم يخلقكم عبثاً ، ولم يدع شيئاً من أمركم سدى ، وإنّ لكم معاداً ينزل الله عز وجل ، فيه في الحكم والقضاء بينكم ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله ، وحرم الجنة التي عرضها السموات والأرض ، واشترى قليلا بكثير ، وفائتاً بباق ، وخوفاً بأمن ، ألا ترون أنّكم في أسلاب الهالكين وسيخلفها بعدكم الباقون ،

كذلك حتى تُرَدَّ إلى خير الوارثين ؟ في كل يوم وليلة تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله ، عز وجل ، قد قضى نحبه وانقضى أجله ، حتى تغيبوه في صدع الأرض ، في بطن صدع ، ثم تدعوه غير ممهد ولا موسد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وسكن التراب ، وواجه الحساب ، مرتهناً بعمله . فقيراً إلى ما قدم ، غنياً عما ترك ، فاتقوا الله قبل نزول الموت بكم . وأيم الله ، إني لا أقول لكم هذه المقالة ، وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب ما أعلم عندي ، وما يبلّغني عن أحد منكم حاجة إلاّ أحببت أن أسد من حاجته ما قدرت عليه ، وما يبلغني أن أحداً منكم لا يسعه عندي إلاّ وددت أنه يمكنني تغييره ، حتى يستوي عيشنا وعيشه ، وأيم الله ، لو أردت غير ذلك من الغضارة والعيش لكان اللسان مني به ذلولا ، عالماً بأسبابه ، ولكن سبق من الله ، عز وجل ، كتاب ناطق ، وسنة عادلة ، دل فيها على طاعته ، ونهى فيها عن معصيته . ثم وضع طرف ردائه على وجهه فبكى وشهق ، وبكى الناس ، فكانت آخر خطبة خطبها .

إن في أيديكم أسلاب الهالكين :

قال : حدثنا عبد الله بن الفضل التميمي قال : آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز أن صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ؛ فإن في أيديكم أسلاب الهالكين ، وسيتركها الباقون كما تركها الماضون ، ألا ترون أنكم في كل يوم وليلة تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله تعالى ؟ وتضعونه في صدع من الأرض ، ثم في بطن صدع ، غير ممهد ولا موسد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وسكن التراب ، وواجه الحساب ، فقيراً إلى ما قدم أمامه ، غنياً إلى ما ترك جده ، أما والله ؛ إني لأقول هذا وأنا أعرف من أحد من الناس مثل ما أعرف من نفسي . قال : ثم وضع طرف ثوبه على عينيه فبكى ثم نزل ، فما خرج حتى أخرج إلى حفرته ، رحمة الله عليه .

الباب الثالث والثلاثون

في ذكر ما تمثّل به من الشعر أو قاله

ما تمثل به من شعر عبد الله بن الأعلى :

قال : حدثنا محمد بن كثير قال : قال عمر بن عبد العزيز ذات يوم ، وهو لائم نفسه وعائبها :

أيقظانُ أنت اليوم ، أم أنت نائمُ؟ وكيف يطيق النوم حيران هائم؟
فلو كنت يقظان الغداة لحرّقت محاجرَ [1] عينيك الدموعُ السواجمُ
نهارُك، يامغرورُ ، سهوٌ وغفلةٌ وليلك نومٌ ، والردى لك لازمُ
وتشغل فيما سوف تكره غِبّهُ كذلك في الدنيا تعيش البهائـمُ .

قال : حدثنا سعيد بن محمد الثقفي قال : سمعت القاسم بن غزوان قال : كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بهذه الأبيات :

أيقظان أنت اليوم ، أم أنت نائمُ وكيف يطيق النوم حيران هائم ؟
فلو كنت يقظان الغداة لحرّقت مدامعَ عينيك الدموعُ السواجمُ .

وقال سليمان : « محاجر عينيك » :

أصبحْتَ في النوم الطويل وقددنت إليك أمور مفظعات عظائـمُ
نهارك، يامغرورُ ، سهو وغفلة وليلك نومٌ ، والردى لك لازمُ

(١) كذا في نسخة حماه ، وفي نسخة مصر « مدامع » .

يغرّك ما يفنى ، وتُشْغَل بالمنى كما غُرّ باللّذات في النوم حالمُ
وتشغل فيما سوف تكره غِبّهُ كذلك في الدنيا تعيش البهائـم

قال : وعن القاسم بن عبد الله قال : كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بهذه الأبيات من قول عبد الله بن عبد الأعلى :

أيقظان أنت اليـوم أم أنت نائـم ... ...

فذكر الألفاظ على لفظ رواية القاسم بن غزوان ، إلاّ أنه قال : « تغر بما يفنى » مكان قوله « يغرك ما يفنى » .

قال : حدثنا عقيل بن مرة قال : أنشدني حرمي بن الهيثم لعمر بن عبد العزيز :

ولا خيْرَ في عيش امرء لم يكن له مع الله في دار القرار نصيبُ
فإنْ تعجبُ الدنيا أناساً ، فإنهـا قليل متاعٍ ، والزوالُ قريبُ

وصوابه : « متاع قليل » .

قال : حدثنا موسى بن عبد الله الخزاعي قال : بلغني أن عمر بن عبد العزيز كان لا يجف فوه من هذا البيت :

ولا خير في عيش امرء لم يكن له مع الله في دار القرار نصيبُ .

قال : حدثنا أبو حاتم ، عن أبي عبيدة ، عن يونس ، قال : كان عمر بن عبد العزيز ذات يوم يسير في جماعة ، فلما كثر الغبار تلثم ، ثم ذكر أبياتاً قالها عبد الأعلى القرشي ، فجبذ [1] اللثام ، ثم أنشأ يقول :

من كان حيث[2] تصيب الشمس جبهته أو الغبارُ ، يخاف الشين والشعثا

(١) بمعنى « جذب » مقلوب .
(٢) كذا في الحموية ، وفي المصرية « حين » .

ويألف الظل كي تبقى بشاشتـــه فسوف يسكن يوماً راغماً جَدَثا
في قعر مظلمة ، غبراء ، مقفرةٍ يطيل تحت الثرى في قعرها اللبثا .

كذا وقع في هذه الرواية : « قالها عبد الأعلى » وإنما هو : ابن عبد الأعلى . وقد قيل بأن هذه الأبيات لعمر :

قال : حدثنا محمد بن أبي يعقوب الدينوري قال : من أصح ما روي لعمر بن عبد العزيز من الشعر هذه الأبيات :

من كان حين تصيب الشمس جبهته ... ...

فذكر الأبيات وزاد رابعاً في آخرها وهو :

تجهزي بجهاز تبلغــين بــــــه يانفس قبل الردى ،لم تُخلقي عبثا

(قال الشيخ) [1] . وهذه القصيدة ليست لعمر ، إنما تمثل بها من قول ابن عبد الأعلى ، ولها قصة :

سفارة عبد الأعلى إلى امبراطور الروم وقصة ابنه مع عمر :

قال : حدثنا ابن لعبد الصمد بن عبد الأعلى قال : كان عمر بن عبد العزيز وجّه عبد الأعلى بن أبي عمرة [2] رسولا إلى طاغية الروم يدعوه إلى الإسلام ، فقال له عبد الأعلى : يا أمير المؤمنين ! ائذن لي في بعض ولدي يخرج معي — وكان أبا عشرة — فقال له : ومن يخرج معك من ولدك ؟ فقال : عبد الله ، فقال : إني رأيت عبد الله يمشي مشية مقتُّها ، وبلغني أنه يقول الشعر ، فقال عبد الأعلى : يا أمير المؤمنين! أما مشيته فغريزة هي فيه ، وأما الشعر فإنما هو نواحة ينوح على نفسه ، فقال : مُرْهُ عبد الله يأتيني العشية ، وأخرِجْ معك غيره ، فراح به اليه ، فدخل عليه ، فاستنشده فأنشده :

---

(١) من نسخة حماه .
(٢) كذا في نسخة مصر ، وفي نسخة حماه « ابن أبي عمرو » .

تجهزي بجهـــازٍ تبلغـين بـه ... يانفسُ ، قبلَ الردى ، لم تُخلقي عبَثا

وسابقي بغتـة الآجال ، وانكمشي ... قبل اللزوم . فلا منجا ولا غـوَثا

ولا تكدي لمن يبقى وتفتقـري ، ... إنّ الرّدى وارث الباقي وما ورثا

واخشي حوادث صرف الدهر في مهلٍ ... واستيقظي ، لاتكوني كالذي بحثا

عن مدْية كان فيها قطع مُدّته ... فوافت الحرث موفوراً (١) كما حرثا

لا تأمني فجعَ دهرٍ مترف ختل(٢) ... قد استوى عنده من طاب أو خبثا

يارُبّ ذي أملٍ ، فيه على وجلٍ ... أضحى به آمناً ، أمسى وقد حدثا

من كان حيث تصيب الشمس جبهته ... أو الغبارُ ، يخاف الشين والشعثا

ويألف الظل كي تبقى بشاشتـه ... فسوف يسكن يوماً راغماً جدثـا

في قعر موحشة غبراء مقفـرة ... يطيل تحت الثرى في قعرها اللبثا

قال ؛ فبكى عمر من شعره .

مثول ابن قتادة بين يدي عمر :

وعن الهيثم بن عدي ، عن أبيه ، قال : أصيبت عين قتادة بن النعمان الطفوي (٣) يوم أُحُد ، فأتى النبي ﷺ ، وهي في يده ، فقال : ما هذا يا قتادة ؟ قال هذا ما ترى يارسول الله ، قال : إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئتَ رددتُها ودعوتُ الله لك . فلم تفقد منها شيئاً ، فقال : يارسول الله : إنّ الجنة لجزاء جميلٌ ، وعطاء جليل ، ولكني رجل مبتلى بحب النساء ، وأخاف أن يقلن أعور فلا يُردْنني ، ولكن ترُدّها إليّ وتسأل الله لي الجنة ؛ فقال : أفعلُ ياقتادة ، ثم أخذها رسول الله ﷺ ، بيده ، وأعادها إلى موضعها ، فكانت أحسن عينيه إلى أن مات ؛ ودعا الله له بالجنة ، قال : فدخل ابنه على عمر بن عبد العزيز فقال له : من أنت يافتى ؟ فقال :

(١) كذا في المصرية ، وفي الحموية « موروثاً » .
(٢) من المصرية ، وفي الحموية « خبل » .
(٣) كذا في المصرية ، وفي الحموية « الظفري » .

أنا ابن الذي سالت على الخد عينُهُ   فرُدّت بكفّ المصطفى أحسن الردّ
فعادت كما كانت لأحسن حالها   فياحسنَ ماعينٍ، وياطيبَ ما يدِ

فقال عمر : رحمه الله ، بمثل هذا فليتوسل الينا المتوسلون ، ثم قال :

تلك المكارم لا قبعان من لبن   شيبًا بماء فعادا بعدُ أبوالا.

وعن الأصمعي قال : قام رجل من الأنصار إلى عمر بن عبد العزيز فقال : يا أمير المؤمنين ! أنا فلان بن فلان ، قتل جدي يوم بدر ، وعمي يوم أُحُد ، فجعل يذكر مناقب آبائه ، فنظر عمر إلى عنبسة بن سعيد فقال : هذه والله المناقب لا مناقبكم مسكن والجماجم ، ثم تمثل :

تلك المكارم لا قبعان من لبن   شيبا بماء فعادا بعد أبوالا.

قال : وعن عبيد بن عمر قال : دخلت ابنة عبد الله بن زيد بن عبد ربه على عمر بن عبد العزيز فقالت : ياأمير المؤمنين! أنا بنت عبد الله بن زيد ، أبي شهد بدراً وقتل يوم أُحد ، فقال عمر :

تلك المكارم لا قبعان من لبن   شيبا بماء فعادا بعد أبوالا .

سليني ما شئت ، فسألت ، فأعطاها ما سألت .

أبيات الخارجي لعمر ، وجواب عمر عليها :

قال : وعن الوليد بن مسلم قال : قال الأوزاعي : لما استخلف عمر بن عبد العزيز ، كتب اليه رجل من الشراة يقال له : عمرو بأبيات :

قل للمولّى على الاسلام مؤتنفاً   وقد يرى أنه رثّ القوى ، واهي
إذ رابه معشرٌ عدوه مأكلةً   بنخوة الملك والإسراف والباه
إنّا شرَيْنا بدين الله أنفسَنا   نبغي بذاك إليه أعظم الجاهِ
ينهى الولاة بحد السيف عن سرفٍ   كفى بذاك لهم من زاجر ناهي

وإن قصدت سبيل الحق يا عمراً — آخاك في الله أمثالي وأشباهي
وإن لحقت بقوم كنت واعظهم — في جور سيرتهم ، فالحكم لله .

قال فأجابه عمر بن عبد العزيز :

يا أيها الرجل المهدي نصيحته — إن المحاسن والتوفيق بالله
إن كان أمرٌ من السلطان تنكره — فما عُرى الدين والاسلام بالواهي
هذا الكتاب ، كتاب الله، نقرؤه — مصدق الوحي فينا ، آمرٌ ناهي .
فقد يزل الذي يبغي الهدى رهقاً — عند الشريعة ،وهو العالم الداهي.
الملك ،ياعمرو، ملك الله ، خالقنا — والحكم،ياعمرو ، مردود إلى الله.

قال : فأتاه فبايعه ولم يخرج عليه .

لحن يغنونه في المدينة منسوباً لعمر :

قال : حدثني الزبير بن بكار قال : حدثني عمي قال : أدركت الناس بالمدينة وهم يغنون لحناً ينسبونه إلى عمر بن عبد العزيز :

كأن قد شهدت الناس يوم تقسمت — خلائقهم ، فاخترت منهن أربعا :
اعارة سمعٍ كل مغتاب صاحبٍ، — وتأبى لعيب الناس إلاّ تَتَبُّعا
وأعجب من هاتين أنك تدعي السـلامة من عيب الخلائـق أجمعا.
وأنك لو حاولت فعل اسـاءة — وكوفئت إحساناً ، جحدتّهما معا .

قال : حدثنا مسعود بن بشر أن رجلا قال لعمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة : تفرّغ لنا [1] ، فقال :

قد جاء شغلٌ شاغلٌ — وعدلت عن طرق السلامَـهْ
ذهب الفراغ ، فلا فرا — غ لنا ، إلى يوم القيامَـهْ

---

(1) في نسخة حماه « تفرغ للناس » .

ما صح من شعر عمر بن عبد العزيز :

قال المرزباني [1] : وأخبرنا ابن دريد قال : تُرْوى لعمر بن عبد العزيز هذه الأبيات :

ومن الناس من يعيش شقيّاً جيفة الليل غافلَ اليقظَة
فإذا كان ذا حياء ودين ، راقب الله ، واتقى الحفظَه
إنّما الناسُ: راحلٌ ومقيمٌ ، فالذي سار للمقيم عِظَه

قال المرزباني : وكتب إليَّ أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا عمر ابن شيبة — أو قال شبة — قال : يروى لعمر بن عبد العزيز :

اني لأمنح من يواصلني مني صفاء ليس بالمذقِ
وإذا أخٌ لي حال عن خلقٍ داويت منه ذاك بالرفقِ
والمرء يصنع [2] نفسه ومتى ما تبله ، يرجع إلى العرقِ

قال : وعن أبي عمرو الشيباني قال : قال عمر بن عبد العزيز قبل خلافته :

إنْهِ الفؤاد عن الصّبى وعن انقياد للهوى [3]
واامر ربك ، إن في شيب المفارق واللحى
لك واعظاً إن كنت تتعظ اتعاظ أولي النُّهى [4]
حتّى متَى لا ترعوي ؟ حتى متى ، وإلى متَى ؟
ما بعد ما سُمِّيتَ كهلا ،واستُلِبت اسمَ الفتَى ؟
بلي الشباب ، وأنت إن عمرت ، رهنٌ للبلى.

---

(١) في نسخة حماه « المرياني » .
(٢) في نسخة مصر « ضيع » .
(٣) إنه : من النهي ، امنع . الصبى : الصبابة والغرام .
(٤) النهى : العقول .

وكفى بذلك زاجـراً للمرء عن غي ، كفى !

قال : حدثنا العتبي ، عن حماد الراوية ، قال : ما صح عندنا من قول عمر بن عبد العزيز غير هذا ، قوله :

حتى مـتى لا تنتهـي وإلى متى [1] وإلى مـتى ؟
من بعد ما سميت كهـلا واستلبت اسـم الفـتى ؟

قال : وعن علي بن خالد قال : لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ، دخل عمر فنظر اليه ، ثم خرج وهو يتمثل :

لا يَغُرَّنْك عشاء ساكن ، قد يوافي بالمنيات السحر [2]

ما تمثل به عند انصرافه عن قبر سليمان :

قال : حدثني محمد بن الضحاك بن عثمان ، عن أبيه ، قال : لما انصرف عمر بن عبد العزيز عن قبر سليمان بن عبد الملك صُفّت له مراكب سليمان ، فقال :

لولا التقى ، ثم النُّهى خشية الردى لعاصيت في حب الصِّبى كل زاجرِ
قضى ماقضى ، فيما مضى ، ثم لايرى له صبوة أخرى الليالي الغوابرِ .

ثم قال : إن شاء الله ، لا قوة إلا بالله ، قدموا لي بغلتي .

قال : حدثنا محمد بن القاسم الأنباري قال : حدثني أبي عن بعض شيوخه قال : كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بهذه الأبيات :

فلولا التقى ، ثم النهى خشية الردى لعاصيت في حب الصِّبى كل زاجر
قضى ماقضى ، من عمره ، ثم لايرى له سقطة أخرى الليالي الغوابرِ .
فإن عاد في أمرٍ يسوءك بعدها ، فليس له منك استقالة عـاذرِ

(١) خ : حتى متى .
(٢) في نسخة حماه : « سحر » .

قال : وكان يتمثل بهذا البيت :

أنا عائـــــد بالله من شرّ نعمـــةٍ تقر بها عينـــاي فيها ردهمــــا .

الجزء التاسع :

أبيات تمثل بها عمر أمام الشعبي :

قال : حدثنا عبيد الله بن موسى قال : كان الشعبي واقفاً على رأس عمر بن عبد العزيز ، فأطال الوقوف . فقال : إنك لواقف ياشعبي ؟ فقلت : إني لواقف ؛ فقال : خذ اليك ياشعبي ، فقال :

هب الدنيا تـــزف اليك زفـــا زفاف عرائس باكـــرن قصفا
وقد ملكتهـا شرقـاً وغربـــا حويت بجمعهـا براً وطفا [1]
يجئن بألف ألف كـــلّ يـــومٍ ويتبع ألفها سبعونَ ألفـــا
إذا عاديـــت قومـــاً في بـــلادٍ أتيت على جميع الناس عسفـا
ألست ملاقيـــاً ، لا شك فيــــه وإن عُمِّرت طول الدهر ، حتفا
فما ترجو بدارٍ قـــد تراهــــا بكل سرورهـــا أبداً تكفا ؟

قال : حدثنا خالد بن يزيد العمري قال : سمعت وهيب بن الورد يقول : كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بهذه الأبيات :

يُرى مستكيناً،وهو للهو ماقتٌ به عن حديث القوم ما هو شاغلُهْ
وأزعجه علمٌ عن الجهل كلُّهُ وما عالم شيئاً كمن هو جاهلُهْ
عبوس عن الجهال حين يراهُمُ فليس له منهم خدينٌ يهازلهُ [2]
تذكّرَ ما يبقى من العيش آجلاً فأشغله عن عاجل العيس آجلُهْ.

---

(١) كذا في نسخة مصر والطف الشاطيء وفي نسخة حماه « رلطفا » .

(٢) خدين . صديق ، صاحب محدث.

قال : حدثنا خالد بن يزيد قال : سمعت وهيب بن الورد يقول : كان عمر بن عبد العزيز (يتمثل بهذه الأبيات) :

يُرى مستكيناً ... ...

فذكر الأبيات وقال فيها :

وأزعجه خوف عن اللهــو كله ... ...

ولم يذكر البيت الثالث .

قال : حدثني أبو صالح الشامي قال : قال عمر بن عبد العزيز :

أنا ميتٌ ، وعزّ من لا يمــوتُ   قد تيقّنتُ أنــني سأمـــوتُ
ليس ملك يزيله الموت ملكـــاً   إنما المُلْكُ مُلْكُ من لا يموتُ

رأي عمر في مخلد بن يزيد بن المهلب :

قال : وعن خالد بن خراش [1] قال : صلى عمر بن عبد العزيز على مخلد بن يزيد بن المهلب وقال :

« مات اليوم فتى العرب » ، وأنشد متمثلا :

على مثل عمرو تهلك النفس حسرةً   وتضحي وجوه القوم مسودة غُبْرا

قال : حدثنا ابن عائشة قال : لما مات مخلد بن يزيد ، صلى عليه عمر بن عبد العزيز ثم تمثل :

بكُّوا حذيفـــة لن تبكُّـــوا مثله   حتى تبيـــد قبائل [2] لم تخلـــق .

---

(١) في نسخة حماه « خداش ».
(٢) في نسخة حماه « خلائق » .

قال : وعن رباح بن عبيدة قال : كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بهذه الأبيات :

الحلمُ والعلمُ خلّتا كرمٍ للمرء زينٌ إذا هما اجتمعا .
صنوان لا يستتم حسنهما إلاَّ بجمعٍ لذا وذاك معا.
كم من وضيع سما به الحِلْم والعِلم فحاز الثناء وارتفعا
ومن رفيع البنا أضاعهما أخمله ما أضاع فاتضعا.

قال : وعن سعيد [1] بن عبيد الطائي قال : كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بهذه الأبيات :

الْقَ بالبشر من لقيت من النّاس جميعاً ، ولاقهم بالطّلاقة
تجن منهم به جناء ثمارٍ طيّباً طعمهُ لذيذ المذاقة
ودع التيه والعبوس على الناس فإن العبوس رأسُ الحماقة
كلما شئت أن تعادي عاديت صديقاً وقد تعزُّ الصداقة

نستقرض على الله حتى يأتي العطاء :

قال : حدثنا ابن عائشة قال : كان عمر بن عبد العزيز كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات :

فما تزوّد مما كان يجمعه إلاَّ حنوطاً غداة البين مع خرَقِ
وغير نفخة أعواد تُشبُّ له وقلَّ ذلك من زاد لمنطلقِ.

قال : وعن عاصم بن رجاء بن حيوة ، عن أبيه ، ذكر عمر بن عبد العزيز الموت يوماً ، فقال يتمثل :

ألم تر أن الموت أدرك من مضى فلم ينج منه ذو جناحٍ ولا ظفرِ .

ثم دعا بسبعة دنانير فتصدق بها ، ثم قال : نستقرض على الله حتى يأتي العطاء .

---

(١) في نسخة حماه « سعد » .

الباب الرابع والثلاثون

في ذكر كلامه في فنون

قال : وعن أبي حنيفة اليماني قال : جمع عمر بن عبد العزيز أصحابه ثم خرج اليهم ، فأوصاهم فقال : « إياكم والمزاح ، فإنه يورث الضغينة ، وينبت الغل » .

قال : حدثني ابراهيم بن يزيد [1] أن عمر بن عبد العزيز قال في قوله تعالى : ﴿ أضَاعـُوا الصَّلاةَ واتـَّبـَعـُوا الشـَّهوات ِ ﴾ [2] قال : « لم تكن اضاعتها أن تركوها ، ولكن أضاعوا المواقيت» .

قال : وعن عمرو بن دينار ، عن عمر بن عبد العزيز ، قال : « إذا جاءك الخصم وعينه في كفه فلا تقض له حتى يجيئك خصمه » .

قال : حدثنا سفيان قال : بلغني أن عمر بن عبد العزيز رأى بنتاً له ، أو امرأة ، نائمة مستلقية فنهاها .

قال : وعن مالك قال : قال عمر بن عبد العزيز لرجل : من سيّد قومك ؟ قال : أنا . قال : لو أنك كذلك لم تقله .

قال : حدثنا سفيان ، عن عمر بن عبد العزيز ، قال : من عمل بغير علم ، كان ما يفسد أكثر مما يصلح .

---

(١) في نسخة حماه « ابن زيد » .

(٢) سورة مريم ، الآية : ٥٩ .

نهيه عن بدعة تقديس الملوك :

قال : وعن جعفر بن يرقان قال : كتب عمر بن عبد العزيز : « إن ناساً يلتمسون الدنيا بعمل الآخرة ، وإن مصيرهم ومرجعهم إلى الله وإن ناساً من هؤلاء القصاص يصلُّون على خلفائهم وأمرائهم ، فمروهم فليَدْعوا للمؤمنين عامة ، وليُلْغوا [1] ماسوى ذلك » .

قال : وعن جعفر بن يرقان قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أمير الجزيرة : « أما بعد ؛ فإن ناساً من الناس قد التمسوا بعمل الآخرة الدنيا ، وإنّما مصيرهم ومرجعهم إلى الله بعد الموت . وقد بلغني أن ناساً من القصاص قد أحدثوا الصلاة على أمرائهم ، عدل ما يصلون على النبي ﷺ ، فإذا جاءك كتابي هذا ، فمر القصاص فليجعلوا صلاتهم على النبي ﷺ ، خاصة ، وليكن دعاؤهم للمؤمنين والمسلمين عامة ، وليدعوا ماسوى ذلك . والسلام » .

قال جعفر : أحب أن لا يذكروا مع النبي ﷺ .

وعن معمر أن عمر بن عبد العزيز قال : قد أفلح من عصم من المراء والغضب والطمع [2] .

قال : وعن اسماعيل بن أبي حكيم أنه أخبره أنه سمع عمر بن عبد العزيز يقول : كان يقال : إنّ الله لا يعذب العامة بذنب الخاصة ، ولكن إذا عمل المنكر جهاراً استحقوا العقوبة كلهم .

منزل الأم والزوجة بين النساء :

قال : حدثنا عبد الله بن نافع قال : ماتت أخت لعمر بن عبد العزيز فشهدها الناس وانصرفوا معه إلى منزله ، فلما صار إلى بابه أخذ بحلقة[3]

(١) في نسخة حماه « وليدعوا » .
(٢) هذا الخبر من نسخة حماه .
(٣) أو « بحلفه » .

الباب ثم قال : انصرفوا أيها الناس مأجورين ، أدى الله الحق عنكم ، فإنا أهل بيت لا نُعزى في أحد من النساء إلاّ في اثنتين.: أم لواجب حقها وما فرض الله لها من برها ، وامرأة لِلُطف موضعها . وأنه لا يحل موضعها أحد ـ أو قال : محلها ، وهو الأصح ـ .

قال : حدثنا ابراهيم بن يحيى بن يحيى قال : حدثني أبي ، عن جدي ، قال : كتب بعض عمال عمر اليه يقول في كتابه : ياأمير المؤمنين ! إنّي بأرض قد كثرت فيها النعم ، حتى لقد أشفقت على من قِبَلي من أهلها ضعف الشكر . قال : فكتب اليه عمر : إني قد كنت أراك أعلم بالله ، إن الله لم ينعم على عبدٍ نعمة ، فحمد الله عليها ، إلا كان حمده أفضل من نعمه ، لو كنت لا تعرف ذلك إلاّ في كتاب الله المنزل ، قال الله تعالى : ﴿ ولَقَدْ آتَيْنا داوودُ وسُليمانَ علْماً وقالاَ الحمْدُ لله الّذي فضَّلنا على كثيرٍ منْ عِبَاده المُؤمنينَ ﴾ (١) . وقال الله تعالى : ﴿ وسِيقَ الّذينَ اتّقَوا ربّهُم إلى الجنّةِ زُمَراً حتّى إذا جَاؤها ﴾ (٢) إلى قوله : ﴿ وقالُوا الحمْدُ لله ﴾ (٣) . وأي نعمة أفضل من دخول الجنة ؟ .

وعن قادم بن مسور قال : قال عمر بن عبد العزيز : لما أمر الله عز وجل الملائكة بالسجود لآدم ، عليه السلام ، أول من سجد له إسرافيل فأنابه ، أن كتب القرآن في جبهته .

قال : وعن حسين بن صالح قال : تذاكروا الزهاد عند عمر بن عبد العزيز ، فقال قائلون : فلان ، وقال قائلون : فلان ، فقال عمر ابن عبد العزيز : أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب عليه السلام .

---

(١) سورة النمل ، الآية : ١٥ .
(٢) سورة الزمر ، الآية : ٧٣ .
(٣) سورة الزمر ، الآية : ٧٤ .

قال : وعن قتادة أن عمر بن عبد العزيز كان يقول : ما يسرني لو أن أصحاب محمد ﷺ ، لم يختلفوا ، لأنهم لو لم يختلفوا ، لم تكن رخصة .

قال : حدثنا الأوزاعي قال : كان عمر بن عبد العزيز إذا عرض له أمر مما يكرهه قال : مقدر ماكان ، وعسى أن يكون خيراً .

قال ، وعن الأوزاعي أن عمر بن عبد العزيز قال : خذوا من الرأي ماقاله من كان قبلكم ، ولا تأخذوا ما هو خلاف لهم ، فإنهم كانوا خيراً منكم ، وأعلم .

ما ينبغي أن يجتمع للقاضي من الخصال :

قال : وعن مزاحم بن زفر قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول: ينبغي أن يجتمع للقاضي خمس خصال : يكون عالماً بما مضت عليه السنّة، حليماً ، ذا أناة ، عفيفاً ، مشاوراً . فإذا اجتمع ذلك في القاضي كان قاضياً ، وإن نقص منهن شيء كان وصماً فيه .

قال : حدثنا بشر بن عبد الله بن بشار أن عمر بن عبد العزيز قال : احذروا المراء ، فإنه لا تؤمن فتنته ، ولا تُفْهم حكمته .

قال : وعن ميمون بن مهران قال : كنت جالساً عند عمر بن عبد العزيز فقرأ : ﴿ الهاكم التكاثر * حتى زرتم المقابر ﴾ [1] . فقال لي : يا ميمون ! ما أرى القبر إلاّ زيارة ، ولا بد للزائر أن يرجع إلى منزله ، يعني إلى الجنة أو إلى النار .

قال : وعن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ، بارك الله لرجل في حاجة أكثَرَ الدعاء فيها ، أُعطِيها أو مُنِعها . قال فحدثت به

---

(١) سورة التكاثر ، الآيتان : ١ – ٢ .

المنكدر بن محمد فقلت : أسمعت هذا من أبيك ؟ قال : لا ، ولكن دخلت مع أبي وأبي حازم على عمر بن عبد العزيز ، فقال عمر لأبي : يا أبا بكر ! مالي أراك مهموماً ، قال : فقال له أبو حازم : لِـدَيْنٍ عليه، فقال له عمر : ففتح لك فيه الدعاء ؟ — قال نعم ، قال : فقد بارك الله لك فيه [1] .

قال : وعن مرثد بن يزيد قال : سمعت عمر يقول : أيها الناس ! قيدوا النعم بالشكر ، وقيدوا العلم بالكتاب .

من هو الأحمق ؟

قال : وعن سالم بن عبد الله قال : سمعت ميمون بن مهران قال : قال عمر بن عبد العزيز لجلسائه : أخبروني من أحمق الناس ؟ قالوا : رجل باع آخرته بدنياه ، فقال لهم عمر : ألا أنبئكم بأحمق منه ؟ قالوا: بلى . قال : رجل باع آخرته بدنيا غيره .

قال : حدثنا المدايني قال : دخل حُريث بن عثمان الدجني ، مع أبيه ، على عمر بن عبد العزيز ، فسأل الأب ، عن الابن ، ثم قال له : علمه الفقه الأكبر ، قال : وما الفقه الأكبر ؟ قال : القناعة ، وكف الأذى.

قال : حدثنا محمد بن زياد قال : تكلم رجل عند عمر بن عبد العزيز فأحسن ، فقال عمر : هذا والله السحر الحلال .

قال : وعن ابن شوذب قال : دخل رجل على عمر بن عبد العزيز ، فجعل يشكو اليه رجلا ظلمه ويقع فيه ، فقال له عمر : إنك إن تلقى الله ومظلمتك كما هي ، خير لك من أن تلقاه وقد انتقصتها .

---

(1) ورد في النسخة المصرية — بين هذا الخبر والذي بعده — الكلام الآتي :قال الشيخ الامام أبو الفرج رحمه الله ؛ مسعد هذا تيمي ، وليس مسعد بن كدام » . اهـ . ولم نعلم لماذا يشير إلى مسعد هذا ، ولعل اسمه ورد في سند الخبر ، بين ابن الجوزي وبين جابر بن عبد الله ، فاختصره الناسخون .

قال : حدثنا سفيان بن عيينة قال : كان عمر بن عبد العزيز يقول : ملاقاة الرجال تلقيح لألبابها .

قال : حدثنا عمر بن علي قال : سمعت عبد ربه الحرزي ، عن ميمون بن مهران ، قال : قلت لعمر ليلة : يا أمير المؤمنين ! ما بقاؤك على ما أرى ؟ أما أول الليل ففي حاجات الناس ، وأما وسط الليل فمع جلسائك ، وأما آخر الليل فالله أعلم ما تصير اليه ؟ قال : فضرب على كتفي . وقال : ويحك ياميمون ! إني وجدت لقاء الرجال تلقيحاً لالبابهم.

قد فرغ من هذا فادع بالصلاح :

قال : وعن طلحة بن يحيى قال : كنت جالساً عند عمر بن عبد العزيز ، فدخل عليه عبد الأعلى بن هلال فقال : أبقاك الله ، يا أمير المؤمنين ! ما دام البقاء خيراً لك ، قال : قد فرغ من ذلك يا أبا النضر ، ولكن قل : أحياك الله حياة طيبة ، وتوفّاك مع الأبرار .

قال : حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس قال : سمعت سفيان الثوري قال : قال رجل لعمر بن عبد العزيز :. أبقاك الله ، فقال : قد فرغ من هذا ، فادع بالصلاح .

قال الشيخ الامام أبو الفرج [1] المصنف : فإن قال قائل : فكأن الصلاح ما فرغ منه ، فالجواب : بلى ، ولكن سؤالنا ما ينفعنا مما نطلع عليه تعبداً لله تعالى ، فنحن مأمورون بذلك لموضع التعبد . واظهار فقرنا إلى ما يصلحنا ، وإلاّ فالقدر قد سبق بالكل .

قال : وعن أبي جعدة [2] قال : قال عمر بن عبد العزيز : القلوب

---

(١) في الأصل « أبو الحسن » فصححناه لأنه غلط ظاهر .

(٢) كذا في نسخة مصر ، وفي نسخة حماه « ابن جعدة » .

أوعية السرائر ، والألسن مفاتيحها : فليحفظ كل أمرء منكم مفتاح وعاء سره .

قال : حدثنا مالك أنه بلغه أن عمر بن عبد العزيز قال لرجل : من سيد قومك ؟ قال : أنا ، قال له عمر : لو كنت سيدهم ما قلت .

إذا وافق الحق الهوى فهو ألذ من الشهد :

قال : حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول : إذا وافق الحقُّ الهوى ، فهو ألذ من الشّهد .

قال : وعن أبي بكر بن عمرو بن حزم [1] قال : قال لي عمر بن عبد العزيز : ما وجدت في إمارتي هذه شيئاً ألذ من حق وافق هواي .

قال : وعن مجاهد قال : أعطاني عمر ثلاثين درهماً ، وقال : يا مجاهد ! هذه من صدقة مالي .

قال : وعن أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال : كنا عند عمر بن عبد العزيز ، فقال رجل لرجل : تحت إبطك ، فقال عمر : وما على أحدكم أن يتكلم بأجمل ما يقدر عليه ، قالوا : وما ذاك ، قال : لو قال : تحت يدك ، كان أجمل .

---

(١) كذا في النسخة الحموية ، وفي نسخة مصر « أبي بكر بن محمد بن حزم » .

الباب الخامس والثلاثون

في ذكر ما رآه في المنام

حالة الحجاج عند الحساب في رؤيا عمر :

قال : وعن أبي حازم الخناصري الأسدي قال : قدمت دمشق في خلافة عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة ، والناس رائحون إلى الجمعة ، فقلت : إن أنا صرت إلى الموضع الذي أريد نزوله فاتتني الصلاة ، ولكن أبدأ بالصلاة ، فصرت إلى باب المسجد ، فأنَخْتُ بعيري ، ثم عقلته ، فدخلتُ المسجد ، وإذا أمير المؤمنين على الأعواد يخطب ، فلما أن بصر بي عرفني ، فناداني : يا أبا حازم ! إليّ مقبلا ، فلما أن سمع الناس نداء أمير المؤمنين لي ، أوسعوا لي فدنوت من المحراب ، فلما أن نزل أمير المؤمنين ، فصلى بالناس ، التفت إليّ فقال : يا أبا حازم ! متى قدمت بلدنا ؟ قلت :الساعة ، وبعيري معقول بباب المسجد . فلما أن تكلم عرفته ، فقلت : أنت عمر بن عبد العزيز ؟ قال : نعم . قلت له : تالله أما كنت عندنا بالأمس بخناصرة أميراً لعبد الملك بن مروان ، وكان وجهك وضياً ، وثوبك نقياً ، ومركبك وطياً ، وطعامك شهياً ، وحرسك سرياً ، فما الذي غير بك وأنت أمير المؤمنين ؟ فقال : يا أبا حازم ! أنشدك الله ألا حدثتني الحديث الذي حدثتني بخناصرة ، قلت له : نعم ، سمعت أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : « إنّ بين أيديكم عقبة كؤوداً لا يجوزها إلاّ كل ضامر مهزول » ، فبكى أمير المؤمنين بكاء عالياً حتى علا نحيبه ، ثم ضحك ضحكاً عالياً حتى بدت

نواجذه ، فأكثر الناس فيه القول ، فقلت : اسكتوا وكفوا . فإنّ أمير المؤمنين لقي أمراً عظيماً ، قال أبو حازم : ثم أفاق من غشيته فبدرت الناس إلى كلامه ، فقلت : يا أمير المؤمنين لقد رأينا منك عجباً ، قال : ورأيتم ما كنت فيه ؟ قلنا : نعم ، قال : إنني بينما أنا أحدثكم أغمي عليّ ، فرأيت كأن القيامة قد قامت ، وحشر الله الخلائق ، وكانوا عشرين ومائة صف : أمة محمد ﷺ ، من ذلك ثمانون صفاً ، وسائر الأمم من الموحدين أربعون صفاً ، إذ وضع الكرسي ونصب الميزان ونشرت الدواوين ، ثم نادى المنادي : أين عبد الله بن أبي قحافة ؟ فإذا شيخ طويل يخضب بالحناء والكتم[1] ، فأخذت الملائكة بضبعيه ، فوقفوه أمام الله ، فحوسب حساباً يسيراً ، ثم أمر به ذات اليمين إلى الجنة . ثم نادى المنادي : أين عمر بن الخطاب ؟ فإذا شيخ طوال يخضب بالحناء ، فأخذت الملائكة بضبعيه ، فوقفوه أمام الله ، فحوسب حساباً يسيراً ، ثم أمر به ذات اليمين إلى الجنة . ثم نادى المنادي : أين عثمان بن عفان ؟ فإذا شيخ طوال يصفر لحيته ، فأخذت الملائكة بضبعيه ، فوقفوه أمام الله ، فحاسبه حساباً يسيراً ، ثم أمر به ذات اليمين : إلى الجنة . ثم نادى المنادي : أين علي بن أبي طالب ؟ فإذا شيخ طوال أبيض الرأس ، عظيم البطن ، دقيق الساقين ، فأخذت الملائكة بضبعيه ، فوقفوه أمام الله ، فحوسب حساباً يسيراً ، ثم أمر به ذات اليمين : إلى الجنة . فلما رأيت أن الأمر قرب مني اشتغلت بنفسي فلا أدري ما فعل الله بمن كان بعد علي ، إذ ناداني المنادي : أين عمر بن عبد العزيز ؟ فقمت فوقعت على وجهي ، ثم قمت فوقعت على وجهي ، ثم قمت فوقعت على وجهي ، فأتاني ملكان فأخذا بضبعي ، فوقفاني أمام الله ، قال : فسألني عن النقير والقطمير والفتيل ، وعن كل قضية قضيت حتى ظننت أنني لست بناجٍ ثم أن ربي تفضل عليّ ، فتداركني منه برحمة ، وأمرني ذات اليمين : إلى الجنة . فبينا أنا مار مع الملكين إذ مررت بجيفة ملقاة على رماد ، فقلت : ما هذه

---

(١) الكتم : نبات يخلط مع الوسمة للخضاب ، وهو لا ينبت إلا في الشواهق لذلك يندر وجوده.

الجيفة ؟ فقالوا : أدن منه وسله يخبرك ، فدنوت منه ، فوكزته برجلي ، وقلت له : من أنت ؟ فقال لي : من أنت ؟ قلت : أنا عمر بن عبد العزيز قال لي : ما فعل الله بك وبأصحابك ؟ قلت : أما أربعة فأمر بهم ذات اليمين : إلى الجنة ، ثم لا أدري ما فعل الله بمن كان بعدهم ، فقال لي : أنت ما فعل الله بك ؟ قلت له : تفضل عليّ ربي ، وتداركني منه برحمة، وقد أمر بي ذات اليمين ؛ إلى الجنة . فمن أنت ؟ قال : أنا الحجاج ابن يوسف الثقفي ، قلت : يا حجاج ! ما فعل الله بك ؟ قال قدمت على ربٍّ شديد العقاب ، ذي بطشة ، منتقم ممن عصاه ، فقتلني بكل قتلة قَتَلْتُ بها مثلها ، ثم ها أنا ذا موقوف بين يدي ربي أنتظر ما ينتظر الموحدون من ربهم ، أما إلى جنة واما إلى نار . قال أبو حازم ، فأعطيت الله عهداً ، بعد رؤيا عمر بن عبد العزيز ، أن لا أوجب لأحد من هذه الأمة ناراً .

قال : وعن أبي حازم قال : قدمت على عمر بن عبد العزيز ، وقد ولي الخلافة ، فلما نظر إليّ عرفني ولم أعرفه ، فقال : أدن مني ، فدنوت منه ، فقلت : أنت أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ، قلت : ألم تكن عندنا بالمدينة أميراً على المسلمين فكان مركبك وطياً ، وثوبك نقياً ، ووجهك بهياً ، وطعامك شهياً ، وقصرك مشيداً ، وخدمك كثيراً ، فما الذي غيرك وأنت أمير المؤمنين ؟ قال : فبكى ثم قال : يا أبا حازم ! كيف لو رأيتني بعد ثلاث ، في قبري ، وقد سالت حدقتاي على وجنتي ، ثم جف لساني ، وانشق بطني ، وجرت الديدان في بدني ، لكنت أشد إنكاراً منك يومك هذا ، أعِدْ عليّ الحديث الذي حدثتني به بالمدينة ، قلت : يا أمير المؤمنين ! سمعت أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله ، ﷺ ، يقول : «إن بين أيديكم عقبة كؤوداً مضرّسةً لا يجوزها إلاّ كل ضامر مهزول » . قال : فبكى بكاء طويلاً ثم قال : يا أبا حازم ! أما ينبغي لي أن أضمر نفسي لتلك العقبة ، فعسى أنجو منها يومئذ ، وما

أظن ، أني مع هذا البلاء الذي ابتليت به من أمور الناس ، بناجٍ ، ثم رقد ، ثم تكلم الناس ، فقلت : أقِلُّوا الكلام ، فما فعل به ما ترون إلاّ سهر الليل ، ثم تصبب عرقاً في يوم حر ، الله أعلم كيف كان ، ثم تبسم ، فسبقت الناس إلى كلامه فقلت : يا أمير المؤمنين ! رأيت منك عجباً، إنك لما رقدت تصببت عرقاً حتى ابتل ما حولك ، ثم بكيت حتى علا نحيبك ، ثم تبسمت . فقال لي : يا أبا حازم ! وقد رأيت ذلك ؟ قلت : نعم ، ومن كان حولك من الناس رآه . فقال لي : يا أبا حازم ! إني لما وضعت رأسي فرقدت ، رأيت كأن القيامة قد قامت ، فاجتمع الخلق فقيل : إنهم عشرون ومائة صف ملأوا الأفق أمة محمد ﷺ ، من ذلك ثمانون صفاً مهطعين إلى الداعي مثنى ، يدعون إلى الحساب ، إذ نودي: أين عبد الله بن عثمان أبو بكر الصديق ؟ فأجاب. فأخذته الملائكة، فوقفوه أمام ربه ، عز وجل ، فحوسب ثم نحي ، وأخذ به ذات اليمين . ثم نودي بعمر ، فقربته الملائكة ، فوقفوه أمام ربه ، عز وجل ، فحوسب ثم نحي ، وأمر به وبصاحبه إلى الجنة . ثم نودي بعثمان فأجاب ، فحوسب حساباً يسيراً ، ثم أمر به إلى الجنة . ثم نودي بعلي بن أبي طالب ، فحوسب ثم أمر به إلى الجنة . فلما قرب الأمر مني أسقط في يدي ، ثم جعل يؤتى بقوم لا أدري ما حالهم . ثم نودي : أين عمر بن عبد العزيز ؟ فتصببت عرقاً ، ثم سُئِلت عن الفتيل والنقير والقطمير ، وعن كل قضية قضيت بها ، ثم غفر لي . فمررت بجيفة ملقاة فقلت للملائكة : من هذا ؟ قالوا: إنك إن كلمته كلمك . فوكزته برجلي ، فرفع رأسه إليّ ، وفتح عينيه ، فقلت له : من أنت ؟ فقال لي : من أنت ؟ قلت : أنا عمر بن عبد العزيز قال : ما فعل الله بك ؟ قلت : تفضل عليّ ، وفعل بي وفعل بهم ، فقال لي : هنيئاً لك ما صرت اليه . قلت : من أنت ؟ قال : أنا الحجاج ، قدمت على الله عز وجل ، فوجدته شديد العقاب ، فقتلني بكل قتلة قتلة، وها أنا موقوف بين يدي الله ، عز وجل ، أنتظر ما ينتظر الموحدون من ربهم ، إما إلى جنة وإما إلى نار . قال أبو حازم : فعاهدت الله ،

عز وجل ، بعد رؤيا عمر بن عبد العزيز ، أن لا أقطع على أحد بالنار ، ممن يموت يقول : لا إله إلا الله .

رؤيا أخرى لعمر :

(وعن مزاحم مولى عمر بن عبد العزيز) [1] ، عن فاطمة بنت عبد الملك ، امرأة عمر بن عبد العزيز ، قالت : قمت في جوف الليل ، فانتبه لي عمر بن عبد العزيز ، فقال : لقد رأيت رؤيا معجبة ، قالت : قلت : جعلتُ فداك ، فاخبرني بها ، قال : ما كنت لأخبرك بها حتى أصبح ، قالت : فلما طلع الفجر جاءه آذنه بالصلاة ، فخرج فصلى بالناس ، ثم عاد إلى مجلسه ، قالت : فاغتنمت خلوته ، فقلت : أخبرني بالرؤيا التي رأيت ، قال : رأيت ، فيما يرى النائم ، كأني دفعت إلى أرض خضراء واسعة ، كأنها بساط أخضر ، وإذا فيها قصر أبيض ، كأنه الفضة ، أو كأنه اللبن ، إذا خارج قد خرج من ذلك القصر ، فهتف بأعلى صوته يقول : أين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ؟ أين رسول الله ﷺ ؟ إذ أقبل رسول الله ﷺ ، حتى دخل ذلك القصر . قال : ثم آخر خرج من ذلك القصر فنادى : أين أبو بكر بن أبي قحافة ؟ إذ أقبل أبو بكر فدخل ذلك القصر . قال : ثم خرج آخر فنادى : أين عمر بن الخطاب ؟ فأقبل حتى دخل القصر ، ثم خرج آخر فنادى : أين عثمان بن عفان ؟ فأقبل عثمان حتى دخل ذلك القصر ، ثم إن آخر خرج فنادى : أين علي بن أبي طالب ؟ قال : فأقبل حتى دخل ذلك القصر . ثم إن آخر خرج فنادى : أين عمر بن عبد العزيز ؟ قال عمر : فقمت حتى دخلت القصر ، قال : فدفعت إلى رسول الله ﷺ ، والقوم حوله ، فقلت : بيني وبين نفسي : أين أجلس ؟ فجلست إلى جنب أبي : عمر ابن الخطاب فنظرت ، فإذا أبو بكر عن يمين رسول الله ﷺ ، وإذا عمر عن يساره ، فتأملت رسول الله ﷺ ، فإذا بين رسول الله ﷺ ،

---

(1) من نسخة حماه .

وبين أبي بكر رجل ، فقلت : أي أبةِ ! من هذا الرجل الذي بين رسول الله وبين أبي بكر ؟ قال : هذا عيسى بن مريم ، فسمعت هاتفاً يهتف — وبيني وبينه حجب من نور — يا عمر بن عبد العزيز ! تمسك بما أنت عليه ، واثبت على ما أنت عليه ، قال : ثم كأنه أذن لي في الخروج ، فقمت فخرجت من ذلك القصر ، فالتفت خلفي ، فإذا بعثمان بن عفان وهو خارج من ذلك القصر ، وهو يقول : الحمد لله الذي نصرني ربي . وإذا علي بن أبي طالب في أثره ، خارج من ذلك القصر ، وهو يقول : الحمد لله الذي غفر لي ربي .

اعمل في ولايتك نحواً من عمل هذين :

قال : وعن عراك بن ححرة [1] ، عن عمر بن عبد العزيز ، قال: رأيت رسول الله ﷺ ، في المنام ، فقال لي : أدنُ يا عمر ، ثم قال لي : أدن يا عمر ، ثم قال لي : ادن يا عمر ، حتى كدت أن أصيبه ، ثم قال لي : يا عمر ! إذا وليت فاعمل في ولايتك نحواً من عمل هذين! — وإذا كهلان قد اكتنفاه — قلت : من هذان ؟ قال : هذا أبو بكر ، وهذا عمر .

قال : وعن عراك بن ححرة ، عن عمر بن عبد العزيز ، قال : رأيت النبي ﷺ ، في المنام ، فقال : ادن ياعمر ! فدنوت حتى كدت أصافحه ، وإذا كهلان قد اكتنفاه ، فقال : إذا وليت أمر أمتي فاعمل في ولايتك نحو ما عمل هذان في ولايتهما ، قلت : ومن هذان ؟ قال : هذا أبو بكر ، وهذا عمر .

قال : حدثنا سيار [2] ، خادم عمر ، قال : دخلت على عمر فقال : رأيت النبي ﷺ ، وأبو بكر عن يمينه ، وعمر عن شماله ، ورأيت عثمان وهو يقول : خصمت علياً ، ورب الكعبة ، وعلي يقول : غفر لي ، ورب الكعبة .

---

(١) في الحموية « بن ححوة » .

(٢) في الحموية « يسار » .

قال : وعن سعيد بن أبي عروبة ، عن عمر بن عبد العزيز ، قال : رأيت رسول الله ﷺ ، وأبو بكر وعمر جالسان عنده ، فسلمت وجلست ، فبينما أنا جالس إذ أُتيَ بعلي ومعاوية ، فأدخلا بيتاً ، رأجيف عليهما الباب وأنا أنظر ، فما كان بأسرع من أن خرج علي وهو يقول : قضي لي ، ورب الكعبة ، وما كان بأسرع من أن خرج معاوية على أثره وهو يقول : غفر لي . ورب الكعبة .

عمر بن عبد العزيز في سجن الوليد :

وعن راشد بن زفر . مولى سلمة بن عبد الملك . عن أبيه ، قال : تناول الوليد بن عَبد المَلك عمر بن عبد العزيز بلسانه ، فرد عليه عمر ، فغضب الوليد من ذلك غضباً شديداً ، وأمر بعمر فعدل به إلى بيت فحبس فيه . قال راشد : فحدثني أبي زفر مولى مسلمة — وكانت فاطمة أرضعتها أم زفر — قال : قالت لي فاطمة : يازفر ! فمكث ثلاثاً لا يدخل عليه أحد ، ثم أمر باخراجه إن وُجِدَ حياً . قال : فأدركناه وقد زالت رقبته شيئاً ، فلم نزل نعالجه حتى صار إلى العافية ، قالت ، فقلت له يوماً . إنك قد عرفت الوليد وعجلته ، فلو داريته بعض المداراة ، قالت ، فقال لي : أحدثك يافاطمة حديثاً فاكتميه ما دمت حياً ، قالت : نعم ، قال : إنه لما حبسني أتاني تلك الليلة آت في منامي فقال لي :

ليس للعلـــم في الجهالة حـــظٌ إنما العلم ظرفه الإغضـــاء .

قال : فرفعت إلى القائل طرفي ، فإذا هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، قال : فسلمت عليه في منامي فقال لي : إن الوليد جاهل بأمر الله ، عز وجل ، على كثير من جهله ، فأمرُ الله أحرى وأجدر أن لا يتركا جميعاً (مع ما حرمه من ذلك ، لتتبين فضل نعمة الله عليك في العلم بأمر الله ، عز وجل .) [1] قالت : قال عمر : فوالله ، يافاطمة ! ما أكاد

(١) هذه الجملة مرتبة هكذا في الحموية . وأوردها في المختصر بين قوله « جاهل بأمر الله » –

أغضب إلا كأني أنظر إلى عبيد الله بن عبد الله قائماً يخاطبني تلك المخاطبة .

وعن الخزاعي ، عن عمر بن عبد العزيز ، أنه رأى النبي ﷺ ، في روضة خضراء ، فقال له : إنك ستلي أمر أمتي فزع عن الدم ، فزع عن الدم [1] ، فإن اسمك في الناس عمر بن عبد العزيز ، واسمك عند الله جابر .

--- عز وجل » وقوله « على كثير من جهله » وأبدلت فيها كلمة « مع ما حرمه من ذلك » . بكلمة « نعما حرمه من ذلك » . وأما النسخة المصرية فمخرومة من الصفحة السابقة إلى ما بعد عشرين صفحة تقريباً ، ولذلك حرمنا من الاستعانة بها في مكان النقص .

(1) وزعه يزعه فاتزع : أي كف عنه .

الباب السادس والثلاثون

في ذكر من رآه في المنام

عن ابن جريج ، عن عمر بن عبد العزيز ، رضي الله عنه ، قال : رأيت أبي في النوم بعد موته ، كأنه في حديقة فدفع إليّ تفاحات تأولتهن الولد ، قلت : أي الأعمال وجدت أفضل ؟ قال : الاستغفار ، أي بني !.

والله ، ما استرحت إلا الآن :

وعن محمد بن النضر الحارثي ، أن مسلمة بن عبد الملك رأى عمر بن عبد العزيز بعد موته ، فقال : يا أمير المؤمنين ! ليت شعري إلى أي الحالات صرت بعد الموت ؟ فقال : يا مسلمة ! هذا أوان فراغي ، والله ما استرحت إلا الآن . قال : فقلت : أين أنت يا أمير المؤمنين ؟ قال : مع أئمة الهدى في جنات عدن .

الباب السابع والثلاثون

في ذكر ما رؤي له في المنام

عن وهيب بن الورد قال : بينا عمر [1] خلف المقام ، إذ رأيت كأن داخلاً من باب بني شيبة ، وهو يقول : يا أيها الناس ! ولي عليكم كتاب الله ، فقلت : من ؟ فأشار إلى ظفره ، وإذا مكتوب عليه : « ع م ر » . فجاءت بيعة عمر بن عبد العزيز .

فدعاه النبي ﷺ ، فأقعده في حجره :

وعن حصاف ، أخي حصيف ، قال : رأيت النبي ﷺ ، في المنام ، عن يمينه أبو بكر ، وعن يساره عمر ، وميمون بن مهران جالس أمام ذلك ، فقلت : من هذا ؟ قال : هذا رسول الله ﷺ ، فقلت : من هذا ؟ قال : هذا أبو بكر عن يمينه ، وهذا عمر عن يساره ، فجاء عمر بن عبد العزيز ليجلس بين أبي بكر وبين النبي ﷺ ، فشح أبو أبو بكر ، رضي الله عنه بمكانه ، ثم جاء ليجلس بين النبي ﷺ ، وبين عمر ، فشح عمر ، رضي الله عنه ، بمكانه، فدعاه النبي ﷺ ، فأقعده في حجره .

إنه قد عدل في العباد أدخلوه الجنة :

وعن أبي هشام الرمّاني أن رجلا جاء إلى عمر بن عبد العزيز فقال :

(١) لعلها « بينا نحن » لأن عمر لم يكن في مكة أبان بلوغ خبر بيعته اليها .

رأيت النبي ﷺ ، وأبو بكر عن يمينه ، وعمر عن شماله — فذكر نحوه.

وعن النضر بن سهل ، عن أبيه ، قال : بينا عمر بن عبد العزيز ذات يوم مضطجع إذ قال لجارية له : ياجارية ! روِّحيني . قال : فأخذت المروحة ، فأقبلت تروحه ، فغلبتها عينها ، فنامت . فانتبه فإذا هو بالجارية قد احمر وجهها ، وقد عرقت عرقاً شديداً ، فأخذ المروحة فأقبل يروحها ، فانتبهت فوضعت يدها على رأسها وصاحت ، فقال لها عمر : إنما أنت بشر مثلي ، أصابك من الحر ما أصابني ، فأحببت أن أروحك مثل الذي روحتيني ، قال : فقالت له : يا أمير المؤمنين ! إني لم أصح من ترويحك هذا ، ولكن رأيت في منامي رؤيا ، فقال لها عمر : ما الذي رأيت ؟ قالت : رأيت كأن القيامة قد قامت ، وكأن الميزان قد علق ، وكأن الصراط قد نصب ، فإذا المنادي قد نادى : أين الخليفة الذي كان قبل عمر بن عبد العزيز ؟ قالت : فأتي به ، والله يا أمير المؤمنين ! وأنا أنظر اليه ، ويده مشدودة إلى عنقه ، فوقف على شفير جهنم : فنادى منادٍ ألا إنه قد جار في الكتاب ، وفسق في العباد ، ألقوه في النار . قال : فسقط ، ياأمير المؤمنين ! على حر وجهه في جهنم ، ثم نادى الثانية : أين الذي كان قبل ذلك ؟ قالت : فأتي به ، والله يا أمير المؤمنين ، وأنا أنظر اليه ، ويده مشدودة إلى عنقه ، فوقف على شفير جهنم فنادى منادٍ : إنه جار في الكتاب ، وفسق في العباد ، ألقوه في النار . قال : فسقط ، يا أمير المؤمنين ! على حر وجهه في جهنم ،قال : فشهق عمر بن عبد العزيز شهقة ، فمكث نهاره جميعاً يخور كما يخور الثور ، حتى بال ، فعلمنا أن عقله قد ذهب لما أصابه ، ثم أصابه برد السحر فأفاق . ثم قال لها : يا جارية ! ثم ماذا ؟ قالت : ثم أُتي بك ، والله يا أمير المؤمنين ، وأنا أنظر اليك ويدك مشدودة إلى عنقك ، فوقفت على شفير جهنم ، فنادى منادٍ : ألا إنه قد حكم في الكتاب ، وعدل في العباد ، أدخلوه الجنة ، فحمد الله وأثنى عليه .

وعن الحسن بن أبي أمية قال : سمعت أمامة يقول : رأى رجل في منامه على باب الجنة مكتوباً « براءة من الله العزيز الرحيم ، لعمر بن عبد العزيز ، من عذاب يوم أليم » .

وعن معاذ ، مولى زيد بن تميم ، أن رجلا من بني تميم رأى في المنام كتاباً منشوراً من السماء بقلم جليل : « « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من الله العزيز الحكيم . « براءة لعمر بن عبد العزيز من العذاب الأليم . إني أنا الغفور الرحيم » .

وعن زيد بن أبي هاشم أن رجلا جاء إلى عمر بن عبد العزيز ، رضي الله عنه ، فقال : رأيت النبي ﷺ ، وأبو بكر عن يمينه ، وعمر عن شماله ، وأنت جالس ناحيته ، فقال لك : ياعمر ! إذا عملت فاعمل بعمل هذين : أبي بكر وعمر ، رضي الله عنهما ، قال : فاستحلفه عليه : بالله الذي لا إله إلا هو . رأيت هذه الرؤيا ؟ قال : فحلف له ، فبكى عمر .

فأين عمر بن عبد العزيز ؟

وعن أبي هاشم الرماني أن رجلا جاء لعمر بن عبد العزيز فقال : رأيت النبي ﷺ ، في المنام ، وكأن بني هاشم يشكون اليه ، فقال لهم : فأين عمر بن عبد العزيز ؟

وعن الوليد قال : بلغني أن رجلا كان ببعض خراسان ، قال : فأتاني آت فقال : إذا قام أشج بني مروان (يملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً [1] . فأتاني ثلاث مرات في المنام ، فلما كان آخر ذلك زبرني وأوعدني ، فرحلت اليه ، فلما قدمت لقيته فحدثته الحديث ، فقال ·

---

(١) هنا نقص ظاهر وقد أكملنا الضروري منه من رواية ابن عبد ربه في العقد الفريد « راجع هامش ص ١١ من هذه السيرة » .

ما اسمك ؟ ومن أنت ؟ وأين منزلك ؟ قلت : بخراسان ، قال : ومن أمير مكانك الذي أنت به ؟ ومن صديقك هناك وعدوك ؟ وألطف المسألة ثم حبسني أربعة أشهر فقال : إني كتبت فيك ، فجاءني ما أُسر به (من) قِبَل صديقك وعدوك ، فهلُمّ بايعني على السمع والطاعة ، فإذا تركت ذلك فليس لي عليك بيعة ، قال : فبايعته ، قال : ألك حاجة؟ فقلت : لا أنا غني في المال إنما أتيتك لهذا ، فودعته وانصرفت .

اشدد يدك على العريف والماكس :

وعن ابن المهاجر أن رجلا من أهل البصرة رأى في منامه كأن قائلا يقول له : تحج من عاملك هذا ، فقلت : والله مالي من مال ، فمن أين أحج ؟ قال : احتفر موضع كذا من دارك ، فإن فيه درعاً . فبعها ثم حج ؛ فلما أصبحت احتفرت ، فاستخرجت درعاً فبعتها ، وحججت وقضيت مناسكي ، وجئت إلى البيت لأودعه ، فبينا أنا كذلك ، إذ غشيتني نعسة ، وإذا النبي ﷺ، بين أبي بكر وعمر ، رضي الله عنهما ، يمشي بينهما . فقال النبي ﷺ ، ائت عمر بن عبد العزيز ، فاقرأه منه السلام ، وقل له : إن رسول الله يقول : إن اسمك عندنا : عمر المهدي وأبو اليتامى ، فاشدد يدك على العريف والماكس ، وإياك أن تحيد عن طريقه هذا وطريقة هذا ، فيُحَادُ بكَ ، فانتبه وهو يبكي ويقول : إن رسول الله ﷺ ، أرسلني ، فلو كانت رسالته في الظلمات لم أدعها ، أو أبلغها وأموت ؛ فأقبل إلى الشام ، إلى عمر ، وكان بدير سمعان فأتى حاجبه فقال : استأذن لي عمر ، وقل له : إني رسول رسول الله ﷺ ، فاستضعف الحاجب قوله ، ثم أتاه في اليوم الثاني ، فقال له : من أنت يا عبد الله ؟ فقال : أنا رسول رسول الله ﷺ ، فقال الحاجب : هذا مولّه . ليس له عقل ، ثم استأذن اليوم الثالث فقال : يا عبد الله : من أنت وما تريد ؟ ثم دخل على عمر وقال : يا أمير المؤمنين ! هذا انسان ولع الاستئذان عليك ، فإذا قلت : من أنت ؟ قال : رسول

رسول الله ﷺ ، فأذن له ، فدخل على عمر ، فقال : من أنت ؟ فقال : أنا رسول رسول الله ﷺ ، فأخبره بقصة رؤياه ، وما رأى في منامه ، فقال : لقيت رسول الله ﷺ ، بين أبي بكر وعمر ، رضي الله عنهما — وأخبره بالذي أمره به ، قال : إياك أن تحيد عن طريق هذا وهذا ، فيحاد بك غدا عنا ، فقال : مُرُوا له بكذا وكذا . قال : ما أقبل لرسالة رسول الله ﷺ ، شيئاً ، ولو أعطيتني جميع ما تملك ، ثم خرج عنه .

قال عمرو بن مهاجر : وأنا إذ ذاك أنام على باب أمير المؤمنين ، مخافة أن يحدث من أمر الناس أمر فأصاحه ، وإلاّ أتيته به ، فانتبهت ليلة على بكائه ونشيجه قد غلب عليه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ! ما هذا الذي دهاك ؟ ما هذا الذي بلغ بك هذا ؟ قال : إن الله ، عز وجل ، قد صدق رؤيا البصري . جاءني رسول الله ﷺ ، في منامي ، بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فقال : يا عمر بن عبد العزيز ! إن اسمك عندنا المهدي ، وأبو اليتامى ، فاشدد يدك على العريف والماكس ، وإياك أن تحيد عن طريقة هذا وطريقة هذا ، فيحاد بك ، فجعل يبكي بنشيج وهو يقول : أنّى لي بطريقة هذا وهذا ؟؟ .

وعن القاسم بن محمد قال : أخذ بيدي سفيان الثوري ، رحمه الله، فقمت إلى رجل يكنى أبا همام ، من أهل البصرة ، فسأله عن حديث عمر بن عبد العزيز فقال : حدثني رجل من أهل الحي — وذكر فضله — قال : سألت الله ، عز وجل ، أن يرزقني الحج ثلاث سنين ، فرأيت النبي ﷺ ، أتاني ، فقال لي : احضر الموسم العام ، فانتبهت وذكرت أنه ليس عندي ما أحج به ، فأتاني في الليلة الثانية وقال لي : مثل ذلك ، فانتبهت فذكرت ، فقلت مثل ذلك ، فأتاني في الليلة الثالثة — وكنت قلت في نفسي : إن هو أتاني قلت : ليس عندي ما أحج به — قال : فقلت ذلك ، فقال : بل انظر في موضع كذا وكذا من دارك ، فإن فيه درعاً لجدك — أو لأبيك — قال : فصليت العشاء الغداة ، ثم احتفرت

ذلك الموضع ، فكأنما رفعت عنها الأيدي . قال : فأخرجتها بأربعمائة درهم ، ثم أتيت المربد فاشتريت بعيراً وناقة ، وتهيأت تهيئة الانصراف ، فذهبت لأودع ، وقد قدمت بعيري إلى الأبطح ، فإني لأصلّي في الحجر إذ غلبتني عيني ، فأريت النبي ﷺ ، فقال لي : يا هذا ! إن الله قد قبل سعيك ، أئت عمر بن عبد العزيز ، وأبا اليتامى ، وقل له : شُدّ يدك على العريف والماكس ، قال : فانتبهت ، فأتيت أصحابي فقلت أمضوا على بركة الله تعالى ، وأخذت برأس بعيري ، وسألت عن رفقة تخرج إلى الشام ، فمضيت معهم حتى انتهيت إلى دمشق ، فسألت عن منزله ، فأنخت ناقتي وأوصيت بها ، وذلك قبل انتصاف النهار ، فإذا رجل قاعد على باب الدار ، فقلت : يا عبد الله ! استأذن لي على أمير المؤمنين . فقال : ما أمنعك — أو قال ما أمتنع عليك — ولكن أخبرك ، كان من شأنه — يعني من تتاغله بالناس — حتى كان الساعة ، فإن صبرت وإلا دخلت (فلما دخلت على عمر بن عبد العزيز) قال لي : من أنت؟ قلت له : أنا رسول رسول الله ﷺ ، قال : فنظرت إليه ، فإذا نعلاه في اصبعيه ، وإذا هو يستقي ماء ، فلما رآني تنحى فألقى نعليه ، ثم جلس ، فسلمت وجلست ، فقال لي : ممن أنت ؟ قلت : رجل من بني فلان . قال : كيف الزبيب عندكم ؟ كيف التمر عندكم ؟ كيف الزيت عندكم؟ كيف السمن عندكم ؟ كيف البر عندكم ؟ ... حتى عد هذه الأنواع التي تباع ، فلما فرغ من هذا ، عاد إلى المسألة الأولى ، ثم قال لي : ويحك ! قد جئت بأمر عظيم . قلت : يا أمير المؤمنين ؟ ما أتيتُ إلا بما رأيت ، ثم قصصت من لدن رؤياي إلى مجيئي اليه ، قال : فكأن ذلك تحقق عنده ، قال : ويحك ! أقم عندي فأواسيك ، قلت : لا . فدخل وأخرج لي صرة فيها أربعون ديناراً ، فقال : لم يبق من عطائي غير ما ترى ، وأنا مواسيك منها ، قلت : لا والله ، لا آخذ على رسالة رسول الله ﷺ ، شيئاً أبداً . قال : فكان ذلك يصدق عنده . قال : فودعته فقام إليّ فاعتنقني ومشى معي إلى باب الدار ، ودمعت عينه ،

فرّجعت إلى البصرة . فمكثت حولا ، ثم قيل لي : مات عمر بن عبد العزيز ، فخرجت غازياً ، فلما كنت في الروم : إذا الرجل الذي كان استأذن لي قد عرفني ولم أعرفه ، فسلم عليّ ثم قال : علمتَ أن الله عز وجل صدّق رؤياك ؟ مرض عبد الملك ابنه ، فكنت أنا وهو من الليل ، فكان إذا كانت ساعتي التي أكون عنده يذهب فيصلي . فإذا كانت ساعته ذهبت أنا فنمت ، وقام يصلي وأغلق الباب دوني . قال : فوالله إني ليلة من الليالي إذ سمعت بكاء جليلا عالياً ، فقلت : يا أمير المؤمنين ! هل حدث بعبد الملك (حادث) ؟ فجعل لا يكترث لمقالتي ، ثم إنه سري ففتح الباب ، فقال : إن الله تبارك وتعالى صدق رؤيا البصري ، أتاني النبي ﷺ ، فقال : مقالته .

صفة العرفاء والمتقبلين والعشارين :

وعن عثمان بن عبد الحميد قال : حدثني رجل قال : بلغني أن رجلا قال : بينا أنا أطوف في الكعبة ، إذ نعست فنمت ، فرأيت النبي ﷺ فقال : انطلق إلى عمر بن عبد العزيز فاقرئه مني السلام ، وأخبره أن اسمه عندنا ثلاثة : عمر وجابر ومهدي ، ومُرْه يحفظ ثلاث خصال ، فإن حفظهن حفظ الله أمر دينه ودنياه : العرفاء : فإنهم أكلة أموال اليتامى ، والمتقبلين : فأنهم أكلة الربا ، والعشارين : أكلة النحس . ثم رأيته مرة أخرى فقال لي مثل ذلك ، وزبرني وأوعدني ، فشخصت اليه ، فلما قدمت لقيت حاجبه، فقلت : استأذن لي على أمير المؤمنين! قال : من أنت؟ قلت : رسول رسول الله ﷺ ، اليه. فكأنه أنكر ذلك ، وظن أن بي لمماً ، إلى أن مرّ بي إنسان من وجوه الناس ، فدخل الرجل على أمير المؤمنين فقال له الحاجب : إسمع ما يقول هذا ! فدخل على الرجل فأخبره بذلك ؛ فأدخل عليه فأخبره بما رأى ، فكتب مكانه أن لا يعطي انسان عطاءه إلا في يده ، وكتب في المتقبلين والعشارين بما ينبغي ،

ثم قال : ألا أعطيك من مال الله ، عز وجل ، أو من مالي إن شئت ؟ فقال : أنا غنيّ عن المال ، وإنما شخصت لهذا .

وعن الليث بن سعد أنه قال : استشهد رجل من أهل الشام ، فكان يأتي إلى أبيه كل ليلة جمعة في المنام ، فيحدثه ويستأنس به ، قال : فغاب عنه جمعة . ثم جاءه في الجمعة الأخرى ، فقال له : يا بني ! لقد أحزنني وشق علي تخلّفك ! فقال : إنما شغلني عنك أن الشهداء أمروا أن يتلقوا عمر بن عبد العزيز ، وذلك عند وفاة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .

الباب الثامن والثلاثون

في عدد أولاده وأخبارهم

سياق وصيته لمؤدبهم :

عن أبي حفص عمر بن عبيد (الله) [1] الأموي قال : كتب عمر ابن عبد العزيز إلى مؤدب ولده :

من عبد الله عمر ، أمير المؤمنين : إلى سهل مولاه . أما بعد . فإني أخترتك على علم مني بك لتأديب ولدي ، فصرفتهم اليك عن غيرك من موالي ، وذوي الخاصة بي ، فحدثهم بالجفاء فهو أمعن لاقدامهم . وترك الصحبة فإن عادتها تكسب الغفلة ، وقلة الضحك فإن كثرته يميت القلب ؛ وليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي التي بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن ، فإنه بلغني عن الثقات من أهل العلم أن حضور المعازف [2] واستماع الأغاني واللهج بها ينبت النفاق في القلب كما ينبت العشب الماء ، ولعمري لَتَوَقِّي ذلك ، بترك حضور تلك المواطن ، أيسر على ذي الذهن من الثبوت على النفاق في قلبه ، وهو حين يفارقها [3] لا يعتقد مما سمعت أذناه على شيء مما ينتفع به . وليفتتح كل غلام منهم بجزء من القرآن يتثبت في قراءته ، فإذا فرغ ، تناول قوسه

---

(١) من المختصر .

(٢) المعازف : أماكن العزف . أندية الموسيقى .

(٣) كذا في المختصر ، وفي الحموية « حين لا يفارقها » .

ونبله وخرج إلى الغرض حافياً ، فرمى سبعة أرشاق ثم انصرف إلى القائلة ، فإن ابن مسعود ، رضي الله عنه ، كان يقول : يا بني ! قيلوا ، فإن الشياطين لا تقيل .

سياق عدد الذكور من أولاده :

منهم : عبد الملك

عن ابن شوذب قال : جاءت امرأة عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز اليه ، وقد ترجلت ولبست ازاراً ورداء ونعلين ، فلما رآها قال : اعتدي اعتدي .

تأثير عبد الملك بن عمر على أخلاق أبيه :

وعن بعض مشيخة أهل الشام قال : كنا نرى أن عمر بن عبد العزيز ، إنما أدخله في العبادة ما رآه من ابنه عبد الملك .

وعن سليمان بن حبيب المحاربي قال : قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز — وأصابه الطاعون في خلافة أبيه فمات — قال : والله ، ما من أحد أعز عليَّ من عمر ، ولأن أكون سمعت بموته أحب إليَّ من أن يكون كما رأيته .

وعن سليمان بن حميد أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عبد الملك ابنه : إنّه ليس من أحد رشده وصلاحه أحب إلي من رشدك وصلاحك، إلاَّ أن يكون والي عصابة من المسلمين ، أو من أهل العهد ، يكون لهم في صلاحه ما لا يكون لهم في غيره ، أو يكون عليهم من فساده ما لا يكون لهم من غيره .

كتاب عمر من دمشق إلى ابنه في المدينة :

وعن عمرو بن ميمون بن مهران قال : حدثني ليث بن رقية ، كاتب

عمر بن عبد العزيز في خلافته ، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى ابنه في العام الذي استخلف فيه — وابنه إذ ذاك بالمدينة يقال له : عبد الملك :

أما بعد ؛ فإن أحق من تعاهدت بالوصية والنصيحة بعد نفسي . أنت ، وإن أحق من وعي ذلك وحفظه عني . أنت . إنّ الله ، له الحمد ، قد أحسن الينا احساناً كثيراً بالغاً في لطيف أمرنا وعامته ، وعلى الله اتمام ما غبر من النعمة ، وإياه نسأل العون على شكرها . فاذكر فضل الله عليك وعلى أبيك . ثم أعِنْ أباك على ما قوي عليه ، وعلى ما ظننت أن عنده فيه عجزاً عن العمل فيما أنعم به عليه ، وعليك في ذلك فراغ نفسك وشبابك وصحتك ، وإن استطعت أن تكثر تحريك لسانك بذكر الله تحميداً وتسبيحاً وتهليلا فافعل ، فإن أحسن ما وصلت به حديثاً حسناً حمد الله وشكره ، وإن أحسن ما قطعت به حديثاً سيئاً حمد الله وذكره ، فلا تفتتن فيما أنعم الله به عليك فيما عسيت أن تقرظ به أباك فيما ليس فيه ، إن أباك كان بين ظهري أخوته يفضل عليه الكبير ، ويدني دونه الصغير ، وإن كان الله ، وله الحمد ، قد رزقني من والدي حسباً جميلاً كنت به راضياً ، أرى أفضل ببره ولده عليّ حقاً ، حتى ولدتَ ، وولدت طائفة من أخوتك ، ولا أخرج بكم من المنزل الذي أنا فيه . فمن كان راغباً في الجنة وهارباً من النار ، فالآن التوبة مقبولة ، والذنب مغفور ، قبل نفاد الأجل ، وانقضاء العمل ، وفراغ من الله للمنقلبين ، ليدينهم بأعمالهم ، في موضع لا تقبل فيه الفدية ، ولا تنفع فيه المعذرة ، تبرز فيه الخفيات ، وتبطل فيه الشفاعات ، يَرِدُهُ الناس بأعمالهم ، ويصدرون عنه أشتاتاً إلى منازلهم ؛ فطوبى . يومئذ ، لمن أطاع الله ، وويل ، يومئذ ، لمن عصى الله . فإن ابتلاك الله بغنى فاقتصد في غناك ، وضع لله نفسك ، وأد إلى الله فرائض حقه من مالك ، وقُلْ كما قال العبد الصالح : ﴿ هذا من فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَني أأشْكرُ أمْ أكْفُرُ ومَنْ شَكَرَ فإنّما يشْكُرُ لِنَفْسه ومَنْ كَفَرَ فإنَّ ربِّي غَنِيّ كريمٌ ﴾ (١) . وإياك أن تفخر بقولك ،

(١) سورة النمل ، الآية : ٤٠ .

وأن تعجب بنفسك ، أو يخيل اليك أن مارزقته لكرامة لك على ربك ، وفضيلة على من لم يرزق مثل غناك ، فإذا أنت أخطأت باب الشكر ، وتركت منازل أهل الفقر ، وكنت ممن طغى للغنى ، وتعجل طيباته في الحياة الدنيا ، فإني لأعظك بهذا ، وإني لكثير الاسراف على نفسي ، غير محكم لكثير من أمري ، ولو أن المرء لم يعظ أخاه حتى يحكم أمر نفسه ، ويعمل في الذي خلق له من عبادة ربه ، إذن لتواكل الناس الخير ، وإذن لرفع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقل الواعظون والساعون لله بالنصيحة في الأرض ، فلله الحمد رب السموات ورب الأرض ، رب العالمين ، وله الكبرياء في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم » .

كان عبد الملك ، رحمه الله ، يفضل على عمر :

وعن سيار بن الحكم قال : كان ابنٌ لعمر بن عبد العزيز يقال له : عبد الملك ، وكان ، رحمه الله ، يفضل على عمر ، قال : يا أبتِ ! أقيمِ الحق ولو ساعةً من نهار .

وعن اسماعيل بن أبي حكيم قال : غضب عمر بن عبد العزيز يوماً غضباً شديداً، وكان فيه حدة — وعبد الملك ، ابنه ، حاضر — فلما سكن غضبه قال : يا أمير المؤمنين ! أنت في قدر نعمة الله عليك ، وموضعك الذي وضعك به ، وما ولاّك من أمر عباده ، يبلغ بك الغضب ما أرى ؟ قال : كيف قلت ؟ فأعاد عليه كلامه ، فقال : أما تغضب يا عبد الملك ؟ قال : ما تغني سعةُ جوفي إن لم أردّ فيه الغضب ، حتى لا يظهر منه شيء أكرهه — قال : وكان بطيناً — .

متى ما أريد مكابدتهم لم آمن أن يفتقوا فتقاً :

وعن شعيب ، أن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز دخل على عمر فقال : يا أمير المؤمنين ! إنّ بي اليك حاجة ، فأخلني — وعنده مسلمة ابن عبد الملك — فقال له عمر : أسرٌّ دون ابن عمك ؟ قال : نعم .

فقام مسلمه وخرج ، وجلس بين يديه ، فقال : يا أمير المؤمنين ! ما أنت قائل غداً لربك إذا سألك فقال : رأيتَ بدعة فلم تُميتْها أو سنة فلم تُحْيِها ؟ فقال : يا بني ! أشيء حمّلك الرعية إليَّ ؟ أم رأيٌ رأيته ؟ (قال : بل رأيٌ) رأيته من قبل نفسي ، وعرفت أنك مسؤول فيما أنت قائل . فقال له أبوه : رحمك الله وجزاك من ولد خيراً ، فإني ، والله، لأرجو أن تكون من الأعوان على الخير . يا بني ! إنّ قومك قد شدُّوا هذا الأمر عقدة عقدة ، وعروة عروة، ومتى ما أريد مكايدتهم على انتزاع ما في أيديهم لم آمن أن يفتقوا عليَّ فتقاً تكثر فيه الدماء ، والله لزوالُ الدنيا أهونُ عليَّ من أن يهرق في سببي محجمة من دم ، أوَمَا ترضى أن لا يأتي على أبيك يومٌ من أيام الدنيا إلاّ وهو يميت فيه بدعة ويحيي فيه سنة ، حتى يحكم الله بيننا وبين قومنا بالحق ، وهو خير الحاكمين ؟ .

وعن هشام بن حسان قال : قال عمر بن عبد العزيز لمولاه مزاحم : كم ترانا أصبنا من أموال المسلمين ؟ قال : قلت : يا أمير المؤمنين ! أتدري ما عيالك ؟ قال : نعم ، الله لهم ، فخرجت من عنده ، فلقيت ابنه عبد الملك فقلت له : أتدري ما قال أمير المؤمنين ؟ قال : وما قال أمير المؤمنين ؟ قال : قال : يا مزاحم ؟ كم أصبنا من أموال المسلمين؟ فقلت له : هل تدري ما عيالك ؟ قال : نعم، الله لهم ، فقال عبد الملك : بئس الوزير أنت يامزاحم ! ثم جاء يستأذن على أبيه ، فقال للآذن : استأذن لي عليه فقال له الآذن : إنّما لأبيك من الليل والنهار هذه الساعة ، قال : لا بد من لقائه . فسمع عمر ، رضي الله عنه ، مقالتهما ، فقال : من هذا ؟ قال الآذن : عبد الملك ! قال : ائذن له ، فدخل ، فقال : ما جاء بك في هذه الساعة ؟ قال : شيء ذكره لي مزاحم . قال : نعم ، فما رأيك ؟ قال : رأيي أن تمضيه . قال : فإني أروح إلى الصلاة فأصعد إلى المنبر فأرده على رؤوس الناس ، قال : ومن لك أن تعيش إلى الصلاة ؟ قال : فمه ؟ قال : الساعة ، قال : فخرج ، ونودي : الصلاة جامعة ، فصعد المنبر فرده على رؤوس الناس .

وعن اسماعيل بن أبي حكيم قال : دخل عبد الملك على أبيه عمر فقال : أين وقع لك رأيك فيما ذكر لك مزاحم من رد المظالم ؟ قال : على انفاذه ، فرفع عمر يده ثم قال : الحمد لله الذي جعل من ذريتي من يعينني على أمر ديني ، نعم يا بني ، أصلّي الظهر ، إن شاء الله تعالى، ثم أصعد المنبر ، فأردها على رؤوس الناس ، فقال عبد الملك : يا أمير المؤمنين ! من لك بالظهر ؟ ومن لك بأن تسلم نيتك إلى الظهر ؟ فقال عمر : فقد تفرق الناس للقائلة . قال عبد الملك : تأمر مناديك فينادي : الصلاة جامعة ، حتى يجتمع الناس . فأمر مناديه فنادى فاجتمعوا ، وقد جيء بسفط أو جونة فيها تلك الكتب ، وفي يدم عمر جلم يقصه ، حتى نودي بالظهر .

أوَ أمِنْتَ الموت يأتيك ورعيتك على بابك :

وعن ابن أبي علية قال : جلس عمر بن عبد العزيز يوماً للناس ، فلما انتصف النهار ضجر وملّ وكلّ ، فقال للناس : مكانكم حتى أنصرف اليكم ، ودخل ليستريح ساعة ، فجاء ابنه عبد الملك فسأل عنه ، فقالوا : دخل . فاستأذن عليه ، فأذن له ، فلما دخل قال : يا أمير المؤمنين ! ما أدخلك ؟ قال : أردت أن أستريح ساعة . قال : أوأمنت الموت أن يأتيك ، ورعيتك على بابك ينتظرونك ، وأنت تحتجب عنهم ؟ فقام عمر من ساعته ، وخرج إلى الناس .

وعن ميمون بن مهران أنه قال : ما رأيت ثلاثة في بيت خيراً من عمر بن عبد العزيز ، وابنه عبد الملك ، ومولاه مزاحم .

وعن نافع قال : قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ! ما يمنعك أن تمضي الذي تريد ؟ فوالذي نفسي بيده ما أبالي أن لو غلتِ بيَ وبكَ القدور . قال : وحق هذا منك ؟ قال : نعم ، والله ، قال عمر : الحمد لله الذي جعل من ذريتي من يعينني على أمر

ديني ، يا بني لو باهتُّ الناس بالذي تقول لم آمن أن ينكروها . فإذا أنكروها لم أجد بداً من السيف ، ولا خير في خير لا يجيء إلاّ بالسيف ، يا بني ! إني أروض الناس رياضة الصعبة ، فإن بطأ بي عمر أرجو أن ينفذ الله مشيئتي ، وأن تعدو على منيّتي ، فقد علم الله الذي أريده .

وعن جعونة قال : دخل عبد الملك على أبيه عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين ! ماذا تقول لربك إذا أتيت ، وقد تركت حقاً لم تحيه باطلا لم تمته ؟ قال : اقعد يا بني ! إنّ آباءك وأجدادك خدعوا الناس الحق ، فانتهت الأمور إليّ ، وقد أقبل شرها وأدبر خيرها ، لكن ليس حسناً جميلا أن لا تطلع الشمس عليّ ، في يوم ، لا أحييتُ فيه حقاً وأمتُّ فيه باطلاً ، حتى يأتيني الموت وأنا على ذلك .

امتحان عقل عبد الملك وأدبه :

وعن ميمون بن مهران قال : قال لي عمر بن عبد العزيز : إن ابني عبد الملك قد زين في عيني ، وقد أعجبت به ، وما أرى إلاّ الهوى قد غلب على علمي بفضله ، وأحب أن تأتيه وتستشيره ، فتنظر إلى عقله . قال : فأتيته ، فاستأذنت عليه ، فقعدت عنده ساعة ، فأعجبت به ، إذ جاءه الغلام فقال : قد فرغنا مما أمرتنا به . قلت : وما ذاك ؟ قال : الحمام . أمرته أن يخليه لي ، قلت : آه آه ، قد كنت أعجبت بك حتى سمعت هذا . قال : وما ذاك يا عماه ؟ قلت : أرأيت الحمام ملكاً لك ؟ قال : لا . قلت : فما الذي يحملك على أن تصد عنه غاشيته ، وتعطله على أهله ؟ قال : أنا أعطيه غلة يومه ، قلت : وهذه نفقة كِبَرٍ خالطها إسرافٌ ، كأنّك تريد بذلك الأبّهة ، وإنما أنت رجل من المسلمين كأحدهم ، يجزيك أن تكون مثلهم ، قال : فقال : والذي عظم حقك ، ما يمنعني أن أدخل معهم إلاّ أني أرى قوماً رعاعاً بغير ميازر ، وأكره أدبهم على الميازر ، فيضعون ذلك على سلطاننا ، خلصنا الله منهم كفافاً .

فقلت : تدخله ليلا . قال : أفعل ، ولولا برد بلادنا ما دخلته ليلا ولا نهاراً .

قال الشيخ أبو الفرج ، المصنف ، رحمه الله تعالى : ومات عبد الملك في حياة أبيه رضي الله عنهما .

تأبين عمر لابنه عبد الملك :

وعن زياد بن حسان أنه شهد عمر بن عبد العزيز حين دفن ابنه عبد الملك . رحمه الله . وسوى عليه التراب . سووا قبره بالأرض ، وصنعوا عند رأسه خشبتين من زيتون ، إحداهما عند رأسه والأخرى عند رجليه ، ثم جعل قبره بينه وبين القبلة واستوى قائماً فأحاط به الناس فقال :

« والله ، يا بني ! لقد كنت براً بأبيك ، والله ، ما زلت مذ وهبك الله لي مسروراً بك ، ولا ، والله ، ما كنت قط أشد سروراً ، ولا أرجى لحظي من الله فيك منذ وضعتك في المنزل الذي صيرك الله فيه . فرحمك الله وغفر ذنبك ، وجزاك بأحسن عملك ، ورحم الله لكل شافع لك بخير ، من شاهد أو غائب . رضينا بقضاء الله وسلمنا لأمره ، والحمد لله رب العالمين » . وانصرف .

وعن حفص بن عمر قال : لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ظل يثني عليه ، فقال له مسلمة : يا أمير المؤمنين ! أرأيت لو بقي أكنت تعهد اليه ؟ قال : لا . قال : لِمَ وأنت تثني عليه هذا الثناء ؟ قال : لولا إني أخاف أن أكون قد زين في عيني من أمره ، ما زين في عين الوالد من الولد ، لرأيت أنه أهل للخلافة .

وعن رجاء بن أبي مسلمة قال : لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ، كتب إلى الأمصار ينهاهم أن يُناحَ عليه ، فكتب :

إن الله تعالى أحب قبضه ، وأعوذ بالله أن أخالف محبته .

أما في موت عبد الملك ما يشغل عن نصيحة المسلم :

وعن عون بن المعمر أن عمر بن عبد العزيز رأى ، وهو يدفن ابنه عبد الملك ، رجلا يشير بشماله ، فقال : يا هذا ! إذا تكلمت فلا تشر بشمالك ، أشر بيمينك . فقال الرجل : ما رأيت كاليوم أن رجلا دفن أعز الناس ، ثم إنه يهمه شمالي ويميني ، فقال عمر : إذا استأثر الله بشيء قال عنه .

وعن أبي عبد الرحمن القرشي قال : قال رجل لعمر بن عبد العزيز ، وهو في قبر ابنه : آجرك الله ، يا أمير المؤمنين ! — وأشار الرجل بشماله — فقال له عمر : يا عبد الله ! أشر بيمينك . فقال الرجل : أما في موت عبد الملك ما يشغل عن نصيحة المسلم ؟ .

وعن الربيع بن سبرة قال : لما هلك عبد الملك بن عمر بن عبدالعزيز ، وسهل بن عبد العزيز ، ومزاحم ، في أيام متتابعة ، دخل الربيع بن سبرة عليه ، فقال : أعظم الله أجرك ، يا أمير المؤمنين ! فما رأيت أحداً أصيب بأعظم من مصيبتك في أيام متتابعة ، والله ، ما رأيت مثل ابنك ابناً ، ولا مثل أخيك أخاً ، ولا مثل مولاك مولى قط ، قال : فطأطأ عمر رأسه ، فقال لي رجل معي على الوسادة : لقد هيجت على أمير المؤمنين . قال : ثم رفع رأسه فقال : كيف قلت الآن ياربيع ؟ فأعدت عليه ما قلت أولاً ، فقال : والذي قضى عليهم بالموت ، ما أحب أن شيئاً من ذلك كان لم يكن .

وأعاد الحديث وزاد فيه : ما أحب أن شيئاً من ذلك كان لم يكن ، لما أرجو من الله ، تعالى ، فيهم .

وعن علي بن حصن قال : شهدت عمر بن عبد العزيز تتابعت عليه

مصائب : مات أخ له ، ثم مات مزاحم ، ثم مات ابنه عبد الملك ، فلما مات عبد الملك تكلم ، فحمد الله تعالى ، وأثنى عليه ، ثم قال : لقد دفعته إلى النساء في الخرق ، فما زلت أرى فيه السرور وقرة العين إلى يوم الناس هذا ، فما رأيت فيه أمراً قط أقرّ عيني من أمر رأيته اليوم .

وعن مالك قال : قام عمر بن عبد العزيز إلى مصلاّه ، فذكر سهل ابن عبد العزيز ، وعبد الملك ، ومزاحماً فقال : اللّهم ! إنك قد علمت ما كان من عونهم ومعونتهم فأخذتهم ، فلم يزدني ذلك إلاّ حباً ، ولا إلى ما عندك إلاّ شوقاً . ثم رجع إلى مجلسه .

وعن علي بن خالد بن زيد قال : لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز دخل عليه ، فنظر إليه وخرج وهو يتمثل :

لا يغُرّنْك عشاء ساكن قد يوافي بالمنيات السحــر .

وعن المدايني قال : قام عمر بن عبد العزيز على قبر ابنه عبد الملك فقال :

رحمك الله يا بني ! فقد كنت ساراً مولوداً ، وباراً ناشئاً ، وما أحب أني دعوتك فأجبتني .

وعن سليمان بن أرقم أن عمر بن عبد العزيز قال لأبي قلابة — وقد ولي غسل ابنه عبد الملك — : إذا غسلته وكفنته ، فآذني قبل أن تغطي وجهه . ففعل . فنظر اليه فقال :

رحمك الله يا بني ، وغفر لك .

كل ما في الأرض من محبوب متروك ومن مكروه مضمحل :

وعن المدائني باسناده ، أن عمر بن عبد العزيز خطب الناس بعد وفاة ابنه عبد الملك ، ونهى عن البكاء عليه وقال :

إن الله ، عز وجل ، لم يجعل لمحسن ولا لمسيء في الدنيا خلداً ، ولم يرضَ بما أعجب أهلها ثواباً لأهل طاعته ، ولا ببلائها عقوبة لأهل معصيته ، فكل ما فيها من محبوب متروك ، وكل ما فيها من مكروه مضمحل ، لذلك خلقت ، وكتب على أهلها الفناء ، فأخبر أنه يرث الأرض ومن عليها . فاتقوا الله ، واعملوا ليومٍ لا يجزي والد عن ولده ، ولا مولود هو جازٍ عن والده شيئاً .

إنما الجزع قبل المصيبة فإذا وقعت المصيبة ، فاله عمّا فاتك :

وعن المدائني ذكروا أن عمر بن عبد العزيز : لما مات ابنه عبد الملك ، رجع من المقبرة ، فرأى قوماً يرمون ، فلما رأوه أمسكوا ، فقال : ارموا ، ووقف عليهم ، فرمى أحد الرامين ، فأخرج . فقال له عمر : أخرجت فقصِّر . ثم قال للآخر : ارم ، فقصّر ، فقال له عمر : قصرت فبلِّغ . فقال له مسلمة : يا أمير المؤمنين ! أتفرغ قلبك لما تفرغ له ، وإنما نفضت يدك من تراب ابنك الساعة ، ولم تصل إلى منزلك بعد ؟ فقال له عمر : يا مسلمة ! إنما الجزع قبل المصيبة ، فإذا وقعت المصيبة فالْهَ عما فاتك .

وعن الزبير بن بكار قال : دخل عمر بن عبد العزيز على ابنه عبد الملك وهو مريض ، فقال له : كيف تجدك يا بني ؟ قال : أجدني في الحق ، والله ، لأن يكون ما تحب أحب إليّ مما أحب . فلما هلك عبد الملك قال عمر : يا بني ! لقد كنت في الدنيا كما قال الله جل ثناؤه : ﴿ المالُ والبَنُونَ زينَةُ الحيَاةِ الدُّنْيا ﴾ [1] ولقد كنت أفضل زينتها ، وإني لأرجو أن تكون اليوم من الباقيات الصالحات التي هي خير ثواباً وخير أمداً ، والله ما سرّني أني دعوتك فأجبتني . فعزاه الناس ، وعزاه محمد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، فقال :

(١) سورة الكهف ، الآية : ٤٦ .

يا أمير المؤمنين ! ليشغلك ما أقبل من الموت عليك ، عما هو في شغل مما يدخل عليك ، وأعدّ لنزوله عدة يكن لك حجاباً وستراً من النار ، — وقال — يا أمير المؤمنين ! لو ترك رجل تعزية أخيه ، لعلمه وانتباهه ، لَكُنْتَهُ ، ولكن الله قضى أن الذكرى تنفع المؤمنين .

وقام أعرابي من بني كلاب بين السماطين فقال :

تعزّ ، أمير المؤمنين ! فإنه ... لما قد ترى يغذي الوليد ويولدُ
هلْ ابنُك إلاّ من سلالة آدمٍ ؟ ... لكلٍ على حوض المنية موردُ

ما كتب عمر في وفاة ابنه عبد الملك :

ثم كتب عمر :

أما بعد ؛ فإن الله تعالى كتب على خلقه ، حين خلقهم ، فجعل مصيرهم اليه ، فقال ، جل ثناؤه ، فيما أنزل في كتابه الصادق الذي حفظه : « إنه يرث الأرض ومن عليها وإليه يرجعون » (١) وقال لنبيه ، ﷺ : ﴿ ومَا جَعَلْنا لِبَشَرٍ منْ قَبْلك الخُلْد أفإنْ متّ فهُمُ الخالِدونَ ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الموْت ﴾ (٣) . وقال عز وجل : ﴿ مِنْها خَلَقْناكُمْ وفِيهَا نُعِيدُكُم ومِنْها نُخْرِجُكُم تارةً أخْرى ﴾ (٤) . فالموت سبيل الناس في الدنيا ، لم يكتب الله لمحسن ولا لمسيء فيها خلوداً ، ولم يرضَ ما أعجب أهلها ثواباً لأهل طاعته ، ولم يرضَ ببلائها عقوبة لأهل معصيته ، فكل شيء منها ، أعجب أهلها أو كرهوا منه شيئاً ، متروك ، لذلك خلقت منذ خلقت ، ولذلك سكنت منذ سكنت ، ليبلو الله فيها عباده أيهم أحسن عملا ، فمن

---

(١) معنى الآية ٤٠ من سورة مريم والتي نصها : (إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون) .
(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٣٤ .
(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ٣٥ .
(٤) سورة طه ، الآية : ٥٥ .

قدم عند خروجه من الدنيا إلى طاعة الله ورضوانه ، من أنبيائه وأئمة الهدى الذين أمر الله نبيه أن يقتدي بهداهم ، خلد في دار الاقامة من فضله ، لا يمسهم فيها نصب ، ولا يمسهم فيها لغوب ، ومن كانت مفارقته الدنيا إلى غيرهم ، وإلى غير منازلهم ، فقد قابل الشر الطويل ، وأقام على ما لا قبل له به ، وأسأل الله ، برحمته ، أن يتقينا ما أبقانا في الدنيا مطيعين أمره ، متبعين لكتابه ، وأن يقدمنا ، إذا خرجنا من الدنيا ، إلى نبينا ومن أمر أن يقتدي بهداه من المصطفين الأخيار ، وأسأله برحمته أن يقينا أعمال السوء في الدنيا ، والسيئات يوم القيامة . ثم أن عبد الملك ابن أمير المؤمنين ، كان عبداً لله ، أحسن الله اليه ، وأحسن إلى أبيه فيه ، أعاشه ما أحب أن يعيشه ، ثم قبضه حين أحب أن يقبضه ، وهو فيما علمت بالموت مغتبط ، يرجو من الله فيه رجاء حسناً ، وأعوذ بالله أن تكون لي محبة في شيء من الأمور تخالف محبة الله تعالى ، فإن ذلك لا يصلح لي في بلائه عندي ، ولا احسانه إليَّ ، ولا نعمته عليَّ . وقد قلت : ما رجوت به ثواب الله الحسن ، وموعوده الصادق من المغفرة ، إنّا لله وإنّا اليه راجعون . ثم لم أجد في نفسي بعد ذلك ، والحمد لله ، إلا خيراً . من رضىً بقضاء الله تعالى ، واحتسابٍ لما كان من المصيبة ، فحمدت الله على ما مضى : وعلى ما بقي ، وعلى كل حال من أمر الدنيا والآخرة . أحببت أن أعلمكم بذلك ، وأكتب اليكم به ، فلا أعرفنّ مما أنيح عليه في شيء مما قبلكم ، ولا يجتمع على ذلك أحد من الناس ، ولا رخصت فيه لقريب من الناس ولا بعيد ، والسلام .

ما كتبه إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن في شأن ابنه عبد الملك :

قال : حدثنا حازم قال : بلغنا أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن ، في شأن ابنه عبد الملك ، حين توفى :

أما بعد ؛ فإن الله ، تبارك اسمه وتعالى جده كتب على خلقه ، حين خلقهم ، الموت . وجعل مصيرهم اليه ، فقال فيما أنزل من كتابه

الصادق الذي حفظه بعلمه ، وأشهد ملائكته على حقه : « إنه يرث الأرض ومن عليها وإليه يرجعون » [1] . ثم قال لنبيه ، عليه السلام : ﴿ ومَا جَعَلْنا لِبَشَرٍ منْ قبْلكَ الخُلْدَ أفإنْ متّ فهُمُ الخالدونَ ﴾ [2] . ثم قال عز وجل : ﴿ منها خلَقْناكُمْ وفيهَا نُعيدُكُمْ ومنْها نُخْرجُكُم تارَةً أخْرى ﴾ [3] . فالموت سبيل الناس في الدنيا ، لم يكتب الله لمحسن ولا مسيء فيها خلداً ، ولم يرض بما أعجب أهلها فيها ثواباً لأهل طاعته ، ولم يرض ببلائها عقوبة لأهل معصيته . فكل شيء منها أعجب أهلها ، أو كرهوا منه شيئاً ، متروك . لذلك خلقت، ولذلك سكنت منذ سكنت ، ليبلو الله فيها عباده أيهم أحسن عملا . فمن قدم ، عند خروجه من الدنيا ، إلى أهل طاعة الله ورضوانه من أنبيائه ، وأئمة الهدى الذين أمر الله نبيه أن يقتدى بهداهم ، خالد في دار المقامة من فضله ، لا يمسه فيها نصَبٌ ولا يمسه فيها لغوب . ومن كانت مفارقته الدنيا إلى غيرهم ، وغير منازلهم ، فقد قابل الشر الطويل ، وأقام على ما لا قبل لديه . أسأل الله برحمته أن يبقينا ، ما أبقانا ، في الدنيا ، مطيعين لأمره متبعين لكتابه . ويجعلنا ، إذا خرجنا من الدنيا ، إلى نبينا ، ومن أمر أن يقتدى بهداهم من المصطفين الإخيار . وأسأله برحمته أن يقينا أعمال السوء في الدنيا ، والسيئات يوم القيامة . ثم ان عبد الملك بن أمير المؤمنين كان عبداً من عباد الله ، أحسن الله اليه في نفسه ، وأحسن إلى أبيه فيه ، أعاشه الله ما أحب أن يعيشه ، ثم قبضه الله حين أحب أن يقبضه ، وهو فيما علمت بالموت مغتبط ، ويرجو فيه من الله رجاء حسناً . فأعوذ بالله أن تكون لي محبة في شيء من الأمور تخالف ما أحب الله ، فإن خلاف ذلك لا يصلح في بلائه عندي ، وإحسانه إليّ ، ونعمته عليّ . وقد قلت عند ما كان في سبيله ، أحمد الله على

---

(1) معنى الآية : ٤٠ من سورة مريم والتي نصها : (إنا نحن نرث الأرض ومن عليها والينا يرجعون) .

(2) سورة الأنبياء ، الآية : ٣٥ .

(3) سورة طه ، الآية : ٥٥ .

ما رجوت به ثواب (الله الحسن .. وموعوده الصادق من المغفرة ، إنا لله وإنّا اليه راجعون . ثم لم أجد في نفسني بعد ذلك ، والحمد لله . إلاّ خيراً . من رضىً بقضاء الله تعالى ، واحتساب لما كان من المصيبة .، فحمدت الله على ما مضى . وعلى نما بقى ، وعلى كل حال من أمر الدنيا والآخرة . أحببت أن أعلمكم بذلك ، وأكتب اليكم به) . فلا أعلم مما أنيح عليه في شيء مما قبلك ، ولا اجتمع على ذلك أحد من الناس ؛ ولا رخصت لقريب من الناس ولا لبعيد . واكفني ذلك بكفاية الله ، ولا ألومنك فيه إن شاء الله ، والسلام عليك .

وعن خالد بن عطية قال : قال عمر بن عبد العزيز عند وفاة ابنه عبد الملك :

الحمد لله الذي جعل الموت حتماً واجباً على خلقه ، ثم سوى فيه بينهم ؛ فقال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ المَوْتِ ﴾ [1] ، فليعلم ذوو النهى أنهم صائرون إلى أمورهم ، مفردون بأعمالهم ؛ واعلموا أن عند الله مسألة فاضحة ، قال الله سبحانه : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهم أجْمَعِينَ * عمّا كانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [2] .

ما كنت على حالة فسرني أني على غيرها :

وعن أبي إبراهيم البكّاء قال : كتب رجل إلى عمر بن عبد العزيز يعزيه بابنه عبد الملك ، فقال لكاتبه ؛ أجبه ، وأدق القلم :

أما بعد ؛ فإن هذا أمرٌ كنا وطّنا أنفسنا عليه : فلما نزل لم ننكره . والسلام .

وعن أبي زياد بن زادان قال : قال عمر بن عبد العزيز :ماكنت على حالة من حالات الدنيا فسرّني أني على غيرها .

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٣٥ .
(٢) سورة الحجر ، الآيتان : ٩١ ، ٩٢ .

وعن يحيى بن سعيد قال : قال عمر بن عبد العزيز : مالي في الأمور هوىً ، سوى مواقع قضاء الله فيها .

وعن سليمان بن حبيب قال : لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ، دخل هشام بن الغار على عمر ، فعزاه ، فقال عمر : وأنا أعوذ بالله أن تكون لي محبة في شيء من الأمور تخالف محبة الله ، عز وجل ، فإن ذلك لا يصلح لي ، في بلائه عندي .

ومن أولاده عبد العزيز

ولي المدينة ومكة ليزيد بن عبد الملك ، ثم أثبته مروان بن محمد عليهما ، ثم عزله عنها [1]

قال الزبير بن بكار ، وقد أسند عبد العزيز الحديث : روى عبد العزيز ابن عمر بن عبد العزيز الحديث ، عن صالح بن كيسان ، عن عثمان بن عفان ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلم خرج من بيته يريد سفراً أو غيره ، فقال حين خرج : « بسم الله ، آمنت بالله ، اعتصمت بالله ، وتوكلت على الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله » — إلاّ رزق خير ذلك المخرج ، وصرف عنه شره » .

وروى عن يحيى ، عن اسماعيل بن جرير ، عن قرعة ، فقال : أرسلني ابن عمر إلى حاجته ، فأخذ بيدي وقال : تعال أودعك كما ودعني رسول الله ﷺ ، وأرسلني إلى حاجته ، فقال : « استودعك الله دينك ، وأمانتك ، وخواتيم عملك » .

وروى عن مكحول قال : قال رسول الله ﷺ ، « من صلّى بعد المغرب ركعتين قبل أن يتكلم ، رفعت في علّيّين » .

---

(١) من المختصر .

وعنه قال : قال لي أبو جعفر – يعني أمير المؤمنين – : كم كانت غلة أبيك عمر حين ولي الخلافة ؟ قلت : أربعين ألف دينار . قال : فكم كانت غلته لما توفى ؟ قلت : أربعمائة دينار ، ولو بقي لنقصت .

ورُوي عنه أنه قال : دعاني أبو جعفر فقال : كم كانت غلة عمر ابن عبد العزيز حين أفضت اليه الخلافة ؟ فقلت : خمسين ألف دينار . قال : فكم كانت يوم مات ؟ قلت : ما زال يردها حتى كانت مائتي دينار ، ولو بقي لردها .

وعنه أنه قال : ما كان أبي يعدل بعراك بن مالك .

لا تحملها على الشر ما وجدت لها محملا على الخير :

وعنه قال : قال لي أبي : يا بني ! إذا سمعت كلمة من امرء مسلم . فلا تحملها على شيء من الشر ، ما وجدت لها محملا على الخير .

وعنه قال : كنت أحب لقاء الزهري ، فرأيته في النوم ، فقلت له : يا أبا بكر ! هل من خاصة دعوة ؟ قال : لا إله الا الله ، وحده لا شريك له ، توكلت على الحيِّ الذي لا يموت ، اللّهم إنّي أسألك العافية . وأسألك أن تعيذني وذريّتي من الشيطان الرجيم .

ومن أولاده عبد الله
ولي الكوفة

عن أبي ضمرة ، عن أسامة بن زيد ، عن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز عن أبيه ، أنه قال : تهادوا يذهب . كأنه يريد : السخيمة .

ليست من ثيابي ولا من ثياب قومي :

قال : حدثنا يعقوب ، عن أبيه ، أن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز أتى إلى أبيه ، وهو خليفة ، يستكسي أباه ، فقال : يا أبتِ ! اكسني ،

فقال : اذهب إلى الخيار بن رياح البصري ، فإن لي عنده ثياباً ، فخذ منها ما بدا لك ، قال : فذهبت إلى الخيار ابن رياح ، فقلت : إني استكسيت أبي ، فأرسلني اليك ، وقال : إن لي عند الخيار بن رياح ثياباً ، فقال : صدق أمير المؤمنين ، فأخرج اليه ثياباً سنبلانية أو قطرية ، فقال : هذا ما لأمير المؤمنين عندي ، فخذ منها ما بدا لك . قال عبد الله : ما هذا من ثيابي ولا من ثياب قومي . فقال: هذا ما لإمير المؤمنين عندي ، فرجع عبد الله إلى أبيه عمر ، فقال : يا أبتاه ! استكسيتك فأرسلتني إلى الخيار ابن رياح ، فأخرج لي ثياباً ليست من ثيابي ، ولا من ثياب قومي . قال : فذاك ما لنا عند الرجل ، فانصرف عبد الله ، حتى إذا كاد يخرج ، ناداه فقال : هل لك أن أسلفك من عطائك مائة درهم ؟ قال : نعم ، ياأبتاه ! فأسلفه مائة درهم ، فلما خرج عطاؤه حوسب بها فأخذت منه .

ومنهم ابراهيم

قال : حدثني الليث أن ابراهيم بن عمر بن عبد العزيز حدثه أنه سمع أباه يقول لابن شهاب : ما أعلمك تعرض عليّ شيئاًقد مرّ علىمسامعي ، إلا أنك أوعى له مني [1] .

كيف أقلدكم ديني تدنسوه في كل جند :

قال : حدثنا الأوزاعي أن عمر بن عبد العزيز قال لبنيه : كيف أنتم إذا وليت كل رجل منكم جنداً ؟ فقال ابنه ، ابن الحارثية : لِمَ تعرض علينا أمراً لا تريد أن تفعله ؟ فقال : أترون بساطي هذا ؟ إنّه لصائر إلى بلى ، وإنّي أكره أن تدنسوه بخفافكم ، فكيف أرضى أن تدنّسوا عليّ ديني ؟ .

قال : حدثنا سليمان بن حبان أن عمر بن عبد العزيز قال لبنيه:

---

(١) سبق في ص ٣٧ .

أتحبون أن أولي كل رجل منكم جنداً ، فينطلق تصلصل به جلاجل البريد ؟ فقال ابنه ، ابن الحارثية : لِمَ تعرض علينا شيئاً لست صانعه بنا ؟ فقال عمر : إنّي لأعلم أن بساطي هذا يصير إلى البلى ، وإنّي لأكره أن تدنسوه بخفافكم ، فكيف أقلدكم ديني تدنسوه في كل جند ؟ .

قال يعقوب بن سفيان ، وحدثني عبد العزيز بن عمر قال : أخبرني ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، قال : سمعت مسلمة بن عبد الملك يقول : رحم الله عمر ، والله لقد هلك ، وما بلغ ابنٌ له قط شرفَ العطاء .

ومنهم اسحق ويعقوب

قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : ولدت فاطمة بنت عبد الملك لعمر بن عبد العزيز : اسحق ويعقوب ابنى عمر بن عبد العزيز .

ومنهم : بكر وموسى والوليد وعاصم ويزيد وزيان

قال : حدثنا عثمان بن عبد الحميد قال : حدثني أبي قال : بلغنا أن ابناً لعمر بن عبد العزيز مات صغيراً ، فدخل عليه الناس يعزونه وهو ساكت لا يتكلم طويلا ، حتى قال بعضهم : إن ذا لمن جزع ، قال : ثم تكلم فقال :

الحمد لله الذي دخل ملكُ الموت حجرتي ، فذهب ببعضي ، فكأنه قد ذهب بي .

قال : وعن سعيد بن علي قال : مات ابن لعمر بن عبد العزيز صغير ، فغشي عليه ، فلما أفاق قلنا له : على مثل هذا ؟ قال : ليس ذاك بي ، ولكن بضعة مني ، فأوشك أن أتبعها .

بِعْهُ وأشبِعْ به ألف جائع :

قال : وبلغني أن بعض أولاد عمر بن عبد العزيز اتخذ خاتماً ، واشترى له فصاً بألف درهم ، فكتب اليه عمر :

أما بعد ؛ فقد بلغني أنك اشتريت فصّاً بألف درهم ، فَبِعْهُ ، وأشْبِعْ به ألف جائع ، واتّخِذْ خاتماً من حديد صيني ، واكتُبْ عليه: « رحم الله امرءاً عرفَ قدر نفسه » .

عدد بناته

منهـن أمينـة

قال : وعن قوباء بن دبيق قال : مرت ابنة لعمر بن عبد العزيز ، يقال لها : أمينة ، فدعاها عمر : يا أمين ! يا أمين ! فلم تجبه ، فأمر إنساناً فجاء بها ، فقال : ما منعك أن تجيبيني ؟ قالت : إني عارية ، فقال: يا مزاحم ! أنظر إلى تلك الفراش التي فتقناها ، فاقطع لها منها قميصاً ، فذهب إنسان إلى أم البنين ، عمتها ؛ فقال : ابنة أخيك عارية ، وأنت عندك ما عندك ، فأرسلت اليها بتخت من ثياب ، وقالت : لا تطلبي من عمرَ شيئاً .

ومنهن أم عمار وأم عبد الله [1]

قال : حدثنا محمد بن سعيد قال : اسم ولد عمر بن عبد العزيز : عبد الله ، وبكر ، وأم عمار ، وأمهم ، لميس بنت علي بن الحارث . وابراهيم وأمه : أم عثمان بنت شعيب بن زيان . وإسحق ويعقوب وموسى درجوا وأمهم : فاطمة بنت عبد الملك بن مروان . وعبد الملك والوليد وعاصم ويزيد وعبد الله وعبد العزيز وزيان وأمينة وأم عبد الله وأمهم : أم ولد .

---

(١) كذا في المصرية . وفي الحموية « أم عبيد الله » .

الباب التاسع والثلاثون

في ذكر مرضه ووفاته

سياق بدء مرضه :

قال : حدثنا الوليد عن أبي عمرو أن محمد بن عبد الملك بن مروان سأل فاطمة بنت عبد الملك ، امرأة عمر : ماترين بداء مرض عمر الذي مات عمر فيه ؟ فقالت : أرى جُلّ ذلك أو بَدأه الخوف .

قال : حدثنا محمد بن سعد قال : قال عبد الحميد بن سهيل : رأيت الطبيب خرج من عند عمر بن عبد العزيز ، فقلت : رأيت بوله اليوم ؟ فقال : ما ببوله من بأس إلاّ الهمّ بأمر الناس .

تقتله خشية الله :

قال ابن سعد ، وقال : ابن لهيعة : وجدوا في بعض الكتب : تقتله خشية الله ، عز وجل — يعني عمر — .

قال ابن سعد : قال محمد بن قيس : أول مرضه ، اشتكى لهلال رجب سنة احدى ومائة ، وكان شكواه عشرين يوماً .

سياق ما روي أنّهُ سُقِيَ السم :

قال : وعن الوليد بن هشام قال : لقيني يهودي ، فأعلمني أن عمر سيلي هذا الأمر ، فيعدل فيه ، فلقيت عمر فأخبرته بقول اليهودي .

قال : فلما وليَ لقيني اليهودي فقال : ألم أقل لك أن عمر سيلي هذا الأمر ويعدل فيه ؟ قال : قلت بلى ، قال : ثم لقيني بعد ذلك فقال : إن صاحبك قد سُقِيَ ، فمره فليتدارك نفسه . قال : فلقيت عمر ، فذكرت له ذلك ، فقال عمر : قاتَلَه الله ، ما أعلمه ؟ لقد عرفت الساعة التي سقيت فيها ، ولو كان شفائي أن أمس شحمة أذني ما فعلت ، أو أُوتي بطيب أرفعه إلى أنفي ما فعلت .

قال : وقد رويت لنا من طريق آخر ، قال : حدثنا ضمرة ، عن أبي جميلة ، عن عمر بن مهاجر ، قال : لقيني يهودي — فذكر نحو ما تقدم — .

قال : حدثنا أبو زيد الدمشقي قال : لما ثقل عمر بن عبد العزيز دعي له طبيب ، فلما نظر اليه قال الرجل : قد سقي السم ، ولا آمن عليه الموت . فرفع عمر بصره فقال : ولا تأمن الموت ، أيضاً ، على من لم يسق السم . قال الطبيب : هل أحسست بذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ، قد عرفت حين وقع في بطني . قال : فتعالج يا أمير المؤمنين ؟ فإني أخاف أن تذهب نفسك ، فقال : ربي خير مذهوب اليه ؛ والله لو علمت أن شفاي عند شحمة أذني ؛ ما رفعت يدي إلى أذني ، فتناولته . اللّهم خِرْ لعمر في لقائك . قال : فلم يلبث أياماً حتى مات .

سياق مكتوباته في مرضه إلى يزيد بن عبد الملك :

قال : وعن قتادة أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى ولي العهد من بعده :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر ، أمير المؤمنين ، إلى يزيد بن عبد الملك . السلام عليك !

فإني أحمد اليك الله الذي لا إله إلاّ هو .

أما بعد ، فإني كتبت اليك ، وأنا دنف [1] من وجعي . وقد علمت أني مسؤول عما وليت يحاسبني عليه مليك الدنيا والآخرة . ولست أستطيع أن أخفي عليه من عملي شيئاً : يقول تعالى فيما يقول : ﴿فلَنَقُصَّنَّ عليهم بِعِلْمٍ ومَا كُنَّا غائبينَ﴾ [2] . فإن يرضى عني الرحيم ، فقد أفلحت ونجوت من الهوان الطويل ، وإن سخط عليَّ ، فياويح نفسي إلى ما أصير ، أسأل الله الذي لا إله إلا هو ، أن يجيرني من النار برحمته ، وأن يَمُنَّ عليَّ برضوانه والجنة . وعليك بتقوى الله والرعية الرعية ! فإنك لن تبقى بعدي إلاَّ قليلاً حتى تلحق باللطيف الخبير . والسلام .

قال : وعن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى يزيد بن عبد الملك في مرض عمر الذي توفي فيه — فذكر نحوه وقال — : وأنا مشفق مما وليت ، لا أدري على ما أطلع ، فإن يعف عني ، فهو العَفُوّ ، وإن يؤاخذني بذنبي ، فياويح نفسي إلى ما أصير !

قال : حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى يزيد بن عبد الملك : إيّاك أن تدركك الصرعة عند الغرة . فلا تُقالُ العثرة [3] ، ولا تمكن من الرجعة ؛ يحمدك من خلفت بما تركت ، ولا يعذرك من تقدَّمَ عليه بما اشتغلت به ، والسلام .

قال : حدثنا محمد بن أبي عيينة المهلبي قال : قرأت رسالة عمر بن عبد العزيز إلى يزيد بن عبد الملك :

سلام الله وبركاته عليك ! فإني أحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد ..

فإن سليمان بن عبد الملك كان عبداً من عباد الله ، قبضه الله .

(١) دنف : برأه المرض حتى أشفى على الموت .
(٢) سورة الأعراف ، الآية : ٧ .
(٣) تقال العثرة : يصفح عنه .

واستخلفني وبايع لي مَنْ قِبَلَه ، وليزيد بن عبد الملك إن كان[1] من بعدي ، ولو كان الذي أنا فيه لاتخاذ أزواج ، أو اعتقاد أموال ، كان الله قد بلغ بي أحسن ما بلغ بأحد من خلقه ، ولكني أخاف حساباً شديداً ، ومسألة لطيفة ، إلاّ ما أعان الله عليه ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

رجلان عظيمان :

قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثني غير واحد ، أن عمر بن عبد العزيز قال : لو كان إليّ أن أعهد ، ما عدوت أحد رجلين : صاحب الأعوص – يريد اسماعيل بن عمرو – أو أعمش بني تميم – يريد القاسم ابن محمد .

قال الشيخ الامام المصنف : اسماعيل ، هو ابن عمرو بن سعيد بن العاص ، وكان يسكن الأعوص في شرقي المدينة على بضعة عشر ميلا ، وكان له فضل كبير .

سياق ما جرى له مع أولاده عند الموت :

قال : حدثنا سفيان قال سألت عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز : ما آخر ما تكلم به أبوك عند موته ؟ قال : كان له من الولد عبد العزيز وعاصم وابراهيم ، قال عبد العزيز : وكنا أغيلمة ، فجئنا إليه كالمسلّمين عليه والمودعين له ، وكان الذي وليَ ذلك منه مولىً له ، فقيل له : تركت ولدك هؤلاء وليس لهم مال ، ولم تولهم إلى أحد ، قال : ما كنت لأعطيهم شيئاً ليس لهم ، وما كنت لآخذ منهم حقاً لهم ، أولي فيهم الذي يتولّى الصالحين ، إنّما هؤلاء أحد رجلين رجل أطاع الله ، ورجل ترك أمر الله وضيّعه .

---

(١) في المختصر « أن يكون » .

قال : حدثنا عمارة بن أبي حفصة أن مسلمة بن عبد الملك دخل على عمر بن عبد العزيز في مرضه ، الذي مات فيه ، فقال : من توصي بأهلك ؟ — وهو يرى أن يستوصيه — فقال : إذا نسيتُ الله فذكّرني . قال : فعاد فقال : من توصي بأهلك ؟ فقال : إنّ وليّي فيهم الله الذي نزّل الكتاب ، وهو يتولى الصالحين .

هلاّ غير ذلك يا مسلمة ؟

قال : وعن مسلمة بن محارب قال : دخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز في مرضه ، فقال : يا أمير المؤمنين ! ألا توصي ؟ قال : وهل من مالٍ أوصي فيه ؟ فقال مسلمة : مائة ألف أبعث بها اليك . فهي لك ، فأوص فيها . قال : فهلا غير ذلك يا مسلمة ؟ قال : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : تردها من حيث أخذتها ! قال : فبكى مسلمة ، وقال : رحمك الله ، لقد لينت منا قلوباً كانت قاسية ، وزرعت في قلوب الناس لنا مودة . وأبقيت لنا في الصالحين ذكراً . قال مسلمة : يا أمير المؤمنين ! أوص ببنيك . فقال عمر : أوصي بهم الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ، ثم نظر إلى ولده فقال : بنفسي فتية أقفرت أفواههم من هذا المال . فسمعوا قائلا من ناحية البيت يقول : ﴿ تلكَ الدّار الآخرةُ نجْعلُها للّذينَ لا يُريدونَ عُلُوّاً في الأرضِ ولا فساداً والعاقبة للمُتّقينَ ﴾ (١) .

ما منعتهم حقاً لهم ، ولم أعطهم ما ليس لهم :

قال : حدثنا هاشم قال : لما كانت الصرعة التي هلك فيها عمر ، دخل عليه مسلمة بن عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ! إنّك أقفرت أفواه ولدك من هذا المال ، فتركتهم عيلة لا شيء لهم ، فلو أوصيت بهم ،

---

(١) سورة القصص ، الآية : ٨٣ .

إليّ وإلى نظرائي من أهل بيتك ، قال : فقال : أسندوني ، ثم قال :
أما قولك إني أقفرت أفواه ولدي من هذا المال ، فوالله إنّي ما منعتهم
حقاً هو لهم ، ولم أعطهم ما ليس لهم . وأما قولك : لو أوصيت بهم إليّ
وإلى نظرائي من أهل بيتك ، فإن وصيّي ، ووليّي فيهم ، الله الذي
نزّل الكتاب ، وهو يتولى الصالحين . بنيّ أحد رجلين : اما رجل يتقي
الله ، فسيجعل الله له مخرجاً ، وإما رجل مكبّ على المعاصي ، فإني لم
أكن أقويه على معصية الله . ثم بعث اليهم — وهم بضعة عشر ذكراً —
قال : فنظر اليهم فذرفت عيناه فبكى ، ثم قال : بنفسي الفتية التي
تركتهم عيلة لا شيء لهم ، فإني بحمد الله قد تركتهم بخير . أي بني ،
إنكم لن تلقوا أحداً من العرب ولا من المعاهدين إلا أن لكم عليهم حقاً ،
أي بني ! إن أباكم ميل بين أمرين : بين أن تستغنوا ويدخل أبوكم النار ،
أو تفتقروا ويدخل أبوكم الجنة ، فكان أن تفتقروا ويدخل الجنة أحب اليه
من أن تستغنوا ويدخل النار . قوموا عصَمَكم الله .

سياق وصيته إلى من يغسله ويكفنه :

قال : وعن رجاء بن حيوة قال : قال لي عمر بن عبد العزيز ، في
مرضه : كن فيمن يغسلني ويكفنني ويدخل قبري ، فإذا وضعوني في
لحدي فحل العقدة ثم انظر في وجهي ، فإني قد دفنت ثلاثة من الخلفاء
كلهم إذا أنا وضعته في لحده حللت العقدة ، ثم نظرت إلى وجهه ، فإذا
وجهه مسود في غير القبلة . قال رجاء : فكنت فيمن غسله وكفنه ، ودخل
في قبره ، فلما حللت العقدة، نظرت إلى وجهه فإذا وجهه كالقراطيس في
القبلة .

كيف وجدوه بعد استقراره في القبر :

قال : حدثنا رافع بن حفص المدني أن عمر بن عبد العزيز ، لما
حضرته الوفاة ، قال لرجاء بن حيوة : يا رجاء ! إذا أنا متّ وغسّلتموني
وكفنتموني ، وصليتم عليّ وأدخلتموني لحدي ، فاجذب اللبنة من عند

رأسي ، فإن رأيت وجهي إلى القبلة فاحمدوا الله وأثنوا عليه ، وإن رأيت قد زويت عنها ، فاخرج إلى المسلمين ما داموا عند لحدي حتى يستوهبوني من ربي . قال : فلما وضع في لحده وقبل باللبن على وجهه ، جذبت اللبنة من عند رأسه ، فإذا وجهه إلى القبلة . فحمد الله وأثنى عليه .

قال : حدثنا المفضل بن أبي يونس قال : قال عمر بن عبد العزيز لمسلمة بن عبد الملك : يا مسلمة ؟ من دفن أباك ؟ قال : مولاي فلان ، قال : فمن دفن الوليد ؟ قال : مولاي فلان ، قال : وأنا أحدثك ما حدثني به ...... حدثني أنه لما دفن أباك والوليد ، فوضعهم في قبورهم ، ذهب ليحل العقدة عنهم ، فوجد وجوههم قد حولت في أقفيتهم ، فانظر يا مسلمة ، إذا أنا ميتٌ فدفنتني ، فالتمس وجهي ، فانظر هل نزل بي ما نزل بالقوم ، أم هل عوفيت من ذلك . قال مسلمة : فلما مات عمر ، وضعته في قبره ثم لمست وجهه فإذا هو مكانه .

قال : وعن عمرو بن قيس قال : قالوا لعمر بن عبد العزيز ، حين حضره الموت : اعهد يا أمير المؤمنين ! قال : أحذركم مصرعي هذا ، فإنه لا بد لكم منه ، وإذا وضعتموني في قبري ، فانزعوا عني لبنة ، ثم انظروا ما لحقني من دنياكم هذه .

قال : وعن عاصم قال : شهدت عمر بن عبد العزيز قال لأمة له : أراك ستلين حنوطي ، فلا تجعلي فيه مسكاً .

قال : حدثنا حصين ، أن عمر بن عبد العزيز نهى أن يبنى على القبر بآجر ، وأوصى بذلك .

سياق ما روي في تخيره موضع قبره :

قال : حدثنا حنظلة بن عبد العزيز ، عن ربيع بن سبرة ، عن أبيه ، عن ابن لعمر بن عبد العزيز ، (أن عمر بن عبد العزيز) قال ، حين

اشتكى شكواه التي هلك فيها : اشتروا من الراهب موضع قبري ، فاشتري منه موضع قبره بستة دنانير .

قال : وعن محمد بن قيس قال : اشتكى عمر بن عبد العزيز لغرة هلال رجب سنة إحدى ومائة ، فكان عليه عشرين يوماً ، فأرسل إلى نصرانيّ ، فساومه بموضع قبره ، فقال له النصراني ، والله ، يا أمير المؤمنين ! إني لأتبرك بقربك وبجوارك ، فقد أحللتك ، فأبى ذلك عمر إلا أن يبيعه ، فباعه إياه بثلاثين ديناراً ، ثم دعا بالدنانير فوضعها في يده.

قال : حدثنا أبو أمية ، غلام عمر بن عبد العزيز ، قال : بعثني عمر بدينارين إلى أهل الدير ، فقال : إنْ بعتموني موضع قبري ، وإلاّ تحولت عنكم ، فأتيتهم فقالوا : لولا أنا نكره أن يتحول عنا ما قبلناه .

قال : حدثنا محمد بن سعد قال: قال محمد بن قيس: أرسل عمر بن عبد العزيز إلى ذمي فساومه في موضع قبره ، فقال الذمي : يا أمير المؤمنين! والله إنها لخيرة أن يكون قبرك في أرضي ، قد أحللتك ، فأبى عمر حتى ابتاعه منه بدينارين ، ثم دعا بالدينارين فدفعهما اليه .

قال : وقال إبراهيم بن ميسرة ، اشتري موضع قبره بعشرة دنانير .

قال ابن سعد ، قال معاوية بن صالح : لما احتضر عمر قال : احفروا لي ، ولا تعمقوا ، فإن خيرها أعلاها ، وشرها أسفلها .

تواضعه عن أن يدفن في الروضة النبوية :

قال : حدثنا أيوب قال : نبئت أن عمر ذكر له ذلك الموضع الرابع الذي فيه قبر النبي ﷺ ، فعرضوا له به ، فقالوا : لو دنوت من المدينة ؟ فقال : لأن يعذبني الله بكل عذاب إلاّ النار ، أحب إليّ من أن يعلم الله أني أراني لذلك أهلا .

قال : وعن أيوب قال : قيل لعمر بن عبد العزيز : لو أتيت المدينة ، فإن قضى الله موتاً دفنت في موضع القبر الرابع ، مع رسول الله وأبي بكر وعمر ، قال : والله لأن يعذبني الله بكل عذاب — إلا النار ، فإني لا صَبْرَ لي عليها — أحب إليّ من أن يعلم الله من قلبي أني أراني لذلك أهلاً.

قال : وعن أيوب أنه قيل لعمر بن عبد العزيز لما مرض : إن في البيت موضع قبر ، فإن أتيت المدينة فحدث بك حدث دفنت ، فقال : ما يسرني ولو عذبني الله بكل عذاب أن يعلم الله من قلبي أني أرى نفسي أهلا لذلك .

سياق كراهيته تهوين الموت عليه :

قال : وعن الأوزاعي قال ، قال عمر بن عبد العزيز : ما أحب أن تخفف عني سكرات الموت ، لأنه آخر ما يرفع للمؤمنين — أو قال للمؤمن — .

قال : وعن الأوزاعي ، عن عمر بن عبد العزيز ،قال: ما أحب أن تهون عليّ سكرات الموت ، انه آخر ما يكفر به عن المرء المسلم .

قال : وعن الأوزاعي قال ، قال عمر بن عبد العزيز : ما أحب أن يخفف عني الموت ، لأنه آخر ما يؤجر عليه المسلم .

قال : وعن الأوزاعي قال : قال عمر بن عبد العزيز : ما يسرني أن تخفف عني سكرات الموت ، لأنه آخر ما يؤجر عايه المسلم .

قال : وعن سفيان بن عيينة قال : قال عمر بن عبد العزيز : اللّهمّ لا تهون عليّ سكرات الموت .

سياق ما جرى له في حال احتضاره :

قال : حدثني المغيرة بن حكيم قال: قالت لي فاطمة بنت عبدالملك: كنت أسمع عمر ، رحمه الله ، في مرضه الذي مات فيه يقول : اللهمّ اخف عليهم موتي ولو ساعة واحدة من نهار . قالت: فقلت له يوماً:

يا أمير المؤمنين ! ألا أخرج عنك عسى أن تغفي شيئاً ، فإنك لم تنم ، قالت : فخرجت عنه إلى بيت غير البيت الذي هو فيه ، قالت : فجعلت أسمعه يقول : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرةُ نَجْعَلُها للّذينَ لا يُريدونَ عُلُوّاً في الأرْض ولاَ فَسَاداً والعاقِبَةُ للمُتّقينَ ﴾ [1] يرددها مراراً ، ثم أطرق ، فلبث طويلا لا أسمع له حساً ، فقلت لوصيف له يخدمه : ويحك ! أنظر ؛ فلما دخل صاح ، فدخلت عليه ، فوجدته ميتاً قد أقبل بوجهه على القبلة ، ووضع احدى يديه على فيه ، والأخرى على عينيه . رحمه الله .

قال : حدثنا جرير بن حازم قال : سمعت المغيرة بن حكيم قال : حدثتني فاطمة بنت عبد الملك قالت : كنت أسمع عمر في مرضه الذي مات فيه يقول : اللهم اخف عليهم موتي ولو ساعة من نهار . فلما كان اليوم الذي قبض فيه ، خرجت فجلست في بيت آخر ، بيني وبينه باب وهو في قبة له ، فسمعته يقول : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخرةُ نَجْعَلُها للّذينَ لا يُريدونَ عُلُوّاً في الأرْض ولا فَسَاداً والعاقِبَةُ للمُتّقينَ ﴾ [1] ثم هدأ ، فجعلت لا أسمع له حساً ولا كلاماً ، فقلت للوصيف الذي يخدمه : أنظر أمير المؤمنين !! فلما دخل عليه صاح ، فوثبت ،فدخلت عليه ، فإذا هو ميت ، قد استقبل القبلة ، وأغمض نفسه ، ووضع إحدى يديه على عينيه ، والأخرى على فيه .

قال : وعن عبيدة بن حسان قال : لما احتضر عمر بن عبد العزيز قال : أخرجوا عني ، فلا يبقى عند أحد ، قال : وكان عنده مسلمة بن عبد الملك ، قال : فخرجوا ، فقعد على الباب هو وفاطمة ، قال : فسمعوه يقول : مرحباً بهذه الوجوه ، ليست بوجوه انس ولا جان ، قال : ثم قال : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخرةُ نَجْعَلُها للّذينَ لا يُريدونَ عُلُوّاً في الأرض ولا فَسَاداً والعَاقِبةُ للمُتّقين ﴾ [1] قال : ثم هدأ

---

(١) سورة القصص ، الآية : ٨٣ .

الصوت . فقال مسلمة لفاطمة : قد قبض صاحبك ، فدخلوا ، فوجدوه قد قبض وغمض وسوي .

قال : حدثني ليث ، عن أبي رقية ، عن عمر أنه لما كان مرضه الذي قبض فيه قال : أجلسوني فأجلسوه ، ثم قال : أنا الذي أمرتني فقصرت ، ونهيتني فعصيت ، ولكن لا إله إلا الله . ثم رفع رأسه ، وأحدّ النظر ، فقالوا : إنك لتنظر نظراً شديداً . فقال : إني لأرى حضرة ما هم بإنس ولا جن . ثم قبض .

الجزء الحادي عشر :

الباب الاربعون

في ذكر تاريخ موته ، ومبلغ سنِّه ، وموضع دفنه ، رحمه الله

قال : وعن علي بن زيد قال : سمعت عمر يقول : لقد تمت حجة الله على ابن الأربعين ، فمات لها عمر بن عبد العزيز .

قال : حدثنا الفضل بن دكين قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : كان عمر بن عبد العزيز ابن أربعين سنة .

قال : حدثني عمرو بن عثمان قال : مات عمر بن عبد العزيز لعشر ليال بقين من رجب سنة إحدى ومائة . وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر ، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر ، ومات بدير سمعان .

قال الهيثم بن واقد : تُوفِّيَ عمر بخناصرة ، يوم الأربعاء ، لخمس ليالٍ بقين من رجب سنة إحدى ومائة ، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهرٍ وأربعة أيام ، ومات وهو ابن تسع وثلاثين وأشهر . ودفن بدير سمعان .

قال ابن أبي الزناد : تُوفِّيَ وهو ابن تسع وثلاثين وخمسة أشهر .

قال : وعن سفيان بن عاصم قال : تُوفِّيَ عمر بن عبد العزيز لخمس ليال مضين من رجب سنة إحدى ومائة ؛ وهو يومئذ ابن تسع وثلاثين

سنة وأشهر ، ودفن بدير سمعان ، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام ، وصلى عليه مسلمة بن عبد الملك . قاله القرشي .

قال : حدثنا سفيان بن عيينة قال : قلت لعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز : كم كان أتى على أبيك ؟ قال : ما بلغ أربعين .

قال : حدثنا سفيان قال : قلت لعبد العزيز بن عمر : كم بلغ سنون أبيك ؟ قال : بلغ أربعين فاختيل .

قال : وحدثنا معمر قال : مات عمر بن عبد العزيز على رأس خمس وأربعين سنة .

قال : حدثنا أبو منصور بن عبد العزيز العكبري قال : مات عمر بن عبد العزيز ، بدير سمعان من أرض حمص ؛ لأربع بقين من رجب ، سنة إحدى ومائة ، وصلى عليه يزيد بن عبد الملك ، وكانت مدة خلافته سنتين وخمسة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً .

قال : وعن يوسف بن ماهك قال : بينا نحن نسوي التراب على قبر عمر بن عبد العزيز ، إذ سقط علينا رقٌ من السماء فيه كتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم . أمانٌ من الله لعمر بن عبد العزيز من النار .

الباب الحادي والاربعون

في ذكر ما روي أن السماء والأرض بكتا عليه

قال : وعن خالد الربعي قال : مكتوب في التوراة أن السماء تبكي على عمر بن عبد العزيز أربعين صباحاً .

قال : وعن خالد الربعي قال : قرأت في التوراة أن السماء والأرض تبكي على عمر بن عبد العزيز أربعين سنة .

الباب الثاني والاربعون

في ذكر تأبين الناس له بعد موته وحزنهم عليه

تأبين مسلمة :

قال : حدثنا اسماعيل الأموي قال : نظر مسلمة بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز مسجّى ، فقال : يرحمك الله ، لقد لينت لنا قلوباً قاسية ، وأبقيت لنا في الصالحين ذكراً .

تأبين الحسن البصري له :

قال : حدثنا هاشم بن القاسم قال : سمعت شيخاً من أهل البصرة قال : لما أتى الحسن موتُ عمر بن عبد العزيز ، قال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، يا صاحب كل خير .

وقول زوجته عنه :

قال : وعن وهيب بن الورد ، قال : بلغنا أن عمر بن عبد العزيز ، لما توفي ، جاء الفقهاء إلى زوجته يعزونها ، فقالوا لها : جئناك لنعزيك بعمر ، فقد عمّت مصيبته الأمّة ، فاخبرينا ، يرحمك الله ، عن عمر : كيف كانت حاله في بيته ، فإن أعلم الناس بالرجل أهله . فقالت : والله ما كان عمر بأكثركم صلاة ولا صياماً ، ولكني ، والله ، ما رأيت عبداً لله قط كان أشد خوفاً لله من عمر ، والله ، إن كان ليكون في المكان الذي ينتهي اليه سرور الرجل بأهله ، بيني وبينه لحاف ، فيخطر على قلبه الشيء من أمر الله ، فينتفض كما ينتفض طائر وقع في الماء ، ثم ينشج ، ثم يرتفع بكاؤه حتى أقول : والله لتخرُجنّ نفسه ، فأطرح اللحاف عني وعنه ، رحمة له وأنا أقول : يا ليتنا كان بيننا وبين هذه الإمارة بعد المشرقين ، فوالله ما رأينا سروراً منذ دخلنا فيها .

تأبين عبد الملك بن عمير له :

قال : حدثنا عبد الرحمن ، عن عمه ، قال : قال عبد الملك بن عمير لما مات عمر بن عبد العزيز : رحمك الله ، يا أمير المؤمنين ! إن كنت لغضيض الطرف ، أمين الفرج ، جواداً بالحق ، بخيلا بالباطل ، تغضبُ في حين الغضب ، وترضى في حين الرضى ، وما كنت مزّاحاً ولا عيّاباً ولا بهّاتاً ولا مُغتاباً .

كلمة ملك الروم :

قال : حدثني محمد بن معبد أن عمر بن عبد العزيز أرسل بأسارى من أسارى الروم ، فنادى بهم أسارى من أسارى المسلمين ، قال : فدخلت على ملك الروم يوماً ، فإذا هو جالس على الأرض ، مكتئباً حزيناً ، فقلت : ما شأن الملك ؟ فقال : وما تدري ما حدث ؟ قلت : ماحدث ؟ قال : مات الرجل الصالح ، قلت : من ؟ قال : عمر بن

عبد العزيز ، ثم قال ملك الروم : لأحسب أنه لو كان أحد يحيي الموتى بعد عيسى بن مريم ، لأحياهم عمر بن عبد العزيز . ثم قال : إني لست أعجب من الراهب أن أغلق بابه ورفض الدنيا ، وترهب وتعبد ، ولكن أعجب ممن كانت الدنيا تحت قدميه ، فرفضها وترهب .

كلمة بعض الرهبان في عمر :

قال : وعن مجاهد أنه شهد وفاة عمر بن عبد العزيز ، فمر بعبّاديّ أو نبطيّ وهو يثير على ثورين له ، فقام حين مررت به فقال : من أين أقبلت ؟ أشهدت وفاة هذا الرجل ؟ فقلت له : نعم . فذرفت عيناه ، وترحم عليه ، فقلت له : لِمَ تترحم عليه وليس هو على دينك ؟ فقال : إني لا أبكي عليه ، ولكن أبكي على نور كان في الأرض فطُفىء.

قال : وعن الأوزاعي قال : شهدت جنازة عمر بن عبد العزيز ، ثم خرجت أريد مدينة قنسرين ، فمررت على راهب فقال : يا هذا أحسبك شهدت وفاة هذا الرجل . قال : فقلت له : نعم . فأرخى عينيه فبكى سجاماً ، فقلت له: ما يبكيك ولست من أهل دينه ؟ فقال : إني لست أبكي عليه ، ولكن أبكي على نور كان في الأرض فطفىء .

قال : حدثنا عبد الله بن وهب قال : سمعت مالك بن أنس يحدث أن صالح بن علي ، حين قدم الشام سأل عن قبر عمر بن عبد العزيز ، فلم يجد أحداً يخبره ، حتّى دل على راهب ، فأتى فسأل عنه ، فقال : أقبر الصديق تريدون ؟ هو في تلك المزرعة ! .

الباب الثالث والاربعون [1]

في ذكر المنتخب من مدائحه ومراثيه بالشعر

قصيدة كُثير في مدح عمر :

قال أبو الفرج بن الجوزي : قد كانت الشعراء تمدحه في إمارته ، فلما ولي الخلافة لم يؤثر ذلك ، فربما أنشدوه وهو كاره ، وقد ذكرنا قصة الشعراء معه في باب ورعه . وممن كان يمدحه كثيِّر بن عبد الرحمن الخزاعي ، فمن ذلك قوله :

تكلمتَ بالحق المبين ، وإنمـــا تبيّنُ آياتُ الهدى بالتّكلّـــمِ
وصدقت موعود الذي قلت بالذي فعلت ، فأمسى راضياً كل مسلمِ
وأظهرت نور الحق فاشتد ضوءهُ على كل لبسٍ ، فارق الحق، مظلمِ
وعاقبتَ فيما قد تقدمت قبله وأعرضت عما كان قبل التّقدمِ
وليتَ فلم تشتم علياً ولم تُخِفْ بريئاً ، ولم تتبع سجيـــه مجرمِ
وقد لبستْ لبس الملوك ثيابهـــا تراءى لك الدنيا ، بكف ومعصم
وتومض أحياناً بعينٍ مريضـــةٍ وتبسم عن مثل الجمان المنظّم
فأعرضت عنها مشمئزاً كأنمـــا سقتك مدوفاً [2] من سمام وعلقمِ
وقد كنت من أجبالها في ممنّعٍ ومن بحرها في زاخر الموج مفعمِ

---

(١) هذا الباب غير موجود في المختصر .

(٢) كذا في نسخة مصر ، وفي الحموية « معروقاً » .

قال : وعن (خالد بن يزيد بن) [1] جعونه قال : كان لا يقوم أحد من بني أمية إلاّ سب علياً ، رضي الله عنه ، فلم يسُبّه عمر بن عبد العزيز ، فقال كثيِّر عزّة :

وليت فلم تشتم علياً ،ولم تخف بريئاً ، ولم تتبع سجية مجرمِ
وقلت فصدقت الذي قلت بالذي فعلت ،فأضحى راضياً كل مسلمِ

قال أبو الفرج رحمه الله : وفي هذا المعنى يقول الشريف الرضي رحمه الله :

أنت نزهتنـــا عن السب والشتم فلو يمكن الجزاء جزيتـــك .

قال : حدثنا عبد الله بن المبارك قال : قال كثيِّر بن عبد الرحمن الخزاعي في عمر بن عبد العزيز :

هو المرء لا يبدي الأسى في مصيبة[2] ولا فرحاً يوماً إذا النفس سرّتِ
قليل الألايا [3] ، حافظٌ ليمينه . وإنْ بدرت منه الألية بـــرّتِ

شعر جرير في عمر :

قال الشيخ رحمه الله : وقد ذكرنا في باب ورعه أبياتاً مدحه بها جرير ، ومن قوله فيه :

إليك رحلت ياعمر بن ليلى ! على ثقة أزورك واعتمـــادا .
تعوّد صالـــح الأعمال ، إنّي رأيت المرء يلزم ما استعـــادا .
إلى الفاروق تنسب ،يا ابن ليلى! ومروان الذي رفـــع العمـــادا.
فما كعب بن مامة ،وابن سعدى، بأكرم منك يا عمر الجوادا !

---

(١) من الحموية .
(٢) كذا في الحموية : وفي المصرية « لا يبدي أسى عن مصيبة » .
(٣) جمع ألية بالتشديد وهي اليمين .

قال الشيخ رحمه الله : كعب بن مامة هو الأيادي ، وابن سعدى أوس بن حارثة بن لام الطائي :

هنيئاً للمدينة إذ أهلّت بأهل الملك أبدى ، ثم عادا
يعود الملك [1] منك على قريشٍ وتفرج عنهم الكربِ الشِّدادا
وقد لينت وحشتهم برفقٍ ويغني الناس وحشك أن يصادا
وتبني المجد ، ياعمر بن ليلى ، وتكفي الممحل السنة الجمادا.
وتدعو الله مجتهداً ليرضى ، وتذكر في رعيتك المعادا
ونعم أخو الحروب إذا تردى على الزعف المضاعفة النجادا.
وأنت أبو الخضارم من قريش هم نصروا النبوة والجهادا.
وقادوا المؤمنين ولم تعود ، غداه الروع ، [2] خيلهم القيادا
إذا فاضلت ، مدك من قريش، بحورٌ عمّ زاخرها الثمادا .

قوله « الزعف » الدرع الصغيرة الحلق . « والنجاد » : حمائل السيف وقال أيضاً :

إنّ الذي بعث النبي محمداً جعل الخلافة في الامام العادل
ولقد نفعت بما منعت تحرّجاً مكس العشور على جسور الساحل
قد نال عدلك من أقام بأرضنا فإليك حاجةُ كل وفد راحلِ
إني لآمل منك خيراً عاجلا والنفس مولعة بحب العاجل
والله أنزل في الكتاب فريضة لابن السبيل وللفقير العائلِ

رثاء جرير في عمر :

فلما توفي عمر بن عبد العزيز ، رضي الله عنه ، رثاه الشعراء ،

(١) كذا في المصرية ، وفي الحموية « الحكم » .
(٢) كذا في المصرية ، وفي الحموية « البين » .

فقال جرير ، فيما أخبرنا به محمد بن عبد الباقي ، عن جعونة قال :
قال جرير حين مات عمر بن عبد العزيز :

تنعي النعـــاة أمير المؤمنين لنـــا ... يا خير من حج بيت الله واعتمرا
حملتَ أمراً عظيماًفاضطلعت به[1] ... وسرتَ فيه بحكم الله يا عُـمَـرا
الشمسُ طالعةٌ ليست بكاسفةٍ ... تبكي عليك ،نجوم الليل والقمرا

قال ابن حبيب : تبكي عليك الدهر . قال .... كاسفة نجوم الليل والقمرا وهذا بعيد .

رِثاء الفرزدق في عمر :

قال أبو بكر بن عياش ، قال : قال الفرزدق ، لما مات عمر بن عبد العزيز :

كم من شريعةِ حقٍّ قدشرعتَلهم ، ... كانت أُميتت وأخرىمنك تُنتظرُ
يالهف نفسي ،ولهف اللاهفينمعي ... على العدول التي تغتالها الحُفَـرُ

رثاء محارب في عمر :

قال : حدثنا عمرو بن صالح الزهري قال : حدثني الثقة قال : لما بلغ محارب ابن دثار موت عمر بن عبد العزيز . دعا بكاتبه فقال : أكتب ، فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم . فقال : امحه ، فإن الشعر يكتب فيه : بسم الرحمن الرحيم ثم قال :

لو أعظمَ الموتُ خلقاً أن يواقعه ... لعدلِه ، لم يصبك الموت ياعمرُا
كم من شريعة حقٍّ قد نعشت لهم ... كادتَ تموت،وأخرى منكتُنتظرُ
يالهف نفسي ،ولهف الواجدين معي ، ... على العدول التي تغتالهـــا الحُفَـرُ
ثلاثة ، ما رأت عيني لهم شبهاً ، ... تضم أعظمهم في المسجد الحُفَـرُ
وأنت تتبعهم لم تألُ[2] مجتهداً ... سعياً، لهم سنن بالحق تفتقـــرُ

---

(١) كذا في المصرية ، وفي الحموية « فاطلعت به » .
(٢) كذا في المصرية ، وفي الحموية « في الحق » .

لو كنت أملك والأقدار غالبةٌ تأتي رواحاً وتبياناً وتبتكـرُ .
صرفت عن عمرالخيرات مصرعه بدير سمعان ،لكن يغلب القدر!

مراث أخرى :

قال : حدثنا حنظلة بن عبد العزيز بن ربيع بن سبرة ، عن أبيه ، عن ابن لعمر بن عبد العزيز قال : قال الشاعر يذكر عمر :

قد غادرالقوم ،فياللحد الذيلحدوا بدير سمعان ، حرثان الموازينِ
أقول لما نعى الناعون لي عمراً لا يبعدنّ قضاء العدلِ والدينِ .

قال : حدثنا حرملة بن عبد العزيز قال : حدثني أبي ، عن ابنٍ لعمر بن عبد العزيز قال : أمرنا أن نشتري موضع قبره ، فاشتريناه من الراهب ، قال : فقال الشاعر :

أقول لما نعى الناعون لي عمـــراً لا تبعدن قضاء العــدل والدين .
قد غادر القوم فياللحد الذي لحدوا بدير سمعان ، جيران الموازين .

قال : وعن نافع بن أبي نعيم قال : رثى رجل من موالي أهل المدينة ، عمر بن عبد العزيز فقال :

قد غيّب الدافنون اللحد إذ دفنوا بدير سمعان ، حرثان الموازينِ
من لم يكن همه عينا يفجرهـــا ، ولاالنخيل ، ولاركض البراذينِ

قال : حدثنا مسبح بن حاتم قال : أنشدنا ابن عائشة يرثي عمر بن عبد العزيز فقال :

أقول لما نعى الناعون لي عمـــراً لا يبعدن قوام الحقّ والدينِ .
لم تلهـَهُ عمرَهُ عينٌ يفجِّرهـــا ولاالنخيل ، ولاركض البراذين
قد غيب ....[1] اليوم إذ غمسوا بدير سمعان ، قسطاس الموازينِ

(١) في المصرية « الراسسون » وفي الحموية من رواية حرملة التي مضت :
قد غادر القوم في القبر الذي لحدوا بديـــر سمعـــان قسطـــاس المـــوازين

الباب الرابع والاربعون

في ذكر تركته التي خلف

قال : وعن سليمان – يعني بن داود – أن عمر بن عبد العزيز قال لبنيه : لا تتهموا الخازن [1] ، فإني لا أدع إلاّ أحداً وعشرين ديناراً ، فيها لأهل الدير أجر مساكنهم ، وثمن حقلة كانت له فيه ، وموضع قبره ، رحمه الله تعالى .

وعن عمر بن حفص المعيطي قال : حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، رضي الله عنه ، قال : قلت : كم ترك لكم من المال ؟ فتبسم وقال : حدثني مولى لنا كان يتولى نفقته ، قال : قال لي عمر بن عبد العزيز ، رضي الله عنه ، حين احتضر : كم عندك من المال ؟ قلت : أربعة عشر ديناراً قال : فقال : تحتملون بها من منزل إلى منزل ، فقلت : كم ترك لكم من الغلة ؟ قال : ترك لنا غلة ستمائة دينار ، ورثناها عنه ، عن اختيار ، عبد الملك . وتركنا اثني عشر ذكراً وست نسوة ، فقسمناها على خمس عشرة .

---

(١) من هنا إلى الآخر من نسخة حماه ومن المختصر . أما النسخة المصرية ففيها بعد قوله : «لا تتهموا الخازن» قوله : « فاني غير متهمه » ثم يأتي بعد ذلك حديث عراك بن حجرة الذي سبق في ص ٢٨٤ وحديث أبي هاشم الرماني الذي سبق في ص ٢٩٠ وهما في النسخة المصرية خاتمة الكتاب ، وظاهر أن ذلك خطأ من الناسخ لعدم المطابقة بين الباب والترجمة ولاتفاق نسخة حماة ونسخة المختصر على ما فيه هذه المطابقة . وقد تبين من ذلك ومن مقدمة المؤلف أن هذا الباب هو آخر الكتاب .

قال الشيخ المصنف رحمه الله [1] : وبلغني أن المنصور قال لعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه : عِظْني . قال : بما رأيت أو بما سمعت ؟ قال : بما رأيت . قال : مات عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله ، وخلّف أحد عشر ابناً ، وبلغت تركته سبعة عشر ديناراً ، كفن منها بخمسة دنانير ، واشترى له موضع قبره بدينارين ، (وقسم الباقي على بنيه) [2] ، وأصاب كلٌّ واحدٍ من ولده تسعة عشر درهماً) [3] . مات هشام (بن عبد الملك ، وخلف أحد عشر ابناً) [4] (فقسمت تركته) [5] . وأصاب كل واحد من تركته ألف ألف ، ورأيت رجلا من ولد عمر بن عبد العزيز ، قد حمل في يوم واحد على مائة فرس في سبيل الله ، عزّ وجلّ ، ورأيت رجلاً من ولد هشام يتصدق عليه .

والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين . وعلى آله وصحبه أجمعين . ورضي الله تعالى عن التابعين لهم باحسان إلى يوم الدين . وحسبنا الله ونعم الوكيل ، نِعْم المولى ، ونِعْم النصير .

وجد في آخر النسخة المصرية

« وافق الفراغ منه في شهر الله : رجب ، سنة خمسة وعشرين وستمائة » .

---

(١) من هنا يبدأ الباب في نسخة المختصر .
(٢) من الحموية .
(٣) من المختصر .
(٤) من المختصر ، وفي الحموية « بنين » .
(٥) من الحموية .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
أنا حجيج المسلمين في أموالهم	١٠٤
لا حاجة لي برجل صبغ يده بدماء المسلمين	١٠٥
توزيع صدقات الأغنياء على الفقراء	١٠٦
نهيه عماله عن صنائع الحجاج	١٠٧
ما أعجب عمر من الحجاج	١٠٨
نهي عمر عن سب الظالم	١٠٩
حصن مدينتك بالعدل	١١٠
الجزء الرابع	
كتاب عمر إلى بعض الأجناد	١١١
إمتحانه الذين يريد توليتهم	١١٣
لا قليل من الإثم	١١٤
لا تجمع للمسلمين إلا الحلال الطيب	١١٥
أنت يا أمير المؤمنين الأم التي فرشت فأنامت	١١٦
كيف أصلحت الموصل	١١٧
كفى بالقدر حاجزاً وبالأجل حارساً	١١٨
قلة الخراج بكثرة الداخلين في الإسلام	١١٩
تخويفه عماله من عقاب الله	١٢٠
ثناؤه على الحسن البصري	١٢١
نهيه عن النبيذ	١٢٢
خطأ الوالي في العفو خير من تعديه في العقوبة	١٢٣
إن منزلتين أحسنهما الكذب لمنزلتا سوء	١٢٤
الباب التاسع عشر	
في ذكر رده المظالم	١٢٥
ابن عمر يعظ عمر	١٢٥

الموضوع	الفصحة

الموضوع	صفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
رؤيا أخرى لعمر	٢٨٣
اعمل في ولايتك نحواً من عمل هذين	٢٨٤
عمر بن عبد العزيز في سجن الوليد	٢٨٥
الباب السادس والثلاثون	
في ذكر من رآه في المنام	٢٨٧
والله ، ما استرحت إلا الآن	٢٨٧
الباب السابع والثلاثون	
في ذكر ما رؤي له في المنام	٢٨٨
فدعاه النبي ﷺ ، فأقعده في حجره	٢٨٨
إنه قد عدل في العباد أدخلوه الجنة	٢٨٨
فأين عمر بن عبد العزيز ؟	٢٩٠
اشدد يدك على العريف والماكس	٢٩١
صفة العرفاء والمتقبلين والعشارين	٢٩٤
الباب الثامن والثلاثون	
في عدد أولاده وأخبارهم	٢٩٦
سياق وصيته لمؤدبهم	٢٩٦
سياق عدد الذكور من أولاده	٢٩٧
منهم : عبد الملك	٢٩٧
تأثير عبد الملك بن عمر على أخلاق أبيه	٢٩٧
كتاب عمر من دمشق إلى ابنه في المدينة	٢٩٧
كان عبد الملك ، يفضل على عمر	٢٩٩
متى ما أريد مكابدتهم لم آمن أن يفتقوا فتقاً	٢٩٩
لو أمنت الموت يأتيك ورعيتك على بابك	٣٠١

الموضوع	الصفحة

طبع على مطابع دار الكتب العلمية